الجزء الثالث — المجلد الخامس والخمسون

مجلّة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

شعبان ١٤٠٠ هـ
تموز (يوليو) ١٩٨٠ م

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

روح الشاعر *

الأستاذ شفيق جبري

لم أهتد الى تعريف واضح لروح الشاعر ، ولكن الذي أعلمه أن لكل شاعر روحاً خاصة تغلب عليه في جملة شعره ، سواء أكان يمدح أم كان يرثي وسواء أكان يصف مشهداً من مشاهد الطبيعة أم كان يصف مشهداً من مشاهد الحياة العامة ، ولا يستطيع هذا الشاعر أن يتخلص من روحه في كل هذه الامور . فنراه في بعض المشاهد التي يستفيض فيها هدوء الحياة أو تنعم فيها العين بما يسرها أو يلذ فيها القلب بما يدخل عليه من الطمأنينة والسكينة يرجع الى روحه الخاصة من تلقاء نفسه أي من دون أن يفكر في هذا الرجوع ، ولعل في ضرب الامثال في هذا الموضوع توضيحاً لكل ماذكر :

فلنبدأ بشاعر من أشهر شعراء هذا العصر وهو « شوقي » . لقد زار شوقي في أوائل الاتتداب الفرنسي مدينة دمشق ، واحتفل به في دار من دور دمشق القديمة في حي النصارى ، فجلس في إيوان هذه الدار هو والمرحوم فارس الخوري ومحمد عبد الوهاب ، والضيوف كلهم كانوا

---

* كان هذا المقال من آخر ما خطت يد المرحوم الاستاذ شفيق جبري في معتكفه في بلودان. وكان رحمه الله يعده ليبعث به الى المجلة ، وقد تفضل اخوته فبعثوا الينا بأصوله أوراقا متفرقة متداخلة ، وتولت لجنة المجلة تنسيق هذه الاوراق على هذا النحو . وهي تأمل أن يكون نشر المقال تذكيرا بتراث الاستاذ جبري ، وأكثره مفقود نافد ، وبديوانه الذي لايزال مخطوطا . فلعل الوفاء يغلب على الجحود .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في ساحة الدار المكشوفة جالسين حول البركة ، إني لا أنسى وجه شوقي ومحمـــد عبد الوهاب يغني ، لا أنسى ورد هذا الخد من شدة الطرب ، وقد عمل شوقي قصيدته المشهورة في دمشق : قم ناج جلق ... وألقاها عنه في المجمع العلمي المرحوم نجيب الريس صاحب جريدة القبس .

قدم شوقي دمشق والروح الوطنية في أهل دمشق وفي بلاد سورية كلها تلتهب التهاب النار ، لقد تغنى شوقي ببني أمية ومدحهم المدح اللائق بهم حتى سميت قصيدته في حينها : الأموية ، فقد كان لها الاثر البالغ في النفوس وعلى الرغم من هذا كله لم يتخل شوقي في قصيدته عن روحه الغالبة عليه ، فإذا هو يقول في بعضها :

والحور في دمر أو حول هامتها حور كواشف عن ساق وولدان
وربوة الواد في جلباب راقصة الساق كاسية والنحـــر عريان

لم ينس شوقي في قصـــيدته منظر الحور ومنظر الســـيقان ومنظر الولدان كما أنـــه لم ينس جلابيب الراقصات وكســـوة السيقان وعري النحور . هذا ما رآه شوقي في متنزهات دمشق الشهيرة : الربوة ودمر والهامة لا يخرج إليها أهل دمشق إلا لينسوا فيها متاعب الحياة وليتنعموا فيها براحة البال وطمأنينة النفس،لايذكرون فيها الحور والسيقان والراقصات والنحور ولاتخطر على بال واحد منهم،هذه المشاهد في متنزهات دمشق خلقت لتدخل على قلوبهم لذة الهدوء والراحة . أما شوقي فما خطر بباله شيء من مثل هذه اللذة في هذه المتنزهات ، خطر بباله ما ألفه في مقتبل عمره من مسرات الحياة وأظن أن قليلا منا من يعرف ألفته بهذه المسرات ولاسيما وهو في باريس يدرس فيها ، ولا حاجة بنا الى ذكر شيء من هذه المسرات مما رواه في بعض أحاديثه المرحوم الامير شكيب أرسلان لما قدم باريس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وزار شوقي في فندقه . ولم يتخل شوقي عن هذه الروح في قصيدته في زحلة في أبياته المشهورة التي يغنيها محمد عبد الوهاب : يا جارة الوادي. وما أظن أن أحداً يجهلها ويجهل ماتضمنته هذه الابيات من الشيء الذي أشرت إليه ، أي من مسرات الحياة .

ولنرجع الى الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس وأعني به المتنبي، إنّا نعلم أين نشأ أبو الطيب ، إنه ابن البيد والقفار فمن أفق البادية درج خياله وفي البادية نشأ هذا الجبار فلا عجب اذا علقت بذهنه صور هذه البادية ، فقد ألِف إبل البادية وخيلها ومهامهها ومفاوزها وغزوها وجيادها وسيوفها وقناها على نحو ما فصّلت هذا كله في كتابي « المتنبي » ولست في حاجة الى هذا التفصيل في هذا المقطع من هذا المقال فحسبي أن أقول انه ابن البادية ، لم يَخْفَ عليه أمر من أمورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج إليها ابن البادية في وصف الإبل والخيل والسلاح وضروب ذلك.

ولقد قوّت فيه هذه النزعة مصاحبتُه لسيف الدولة في بعض الحروب ، فكأن الدنيا كلها في نظره حروب تلمع فيها السيوف والرماح وتتلاحم فيها الجيوش والفرسان ، وتكثر فيها الهزائم ، الى غير ذلك مما يستفيض في الحروب حتى إن صور هذه الحروب قد تعود الى ذهنه في بعض غزله وفي بعض مراثيه . ولم تفارقه هذه الصور في مجامع أطواره سواء أكان في مصر أم عاد الى العراق أم خرج الى بلاد فارس . وقد يرقّ غزله بعض الشيء ثم يعود الى شنشنته ، الى لغة الحروب وأدواتها فهو كما قال فيه الشريف الرضي : قائد عسكر . وقد يلخص لنا هذا الوصف الوجيز سرّ كل ما نشاهده في بعض شعره من صور الحروب ، فحياته كلها مظلمة الجوانب مثل ظلام الحروب ليس فيها شيء من بشاشة الدنيا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وابتسام الايام ، وقد ظهر عبوس هذه الدنيا وجهامة هذه الايام في بعض نظراته الفلسفية ، وهذا موضوع اذا أردت التبسط فيه امتد بي نفس الكلام ولكني ألخصه في الاستشهاد ببعض أبيات من شعره تدلنا الدلالة الواضحة على روحـه الغارقة في رؤية الدماء والحروب وأدوات هـذه الحروب الكريهة •

قدم طبرية فمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي وتعرض لوصـف البحيرة في مديحه فقال :

والموج مثل الفحول مزبدة تهـدر فيها وما بها قَطَم

أفلا نجد الغرابة في هذا الوصف ؟

كثير منا زاروا طبـرية على ما أظن وكثـير منا تمتعوا في هدوئها وسكينتها وشعروا فيها براحة النفس وهدوء البال ، وما أظن أن واحداً منهم خطر بباله وهو على ضفاف البحيرة هدير الفحول أو مرّت بذهنه صور الفرسان والحروب وما يجري فيها من هازم ومهزوم ، فإذا ذهبنا الى طبرية في بعض الفصول من فصول السنة فإنما نذهب إليها لنتحلل من تعب الجسم والروح ولننعم براحة هذا الجسم وهذه الروح ، وكنت أتنزه على ضفاف البحيرة ماشياً ساعتين فلا يخطر ببالي شيء من متاعب الحياة، هذا ما كانت توحيه إليّ والى كثير من الناس بحيرة طبرية ، أما أبو الطيّب المتنبي فلم يستطع أن يتخلى وهو على شاطىء البحيرة من روحه المتعلقة بروح الحروب •

ولقد زار طبرية في عصرنا الحديث كتّاب من كتّاب فرنسة الكبار وهم : « أناتول فرانس » و « لوتي » و « بارس » •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

زارها لوتي على ما أذكر ولكنه لم ير فيها ما رآه المتنبي ، لم ير فيها صورة الدماء ولم يسمع فيها هدير الفحول ولا وقعت عينه على الفرسان ولا مرّ بجيش فيه هازم ومهزوم . ولكن ماذا رأى فيها ؟ إنه تذكر السيد المسيح وهو مع تلاميذه يلقي عليهم روح المحبة والسلام . فإذا غلبت على أبي الطيب المتنبي روح الحروب في بحيرة طبرية فقد غلبت على « لوتي » روح السلم في كتابه وليس من الضروري أن يكون شاعراً فإن الروح تغلب على الشاعر والكاتب .

فاذا قلت ان لكل شاعر روحاً خاصة به تغلب عليه في كل مشهد من المشاهد ولا يستطيع التخلص منها في أي موضوع من موضوعاته فإني لا أبالغ في قولي على ما أعتقد .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كلبرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

— ٤٥ —

الدكتور حسني سبح

١٣٠٥٥ تَسَيُّع الجِسم الزُّجاجي 13055 Synchysis, synchisis

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سُيُولة الجِسْم الزُّجاجي

١٣٠٥٦ تَوازِي السُّطُوح 13056 Synclitisme

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : التَّزَامُل، وجاء في التعريف : إنْطِباق مِحْوَر الجزء الناتىء من الحَمِيل على مِحْوَر الحَوْض

١٣٠٥٧ غَشْي 13057 Syncope

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : غَشَيان ـ غَشْية وجاء في التعريف : فقدان الوَعْي تماماً لمدة أطول من الإغْماء

١٣٠٥٨ طَبَقَةُ الهَيولى المُحَبَّبَة 13058 Syncytium

وأقر مجمع اللغه العربية في القاهرة : مَخْلاة (بفتح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الميمم) وجاء في التعريف : سيتوبلازم متعدد النوى .
ولم يظهر إلي مدلول المَخْلاة التي أقرها مجمع اللغة العربية . وتدل اللفظة على جِبْلة مُتَعَدِّدة النوى ناجمة عن الْتِحام عدة خلايا[1] وأرجح تسميتها مُجَسَّم أو جَسَّاع جِبْلات متعدد النوى

١٣٠٥٩ ارتِباطُ العِظَام 13059 Syndesmose

وأرجح إرْتِباط عَظْمِي لِيفِي أو تَسَفْصُل لِيفي

13059 Syndrome d'anurie traumatique
(1) (chez les accidentés de l'écrasement)

١٣٠٥٩ تَنَاذُر زُرام رَضِّي (في المَدْعُوسين)

(١) وأقر مجمع اللغة العربية ترجمة (syndrome) بتلازمة وهي جملة أعراض متلازمة . لذا أرجح : متلازمة زَرَم[2] البول أو انْقِطاعُه الرَضِّي في المَدْعُوسين وأَذِيَّة الدَعْس ، مُتَلازِمَة الدَّعْس وكُلاءُ الوَحْدة الكُلْوية السفليَّة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[3]

١٣٠٥٩ تَنَاذُر العَادة 13059 syndrome d'habitude
(2)

(٢) وأفضل مُتَلازِمَة الاِعْتِياد

13061 syndrome de Lhermitte, lésion de la région dorsale des pédoncules cérébraux (troubles moteurs et hallucinations conscientes)

---

(١) لفظة (Syncytium) في معجم درلند الطبي.
(٢) الصفحة ٧٤٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٣) crush injurny, crush syndrome, lower nephron nephrosis.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٣٠٦١ تنـاذر لرميت ، آفةُ النَّاحيـةِ الظَّهْـريَّة للسُّوَيْقات الدِّماغيَّة (اضْطِرابات حَرَكيَّة وأهْلاس" مُدْرَكَة)

وأفضل مُتَلازِمَة لَرْميت، آفةُ النَّاحيةالظَّهريَّة لِلسُّـوَيْقَتَين الدِّماغيَّتَين (اضْطِـرابات" حَرَكيَّة وأهْلاس" مُدْرَكَة) ومُتَلازِمَة ماك ألْبين ، وداء الجُمْلَة الهَرَميَّة وخارج الهَرَميَّة المُشْتَرَك ؛ كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[1]

13062 syndrome (maladie) de Ménière
vertige labyrinthique, vertige auriculaire, surdité apoplectiforme, oticodinie.

١٣٠٦٢ تَناذُر (داء) مَنْيير ، دُوار تيهي دوار أذني، صَمَم سَكْتي الشكل .

وأفضل متلازمـة (داء) مَنْيير ، الدُّوَار التيهي ، دُوَار مَنْيير، الصَمَم السَّكْتِي الشَّكل والخَطْف الأُذُني ترجمة لـ (oticondinie) وقد أهملته اللجنة

13066 Synostose, soudure des os de crâne

١٣٠٦٦ التصاق عظام الجمجمة

---

(١) (Lhemitte's and McAlpine's syndrome,) (combined pyramidal and extra - pyramidal system disease)

(٢) في لسان العرب : الخَطْف الاسْتِلاب وقيل الخَطف الاخذ في سرعة وإستلاب . أقول وهي الترجمة الحرفية للفظة المذكورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة:قُسُوط عَظْمِي
وجاء في التعريف : وفيه يَتَّحد عظمان مُتَجاوِران بِمادَّة عَظْمِيَّة • وأفضل قَسَط[1] عِظَامِ الجُمْجُمَة والْتِحامِ عِظامِ الجُمجُمَة

١٣٠٦٧ مُتَعَلِّق بِرُطُوبَة المَفْصِل 13067 Synovial, le

١٣٠٦٨ رُطُوبَة المَفْصِل ، غِشاء مَصْلي 13068 Synovie

١٣٠٦٩ إلْتِهابُ الغِشَاء المَصْلي 139069 Synovite

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة في مصطلحات علم الطب الباطني ترجمة (synovia) بالسائل المُزلق ـ سينوفيا ، وجاء في التعريف : وهو سائل لزج في تجاويف المفاصل يسهل حركتها ، وفي مصطلحات علم الأمراض ومتفرقاتها : الغشاء الزلالي (للمفاصل)• وأرجح الزليل أو الغشاء الزَّليلي في اللفظة الاولى والْتِهاب الزَّلِيلي في الثانية

13070 Synovite crépitante, aï douloureux, ténosite ou ténalgie crépitante, ténosynovite aiguëe sèche

١٣٠٧٠ إلْتِهابُ الغِشَاء المَصْلي المُفَرقِع الآه المؤلم : إلْتِهابُ الغَمْد أو ألَم الغَمْد المُفَرْقع ، التهاب الغَمْد والغِشاء المَصْلي الحادّ الجَّاف

(١) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأرجح إلْتِهاب الزَّليلي المُفَرقع ، إلْتِهاب غَمْد الوَتَر المُفَرقع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[1]

13071 synovite fongueuse

١٣٠٧١ إلْتِهاب الغِشاء المَصْلي الكَمْئي
وأفضل الْتِهاب الزَّليل الكَمْئي

13072 Syphilide ١٣٠٧٢ أفْرَنْجِيَّة

13073 syphilide bulleuse ١٣٠٧٣ أفْرَنْجِيَّة فُقَاعِيَّة

13074 syphilide érythémateuse, roséole syphilitique

١٣٠٧٤ أفْرَنْجِيَّة حُمامَوية ، وَرْدِيَّة أفْرَنْجِيَّة .
وأرجح طَفَح أفْرَنْجي في اللفظة الأولى،وطَفَح" أفْرَنْجي فُقَاعي في الثانية وطَفَح أفْرَنْجِي حُمامَوي وطفح وَرْدِي أفْرَنْجِي في الثالثة .

13075 syphilide opaline ١٣٠٧٥ أفْرَنْجِيَّة لَبَنِيَّة اللَّون

13076 syphilide papuleuse, plaque muqueuse papuleuse syphilitique

١٣٠٧٥ أفْرَنْجِيَّة حَطاطِيَّة ، لَوْحَة مُخاطِيَّة
حَطاطِيَّة أفْرَنْجِيَّة
وأرجح طَفَح أفْرَنْجي على هَيْئة الحَليب في اللفظة الأولى وطَفَح أفْرَنْجِي حَطاطي في الثانية

13077 syphilide pigmentaire ١٣٠٧٧ أفْرَنْجِيَّة صِباغِيَّة

(١) (tendosynovitis crepitans, tendovaginitis crepitans)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٣٠٧٨ أفْرَنْجِيَّة سِلِّيَّة 13078 syphilide tuberculeuse

١٣٠٧٩ أفْرَنْجِيَّة قَرْحِيَّة 13079 syphilide ulcéreuse

وأفضل طَفَح أفْرَنْجِي في اللفظة الأولى وطَفَح أفْرَنْجِي دَرَنِي في الثانية وطَفَح أفْرَنْجِي قَرْحِي في الثالثة

13081 syphilis, vérole, mal napolitain

١٣٠٨١ دَاء أفرنجِي ، دَاء نابُولي

وأقر مجمع اللغة العربية في مصطلحات علم الامراض ومتفرقاتها البَجَل (الزُهري) (داء الزهري كما يسمى في البادية) ، وفي مصطلحات علم الطب الباطني وفي الهامش (السفليس) وجاء في الشرح : مَرَض تناسلي يحدث فيه كثير من التغيرات النسيجية والاصابات الجلدية . والذي أراه أن ترجمة (syphilis) بالأفرنجي أو بالدّاء الأفرنجي صحيحة واصطلح عليها في القديم : فقد جاء في تَذْكِرة داوُد الأنطاكي[1] ذكر الحَب الأفْرنجي مع وصفه الجَمْرة قائلا : والحَب الأفرنجي المعروف في مصر بالمبارك[2] وأعاد ذكره عند وصفه (نار فارسي) قائلاً : (ويقارب الحب الأفرنجي ، ويعرف في مصر بالمبارك تفاؤلاً وعند بعض العرب والحجاز

(١) تذكرة أولي الالباب والجامع للعجب العجاب تاليف داود بن عمر الانطاكي . الجزء الثاني : مادتا الجمرة ونار فارسي .

(٢) أذكر أن اسم حَب المبارك كان شائعاً في سورية أيضاً قبل الحرب العالمية الاولى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالشَّجَر ، وهو مرض عُرف ، من أهل إفْرنجة أولاً وتناقل عن قريب بجزيرة العرب سنة سبع وثمانمائة وتزايد حتى كثر . فلنبسط الكلام عليه لعموم البلوى به تبرعاً لله عز وجل ، فنقول : هو مرض يعدي بمجرد العشرة وأسرع ما يفعل ذلك بالجماع الخ) ومما ذكره في علاج الحَب الافرنجي : (ومما ينفع عنه طبيخ العذبة مع السنا،وأما مايستعمل من مزائر البقر فخطر وكذا أكل الزئبق المعمول بدقيق الحنطة الخ) .

وعليه فإن لفظة الزهري والمرض الزهري والامراض الزهرية منسوبة الى الزُّهَرة (إلهة الحب في أساطير الغرب) وهي مخصصة لـ (maladies vénériennes) وتشمل الداء الأفرنجي وداء السَّيَلان والقرحة اللينة، وأما البجل فهو شبيه بالافرنجي وعامله المرض قريب من عامل الداء الافرنجي .

13083 syphilis quaternaire accidents parasyphilitiques, parasyphilis

١٣٠٨٣ أفْرَنْجِي رَابِعِي ، عَوارِض ماوراء الأفرنجي
وأفضل أَفْرَنْجِي رابعي أو رُباعِي ، عَوارض الأفْرَنجي البعيدة ، الأفرنجي البعيد

13086 syphilitique

١٣٠٨٦ مُصاب" بالأفْرَنجي ، مَزهُور
وأفضل مُصاب" بالأَفْرنجي ولا أرى لفظة مزهور تعني ذلك(١)

(١) في لسان العرب : زَهَر السراجُ يَزْهر زُهورا وازدهَر تلألأ وكذلك الوجه والقمر والنَّجم ، الى أن قال المَزهور من أَزْهره الله كما يقال مجنون من أجنّه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٣٠٨٩ خَوْف مِنَ الأفْرَنجِي 13089 Syphilophobie
وأرجح رُهَاب الأَفْرَنْجِي

13090 Syringomyélie, gliomatose médullaire

١٣٠٩٠ تَكَهُّف النُّخاع ، دَاءُ النُّخاع الدِبْقي
وأرجح الدُّباق النُّخاعي في اللفظة الثانية

13091 Systématique, systématisé

١٣٠٩١ مِنهاجِي ، رَتِيب ، مُنظَّم
وأفضل مَنْهَجي ، مُنَسَّق ، مُرَتَّب

١٣٠٩٢ جُمْلَة دَوَرانِيَّة 13092 Système circulatoire
والجِهاز الدَّوراني أو جِهاز الدَّوران والجُمْلة الوعائيَّة الدَّموية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

13093 système dispersé, de dispersion colloïdale

١٣٠٩٣ جُمْلَة مُبَعْثَرة ، جُمْلَة تَبَعْثُر شَبْغَري
جُمْلَة مُبَعْثَرة أو مشتتة ، نِظامُ تَبَعْثُر الغُرَوانِيَّات

13094 systéme grand sympathique

١٣٠٩٤ جُمْلَة الوِدّي الكَبير
والجُمْلَة العَصَبِيَّة الوِدِّيَّة ، الجُمْلَة الصَّدْرِيَّةُ القَطَنِيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

---

(١) (blood - vascular system)
(٢) sympathetic nervous system, thoracolumbar system

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

13097 systéme pileux ١٣٠٩٧ جُمْلَة شَعْرِيَّة

وأفضل مَجْموع الأشْعار أو الجِلْد المُشعَّر تاركاً شَعْرِيَّة ترجمة لـ (capilaire) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٢١٠٨) وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[1]

13098 système ou apparil porte ١٣٠٩٨ جُمْلَة أو جِهاز الباب

وأفضل الجُمْلة البَابِيَّة أو الجِهاز البَابي

T

13103 Tabacosis (pneumoconiose par la poudre de tabac).

١٣١٠٣ إلْتِهابُ الرِّئَة التَّبْغِي (الناشىء من اسْتِنْشاق مسحوق التَّبْغ)

والصحيح تُباغ الرِّئة (تَعَبُّر الرِّئة[2] الناجم عن استنشاق غُبار التبغ)

13104 Tabagisme, nicotinisme

١٣١٠٤ تَبَغِيَّة (إنْسِمام بِالتَّبْغ) إنسمام بالتبْغين

وأفضل الانْسِمام بالتبْغ ، الانْسِمام بالنيكوتين ، التَبْغِيَّة ، النِّيكوتِينِيَّة

13120 tache miroitante d'antimoine

١٣١٢٠ بُقْعَة الإثْمِد المُتَرَأرِئة اللاَّمِعَة

---

(٢) (hairness, hair covering)

(٣) الصفحة ٢٢٨ من المجلد الحادي والخمسين من هذه المجلة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (antimony) بأتيمون • وأفضّل بُقْعَةَ الأتيمون اللاّمعة والمرآة الأنْتِيمونِيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1] وسبق للجنة أن ترجمت (nystagmus) برأرأة (اللفظة ٩٢٧٥)

13121 tache miroitante d'arsenic

١٣١٢١ بُقْعَةُ الزَّرْنيخ المُتَرَأرِأة اللاّمِعة

وأفضل المِرآة الأَرسِنيقيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2]

١٣١٢٦ خَفْقَة (إسْراع القَلْب) 13126 Tachycardie

وأفضل تَسَرُّع القلب تاركاً خَفْقَة وخَفَقان ترجمة لـ (palpitation)

13127 tachycardie orthostatique

١٣١٢٧ خَفْقَة إنْتِصابِيَّة (إسْراع القَلْب الانتِصابي)

13128 tachycardie paroxystique

١٣١٢٨ خَفْقَة إشْتِداديَّة (إسْراع القلب الاشْتِدادي)

وأفضّل تَسَرُّع القَلْب الانْتِصابي في الأولى وتَسَرُّع القَلْب الاِشتِدادي في الثانية

١٣١٢٩ إسْراع التَّنَفُّس 13129 Tachypnée

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة

(١) (antimony miror)

(٢) (arsenic miror)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالبُهْر[١] وأرجح تَسَرُّع النَّفَس

١٣١٣٥ أَلَمُ العُرْقُوب 13135 Talalgie, pternalgie

والصحيح أَلَم الكَاحِل ، أَلَم العَقِب

١٣١٣٧ عُرْقُوب 13137 Talon

والصحيح العَقِب[٢]

١٣١٤٠ طَبْل مُقَطَّع 13140 tambour manipulateur

وأفضل طَبْل مُتَلَقٍّ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

13145 tampon

١٣١٤٥ سِدادَة ، صِمَام

وأرجح سِدَام ، مَسَد ، حَشْوَة ، نَشْفَة[٤] .

وسبق للجنة أن ترجمت (bouchon) بسدادة (اللفظة ١٧٦٢) و (embolie) بسدة وصِمامة (اللفظة ٤٧٨٢)

١٣١٤٧ قَطِيلَةٌ غَزِّي 13147 tampon de gaze

وقطِيلة شاش[٥]

١٣١٤٨ دَكّ 13148 Tamponnement

---

(١) في لسان العرب : البَهْر إنقطاع النَّفَس من الاعياء ، والبَهر تتابع النَّفَس من الاعياء .

(٢) في لسان العرب : العُرْقوب ، العَصَب الغليظ المتوتر فوق عَقِب الانسان .

(٣) (receiving tambour)

(٤) في لسان العرب : النَّشْفة الصوفة التي يُنَشَّف بها الماء .

(٥) الصفحة ٨٤٦ من المجلد الاربعين من هذه المجلة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأرجّح سَطْم ، ضَغْط ، كَبْس (١)

١٣١٤٩ دَكّ ، وَقّى 13149 Tamponner

وأفضل سَطَم ، كَبَس ، نَشَف ، ضَغَط

١٣١٥٣ نُعَرَة ، قُمْعَة 13153 Taon

وأرجح الاقتصار على نُعَرَة باعتبار جنس هذا الذباب هو الناقل لبعض الطفيليات (٢)

١٣١٥٧ مَفِيض ، مَوْزون فارغاً ، مُسْتَغْيَر 13157 taré, ée

١٣١٥٨ غَيْض ، نَقِضه وَزْن الإناء فارِغاً 13158 tare

وأفضل ذو عاهَة ، فاسد في اللفظة الاولى ، وعَاهَة وخَلَل في اللفظة الثانية،كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٣)

١٣١٥٩ غَيْض" وِراثِي 13159 tare héréditaire

وأفضل عَاهَة مَوْرُوثَة

١٣١٦٥ طَرْطَرات ، دُرْدِيّات 13165 Tartrate

وأفضل طَرْطُرات

١٣١٧٠ قَلَح ، طَرَامة 13170 tratre dentaire

وأفضل ، قَلَح ،حُصَيّات سِنّيّة ، كما جاء في

(١) لفظة (tamponade) في معجم درلند الطبي .

(٢) في لسان العرب : الدَّك هَدْم الجبل والحائط ونحوهما .

(٣) (Tabanus) في معجم درلند الطبي

(٤) (taint, defect, infirmity)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[١]

13173 Taux, niveau, rapport

١٣١٧٣ سَوِيَّة ، مُسْتَوى ، نِسْبَة
وأفضل سِعْر ، ثَمَن ، مُسْتَوى ، نِسْبَة

13174 taux (d'un corps dans un liquide, titre)

١٣١٧٤ عِيار ، قِيمَة ، مَبْلَغ
(جِسْم في سائِل)
وأفضل مِقْدار ، نِسْبَة ، عِيار

13175 taux d'agglutination ١٣١٧٥ عِيارُ التَّراصّ
وأفضل نِسْبة التَّراصّ

13177 taux de prothrombine ١٣١٧٧ مبلغ طليعة الترومبين
وأفضل نِسْبَة البُروتْرُمبين

13178 taux supra-limitaire ١٣١٧٨ عِيار فَوق الحَدّ
نِسْبة فوق الحَد ، مُستَوى فَوْق العَتَبَة ،
كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٢]

13179 Taxis, tropisme ١٣١٧٩ إتِّجاه ، إنْحِياز
وأرجح إنْتِظام[٣] ، تَوَجُّه إنْحِياز ، تاركاً
إتِّجاه[٤] ترجمة لِـ (destination)

---

(١) (dental tarter, dental calculus)
(٢) (supralimital rate, suprathreshold level)
(٣) الصفحة ٨١ من المجلد الخامس والثلاثين والصفحة ٢٦٥ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .
(٤) الصفحة ٢٩١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

13180 Technique

١٣١٨٠ إصْطِلاح طَرِيقة العَمل ، خِطّة عَمَلِيّة
وأقرّ مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة
بالصَّنْعَة(١) والشائع تعريبها بتِقْنِيّة

13183 technique de Burri à l'encre de Chine

١٣١٨٣ طَرِيقَة عَمَل بُرّي بالحِبْر الصِّيني
(جراثيم)
وأفضل تَقْنِيّة أو صِنْعَة بُرّي بالحِبْر الصِّيني
(جُرثُوميات) وطَريقة الحِبْر الهِنْدِي والتَّلْوين
السالب كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي(٢)

13184 tégument (en direction du) ١٣١٨٤ الغِطاء (باتّجاه)
وأفضّلُ نَحْوَ الجِلْد خَارِجِيّاً كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٣)

13188 teigne microspirique, tandante,
teigne à petites spores de
Gruby - Sabouraud, microsporie

١٣١٨٨ سَعْفَة جَازّة دَقِيقَة البُزُور
سَعْفَة غُروبي ــ سابورو
بِبُزَيْرَاتٍ دَقِيقَة ، دَاءُ الدَّقِيقَة البُزور

---

(١) وجاء تعريفها في لمعجم الوسيط : الطريقة الخاصة التي تتبع في عمل يدوي أو ذهني.

(٢) (Indian ink method, negative staining)

(٣) (dermead, towords the skin)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأفضل سَعْفَة جَازَّة دَقِيقَة الأبْواغ[١] سَعْفَة غُروبي سَابُورو بأبواغٍ دَقيقَة ؛ دَاءُ الأبْواغ الدَّقِيقَة .

١٣١٩٠ لَوْن (الوَجْه) 13190 Teint (du visage)

والصحيح مَلامِح[٢] (الوَجْه) تاركاً لَوْن تَرجمة لـ (couleur)

١٣١٩٤ دِماغ" انْتِهائي 13194 Télencéphale, cerveau terminal

وأفضل الدِّمَاغ النِّهائي

١٣١٩٥ تَصْوير اشْعاعي عَنْ بُعْد 13195 Téléradiographie

وأفضل التَّصوير الشُّعاعي البَعِيد[٣]

١٣١٩٦ أَرْضي 13196 Tellurique

أرَضي تَلّوري أو تَلّوريومي نِسبَة الى عُنْصُر تَلّوريوم أيضاً[٤] .

13198 Tempérament, constitution morale

١٣١٩٨ مِزاج ، جِبْلَة

---

(١) الصفحة ٥٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (microspore) بالبوغ الصغير وجاء في التعريف : وحدة تناسلية لا جنسية وهي عادة في التريدات التالية الابواغ كما أنه أقر ترجمة (microsporangium) بحافظة الابواغ الدقيقة أيضا .

(٢) في لسان العرب : وملامح الانسان ما بدا من محاسن وجهه ومساويه .

(٣) الصفحة ٧٢٩ من المجلد الثاني والخمسين من هذه المجلة .

(٤) لفظة (telluric) في معجم درلند الطبي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأفضل مِزاج ، شِيمَة[١] وسبق لجِبِلّة أن قُبِلَت ترجمته لـ (protoplasme) [٢]

١٣٢٠٧ حَرارَة المُحِيط 13207 température ambiante

وأفضل حَرارة المَكان أو الحَرارَة الخارجيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣] ولأن المُحيط قد يعني غير ذلك .

١٣٢١١ حَرارَة دُونَ النِّظامية 13211 température subnormale

وأفضل حَرارة دون الطَّبيعية أو دُونَ السَّوِيَّة ، تاركاً نِظامي ونِظاميَّة ترجمة لـ (régulier) و (régulière)

١٣٢١٧ زَمَنُ الجَلْسة 13217 temps de pose

والصحيح مُدَّةُ التَّعْرِيض (للنور) وكما جاء في جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٤]

١٣٢١٨ زَمَنُ طَلِيعة التُرومبين 13218 temps de prothrompine

وأفضل زَمَن البُروتُرومبين [٥]

(للبحث صلة)

---

(١) في لسان العرب : الشِّيمَة الخُلق ، والشِّيمة الطَّبيعة وتَشَيَّم أباه أشبهه في شِيمته .

(٢) الصفحة ٤٧١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (external temperature)

(٤) (exposure time)

(٥) انظر الصفحة ٤٤٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حروف الجرّ

الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

ليس شيء أولى بالتدبّر ، وأحق بطول الدربة والدراية ، من استعمال حروف الجر . إذ لا يكفيك للتثبت في صحة اختيار الحرف ، لتصريف الفعل في معنى من معانيه ، أن تعود الى المعاجم وحدّها ، بل لا يجزيك حيناً أن تقف ، في كتب النحو ، على ما يطرد فيه استعمال كل حرف ، أو يغنيك أن تطلع على مايتصل بذلك من علوم اللغة غير النحو ، أو تضرب بسهم في تصفح كتب الادب نثره وشعره . ذلك أنه لا بد ، لإحكام استعمال هذه الحروف ، من أن تعلق من كل ذلك بسبب وتحظى بطائل ، ويكون لك فيه قدم ومنه حظ . فيتحصل بمطالعتك هذه ومدارستك ، ما يبصّرك بتصريف هذه الحروف وإجرائها في مجاريها ، ويفقهك فيما يكون لها من شأن في تحديد معاني الافعال ، ومن أثر في تغيير دلالاتها . فيتسنى بهذا تمييز صحيح القول من فاسده ، واستبانة جيده من رديئه .

ومهما اتسع القول في هذا الباب وتشعبت مسالكه وتباينت وجوهه ، فإن ثمة ضوابط يُسترشد بها ، ومعالم يستهدى بضوئها . وسأذكر من ذلك ما يسهّل سبيل الحكم فيه ويوطىء أسبابه فيكون زماماً لما يراد من أشباهه وعياراً لما قد يتعذر طلبه منه أو يشتد إدراكه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١)

فمدار الامر قبل كل شيء أن الفعل إذا عُدّي في المعاجم بحرف ، فليس يلزم من هذا ألاّ يتعدى بسواه اذا اقتضى معناه ذلك • فقد حكى الإمام السيوطي في الاشباه والنظائر (٣/١٧٦) عن أبي نزار قوله (إن الفعل قد يتعدّى بعدة من حروف الجر على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل • لأن هذه المعاني كامنة في الفعل ، وانما يثيرها ويُظهرها حروف الجر) ، وأردف : (وذلك أنك إذا قلت خرجت فأردت أن تبين ابتداءَ خروجِك ، قلتخرجت من الدار • فإن أردت أن تبين أن خروجك مقارن لاستعلائك ، قلت خرجت على الدابة • فإن أردت المجاوزة للمكان قلت خرجت عن الدار • وإن أردت الصحبة قلت خرجت بسلاحي •• فقد وضح بهذا أنه ليس يلزم في كل فعل ألاّ يتعدى إلا بحرف واحد)•

فأنت ترى أن الإمام قد عمد الى تصريف الفعل في وجهاته بحروف اطّرد تصريفه فيها • وقد فعلتُ نحواً من هذا في كتابي (أخطاؤنا في الصحف والدواوين) الصادر عام ١٩٣٩ م ، حين مضيت في تصريف (أجاب) بعدة من الحروف لابراز وجهة الفعل مع كل حرف ، فقلت : (أجبت في الكتاب ، وبالكتاب ، وأجبت عنك ، وعلى ورقة بيضاء ، ولأمر مهم ، وعن الاسئلة من أولها الى آخرها) ، كل ذلك على جهة القياس والاطراد •

فيستبين بذلك أنه لابد في اختيار الجار من أن تأخذ فيه بالسماع والقياس • ويرد النصّ بالسماع في المعاجم ، وهي لاتجاوزه عادة ولا تعدوه • ويعرف القياس في كتب النحو والأمهات اللغوية فيفصّل فيها وجوه تصريف هذه الحروف في وجهاتها المطّردة • فإذا نُصّ في المعجم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على استعمال حرف مع فعل من الافعال أُخذ به للافصاح عن الدلالة المعينة للفعل باستعماله • ولا يمنع هذا أن يصرَّف الفعل في وجوه أخرى باستخدام حروف اطرد جريانها قياساً في وُجُهاتٍ مُحدَّدة • وقد يتفق لك استعمال فعل بحرف سماعي وآخر قياسي لقصدين متماثلين •

وقد مثَّلت لذلك بأن قولك (أعاون على انشاء المعمل ، وأساعد على ادارة شؤونه) مثلا ، على التعدية السماعية ، لا يمنع من قولك على القياس : (أعاون في إنشاء المعمل وأساعد في ادارة شؤونه) • ذلك أن (في) تستعمل مع ظرف حقيقي كالدار والبيت والمسجد ، كما تستعمل مع ما يتصوَّر أو يقدَّر له حيِّز من ظرف تقديري أو مجازي • قال الإمام أحمد بن عبد النور المالقي في كتابه (رصف المباني في شرح حروف المعاني): « إعلم أن ــ في ــ حرف جارٌّ لما بعده • ومعناها الوعاء حقيقة أو مجازاً• فالحقيقة نحو جعلت المتاع في الوعاء ، ومنه قوله تعالى : أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ــ البقرة / ٣٩ • والمجاز كقولك دخلت في الامر وتكلمت في شأن حاجتك • ومنه قوله تعالى : ادخلوا في السِّلم كافة ــ البقرة / ٢٠٨ ، وقوله تعالى : وتنازعتم في الامر ــ الانفال / ٤٣) •

فـ (في) في قولك (أعاون في انشاء المعمل ، وأساعد في إدارة شؤونه) للظَّرفية المجازية أوالتقديرية • فـ (المعاونة) انما تأتَّت في (الانشاء) و(المساعدة) انما جرت في (الادارة) • أما المعاون عليه هاهنا والمساعد عليه فهو (الصعوبة) التي قدر أنها تعترض الانشاء وتعوق الادارة عادة• وقد استغنىعن ذكر (على) بذكر (في) لظهور الغرض بهذه • وقد يكون التقدير في ذلك (أعاون على تذليل الصعوبة في انشاء المعمل ، وأساعد على تيسير الامر في ادارة شؤونه) فإذا حذف ما أمكن الاستغناء عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذكره ، صح قولك (أعاون في انشاء المعمل وأساعد في ادارة شؤونه) واستقام .

وقد استظهرنا فيما ذهبنا اليه بقوله تعالى : (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ـ الانفال / ٧٢) فإنه على الظرفية المجازية أو التقديرية . ولايخفى أن المستنصر عليه هاهنا أعداء الدين ، وقد حذف لظهور الغرض بما ذكر . وقد جاء على أصل التعدية السماعية قول الرسول ﷺ « اللهم أعنّي على ديني بدنياي ، وعلى آخرتي بتقواي » والمستعانُ عليه ، في الحق ، كل ما ينأى بك عن الدين أو يصرفك عن الآخرة .

وقد استشهدنا بالحديث (كلُّ سُلامى عليه صَدَقة ، كل يوم يُعين الرجل في دابّته ، يحامله عليها ويرفع عليها متاعَه ، صدقة) . ففي شرح صحيح البخاري للعدوي أن (قوله يحامله .. أي يساعده في الركوب)، وبالحديث (كلوا وأطعموا وادّخروا ، فإن ذلك العام كان بالناس جَهْد، فأردتُ أن تُعينوا فيها) . فقد ذكر أن الضمير في (فيها) عائد الى المشقة المفهومة من الجهد ، فيكون تقدير الكلام (فأردت أن تُعينوا الفقراء في المشقة) .

ومن ذلك قول عليّ رضي الله عنه (فمن صَدَّق بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاعانة بالله ، في نيل المحبوب ودفع المكروه).

وفي شرح الحماسة للمرزوقي (١١٧٤) : (واستعن بالصبر في كل ما تزاوله وتراوده) . ومن هذا القبيل ماجاء في كليلة ودمنة (في باب بعثة برزويه) : « وإنه محتاج الى معاونتهم في ذلك / ٣٦ » . ونظيره ما جاء في زهر الآداب وثمر الالباب (٢/٤٥) : « واعتذر إليه في مدحه لغيره »،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاصل (من مدحه لغيره) • وما جاء في كتاب حجج النبوة للجاحظ (وإن كان يرى أنه حاسد في شيء فهو يرى أنه محسود في شيء /١٢٨)، والاصل (وإن كان يرى أنه حاسد على شيء ، فهو يرى أنه محسود على شيء)، وقوله (وأن مناكحهم مقصورة فيهم ١٤٢/٠٠) والاصل (مقصورة عليهم) •

فإذا عَرفتَ هذا فلا بدع اذا استسرفتَ أن يسنع الاستاذ أسعد داغر في (تذكرة الكاتب) قول القائل (يعاونهم في إنشائها ويساعدهم في ادارة شؤونها) ، قال (وتعدية هذيْن الفعلين بـ ــ في ــ خطأ صوابه بعلى)• والصحيح ما ذكرناه وفصّلنا القول فيه • فإن استعمال ــ في ــ قد أغنى عن استعمال ــ على ــ واستقام بها التعبير •

قال قيس بن الحطيم الأوسي :

وساعدني فيها ابن عمروبن عامر زهيرٌ فأدّى نعمة وأفاءها

فقال المرزوقي في شرح الحماسة (١٨٦) : (ويكون المعنى ساعدني في هذه الطعنة ••) • وليست ــ في ــ هاهنا بدلا من ــ على ــ وإنما هي قد أغنت مُغناها •

ثم أنكرنا أن يعيب داغر استعمال ــ في ــ في قول القائل (ويبذل عنايته في طبعها) ويوجب استعمال الباء • ونحن لانعارض تعدية العناية بالباء لكنّا نعتقد صحة قول القائل (في طبعها) على الظرفية المجازية ، والتقدير (يبذل في طبعها عنايته) على حدّ قول الحريري في مقدمة مقاماته (وبذلت في مطاوعته جُهد المستطيع) •

وقد أنكر الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على ماجاء في كتاب أغلاط اللغويين القدماء للكرملي ، ما أنكرناه ، لكنه قال : (فقال الناقد : صوابها على إنشائها ، لأنه لم يَرَ تعدية عاون في المعاجم اللغوية ، وهي غير مستوفاة البحث ، ولا مستقصاة التحري) • فقلنا في الجواب عنه : (لا وجه ثمة لما عاب به الدكتور جواد معاجم اللغة فيما ذكر ،لان المعاجم لم تؤلّف لتبسط القول في القياس المنقاد ، وانما قامت لتنصّ على السماع ، بل على ما لا يتأتّى الاهتداء اليه بالقياس ، قبل كل شيء • وقد تشير الى القياس وتمثل له لاستبانة وجه من الوجوه، أو التنبيه على ما يقع فيه اللبس أو الخفاء فتكشف عنه • لكنها لاتعاب ولا تُنتَقص ، بالقصور عن الاستيفاء اذا أغفلت أن تستوعي التمثيل للقياس الظاهر في الاصل • وانما يؤخذ القياس المطّرد ويُعرف مسراه بالاطلاع على ما قرره النحاة في أسفارهم بالبحث والاستقراء)•

هذا واذا أردت الاحتكام الى المعجم في قول القائل (يعاونهم في انشائها) لتكون على يقين من صحته وثقة من سداده ، فليس لك الاّ أن تطلب فيه حرف (في) • قال الجوهري في صحاحه : (في : حرف خافض، وهو الوعاء والظرف ، وما قدّر تقدير الوعاء • تقول الماء في الإناء وزيد في الدار ، والشك في الخبر) • ف ــ في ــ في قوله (الشكّ في الخبر) على الظرفية المجازية أو التقديرية ، وهو كقولك (المعاونة في إنشائها) •

(٢)

وقد يتعاقب (في) و (على) على الموضع الواحد ، فلا يعني هذا أنهما بمعنى ، إذ يكون كلٌّ على ماهو قياسه • فأنت تقول (في الغالب وعلى الغالب) و (في الجملة وعلى الجملة) ، و (في الاقل وعلى الاقل) و (في الندرة وعلى الندرة) •••

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأما استعمالك (في) فإنه هاهنا على الظرفية المجازية أو التقديرية. فالاصل ، كما مر بنا ، أن تدخل (في) على ماهو ظرف حقيقي ، لكن العرب أدخلتها أيضا ، على كل ما تصوّرت له حيِّزاً فأنزلته منزلة الظرف الحقيقي . قالوا (نظرت في الامر) و (فكرت في المسألة) و (أعنته في مسعاه) . وهم حين قالوا (في الجملة) مثلا قدروا الحيِّز في هذا ، كما قدّروه في (الاقل) و (الندرة) وهكذا ...

أما قولهم (على الجملة) مثلا فيعني أن الكلام قد بُنيَ على هذا الاعتبار ، ونحو ذلك قولهم (على الاقل) و (على الندرة) وهكذا ..

وغريب ، على هذا ، أن يردّ الدكتور مصطفى جواد قول القائل : (على الاقل وعلى الاعم وعلى الغالب) ويجعل صوابه (في الاقل وفي الاعم وفي الغالب) . وقد استظهر ببعض ما جرت به أقلام الأئمة في استعمال (في) في هذا الموضع . وكأن استعمال هذا الحرف في هذا المقام، مانع من إعمال آخر في مثل موضعه بتقدير آخر .

وأورد الاستاذ جواد من كلام الأئمة قول الرضيّ (يكون المقتضي أمراً خفياً معنوياً ، وما يقوم به المقتضي أمراً جلياً في الاغلب) . وعلّق عليه فقال : (فهذا النحوي الكبير قد اتبع الفصحاء في هذه العبارة) ، وأردف: (ونيابةُ حروف الجرّ بعضها عن بعض نادرة وليست قياسية) . والجواب عن ذلك أن نيابة حرف عن حرف انما تكون اذا استعمل الحرف في موضع ليس من مواضعه المطردة في الاصل ، لانه موضع عرف به حرف آخر . والبصريون على تأويل ذلك وحمله على الشذوذ . فقد جاء في الهمع (٢/٣٥) : (علم مما حُكيَ عن البصريين في هذه الاحرف من الاقتصار على معنى واحد لكل حرف ، أن مذهبهم أن أحرف الجرّ لاينوب بعضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن بعض بقياس . كما أن أحرف الجزم كذلك . وما أوهم ذلك فإما مؤول تأويلا يقبله اللفظ ، أو على تضمين الفعل معنى فعل يتعدّى بذلك الحرف أو على النيابة شذوذاً ...) . وليس ما نحن فيه ، على كل حال ، من قبيل نيابة حرف عن حرف . وكل ما في المسألة أن الرضيّ قد أجرى (في) فيما وضعت لهُ قياساً .فقوله (في الاغلب) على تقدير (في الامر أو الحكم الاغلب).و(في)هاهنا للظرفية المجازية أو التقديرية . وقد كان له أن يأتي بـ (على) فيما وضعت له اطراداً أيضاً ، ولكن على تقدير آخر ، فيقول (على الاغلب) أي (مبنياً على الامر أو الحكم الاغلب) أو (مترتباً على ذلك) أو (محمولا عليه) . وكلٌّ على بابه . فانظر الى قول الرضي نفسه في شرح الشافية (١/١٨١) : (وكذا المال المنتفع به على الاغلب) . وإلاّ فأي دليل للاستاذ على المنع ، وكيف يستجيز القطع في هذا بلا حجة ، والجزم بلا بيِّنة .

وانظر الى ماجاء في مقدّمة مختار الصحاح للامام أبي بكر الرازي (وأما الاسماء فإنا ضبطنا كل اسم يشتبه ، على الاعم والاغلب) . وهذا موضع (على) في أصل الوضع .

وكما تقول (على الغالب) فقد يتفق أن تصرّح بالاصل فتقول (حملا على الغالب) أو (بناء على الغالب) . قال صاحب الكليات أبو البقاء (١٦٣) : « والغاية تدخل في حكم ما قبلها مع حتى ، دون الجار ، حملاً على الغالب » . وقال (٩٨) : « وقولهم بناء على كذا ... أي لأجل البناء . أو بانياً أو يبنى بناء ... » .

وأنت تقول (على الاكثر) كما تقول (على الاغلب) . قال الرضي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نفسه في شرح الشافية (١/١٣٦) : « وجاء وَزَع يَزِع بالكسر على الاكثر » .

وتقول (على الجلة) أيضاً ، كما تقول (في الجلة) ، فانظر الى قول ابن جني في الخصائص (٢/٣٩٠) : « فعلى الجلة فكلما ازداد الجزءان اتصالا ، قوي قبح الفصل بينهما » وقوله أيضاً (١/٢٣٦) : « وعلى الجلة فقد كثر منهم تأنيث فعل المضاف المذكر اذا كانت إضافته الى مؤنث » . وانظر أخيراً الى ما جاء في أساس البلاغة (وإني لألقاه في الندرة وعلى الندرة أو النَّدَرى) .

هذا وقد عاب الدكتور جواد على المفسّرين أنّهم أهملوا بيان الفرق بين وجهَي الاستعمال في إثبات (في) وإسقاطها في قوله تعالى (فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي ـ الفجر / ٢٩) ، وقال : (فالزمخشري على ولعه بالكتب النحوية والبلاغية لم يقل في تفسير ذلك الا : فادخلي في عبادي ، في جملة عبادي الصالحين .. وادخلي جنتي معهم ، فهو لم يتعرّض لاختلاف الوجهين . وأهمل ذلك ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة / ١٨٦) ، وأردف قائلا « والوجه عندي أنه لما استعمل ـ ادخلي ـ للظرف المكاني ، وهو الجنة نصبه على الاتساع . ولما استعمل لغير الظرف وهو ـ عبادي ـ جيء بحرف الجر » .

أقول إن الأستاذ جواداً لم يزد على ما قاله الأئمة وفصّلوه شيئاً . ولو أردنا أن نبسط القول فيما ذكروه ونزيد في إيضاحه لقلنا إن (دخل) إما أن يُستعمل مع ظرف حقيقي كالجنة والدار والبيت والمسجد والمكان ، وإما أن يستعمل مع مايتصوّر أو يقدّر له حيّز من ظرف تقديري أو مجازي كالأمر والرحمة والعباد .. من غير الأمكنة . فإذا كان الاول جاز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حذف الجار ، أو اتفق الثاني امتنع الحذف • وقد اجتمعا في قوله تعالى (فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) • فقد أثبتت (في) قبل عبادي إذ قدر حيِّز (لجملة العباد الصالحين) على الظرفية التقديرية أو المجازية • وهذا ما حمل الزمخشري أن يقدر في كشافه (مضافاً) فيقول (في جملة عبادي الصالحين) قصد تصوير هذا الحيز • وهكذا فعل الرضي في شرح الكافية (٣٢٧/٢) اذ قال : (أي حاصلة في زمرة عبادي) • وقد أسقطت (في) قبل (جنتي) في الآية ، لأن الجنة ظرف من الامكنة تحقيقاً • وانما قيل إن حذف الجار فيه على الاتساع لأنه ظرف مختص[1] • ولو كان ظرفاً مبهماً لكان الحذف فيه على القياس كقولك : دخلت أرض الشام •

ومما جاء على الظرفية التقديرية أو المجازية فوجب فيه إثبات الجار، قوله تعالى (وأدخلناه في رحمتنا / الانبياء ٧٥) • قال ابن جني في الخصائص (٤٤٢/٢) : « كأنه زاد في أسماء الجهات والمحال اسماً هو الرحمة » ثم قال « إذ صُيِّر الى حيز ما يُشاهد ويُلمس ويُعاين » أي اعتدّ لفظ (الرحمة) ظرفاً كما لو أن له حيزاً يُشاهد ويُلمس ويُعاين •

وهكذا قولك (دخلت في الامر) فإنه على الظرفية التقديرية أو المجازية • ولا بد فيه من إثبات الجار • قال المرزوقي في شرح الحماسة (١١٢١) : « وفي أنهم يقولون دخلت في الامر فيتعدّى بفي لاغير » ، أي أي لابد من تعديته بـ (في) ، ولا مساغ هنا لحذفها البتة •

أما قولك (دخلت الدار أو البيت أو المسجد) فهو على الظرفية الحقيقية لانها أمكنة ، ولذا جاز فيها حذف الجار ، لكن الحذف فيها

---

(١) الاصل فيه دخول الجار • قال ابن سيده في المخصص (٧٠/١٤) : « الا أن يجيء في شيء من ذلك اتساع فيكون الحرف معه ـ أي مع الظرف المختص ـ محذوفا كما حكاه سيبويه» •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اتساع ، لأن (الدار والبيت والمسجد) ظروف مختصة • قال ابن جني في الخصائص حول قولك (دخلت داراً ــ ٢/٤٤٤) « ولا مجاز في هذه المفعولات » أي أنها ظروف حقيقية فهي أمكنة ، وأردف : (ولكن في الافعال الداخلة اليها مجاز) ، وهذا ما أوجب أن يكون الحذف فيها على الاتساع مجازاً •

وقد اختلف العلماء في مفعول (دخل) هاهنا ، أمنصوب هو على الظرفية تشبيهاً للظرف المختص بالظرف المبهم ، أم على إسقاط الجار اتساعاً ؟ قال سيبويه وبعض المحققين بالرأي الاول (الهمع ١/٢٠٠) وذهب ابن هشام في المغني الى الثاني (٢/١٣٧) فقال : « وإنما يكون ظرفاً مكانياً مبهماً » وأردف « والصواب أن هذه المواقع ــ أي الدار والمسجد •• ــ على إسقاط الجار توسعاً » • وارتأى آخرون غير هذا وذاك •

أما مالم يكن مكاناً البتة فلا سبيل فيه الى إسقاط الجار • قال الرضي (٢/٢٧٠) : « فإن كان تعدّيه بنفسه قليلاً نحو : أقسمت بالله ، أو مختصاً بنوع من المفاعيل كاختصاص دخلت بالتعدي الى الامكنة • وأما غيرها فـ ــ بفي ــ نحو دخلت في الامر) • أي أن دخلت انما تختص في تعديها المباشر بالامكنة • فاذا كانت مبهمة كان النصب قياساً ، أو مختصة كان على غير قياس • وأما في غير الامكنة فلا بد من (في) • وهذا ما أتى به الاستاذ جواد حين قال : (ولما استعمل لغير الظرف••جيء بحرف الجر)!

ودعا الدكتور جواد ، حين اعتقد أنه اهتدى الى ما لم يسبق إليه ، الى دراسة القرآن دراسة لغوية ودراسة نحوية عوداً على بدء (ففي ذلك نعش العربية من كبوتها ••) أقول ان الدعوة الى هذا أمر حق • اذ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يستصبح بتدبر القرآن واستبطان نصوصه في الكشف عما أعضل فهمه أو تخريجه من مسائل النحو واللغة وفي تصحيحه وتثقيفه ، وهو جدير بالاهتمام خليق بالعناية . لكن الوقوف على ما انتهى اليه السابقون من ذلك والتروئة فيه والغوص عليه ، أمر لابد أن يتقدّم هذه الدراسة ويوطىء لها .

(٣)

وقد يتعاقب (على) و (الباء) على الموضع الواحد ، فيبقى كل منهما على بابه وقياسه . وقد يكون أحدهما في نحو دلالة الآخر ، أو يفيد معنى غير معنى صاحبه. فأنت تقول (جزيته على فعله،وجازيته عليه،وكافأته عليه، وعاقبته عليه ، وعذبته عليه ، وآخذته عليه ، وحاسبته عليه وأثبتّهعليه) كما تقول : (جزيته بفعله ، وجازيته به ، وكافأته به ، وعاقبته به ، وعذبته به، وآخذته بـه ، وحاسبته به وأثَبْته به) . وليس استعمال هذه الافعال بعلى ، مانعاً من تصرّفها بالباء بحال من الاحوال .

قال الاستاذ محمد العدناني في معجمه (الاخطاء الشائعة) : «ويقولون آخذه على ذنبه ، والصواب آخذه بذنبه مؤاخذة وعاقبه عليه . جاء في الآية / ٢٢٥ / من سورة البقرة : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . وقد جاء الفعل : آخذه بكذا ، وبمعنى عاقبه على كذا ، سبع مرات أخرى في القرآن الكريم » .

وفحوى كلام الاستاذ أنه اذا تعدّى الفعل في التنزيل بحرف في وجهة ما ، امتنع تصرّفه بحرف آخر في نحو وجهته ، وقال في معجمه : « ويقولون آخذه على ذنبه والصواب آخذه بذنبه مؤاخذة : عاقبه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه) وليس القول ما قال • والصحيح أن نستهدي آي التنزيل لنقطع بصحة نهج جاء على مثالها في التعبير ، وليس سديداً أن نستنصحها لنمنع بها مثالا جاء على غير نهجها ، ما اتّفق له وجه من العربية وسبيل قاصد من سبلها • وليس بحث القرآن عن عدد المواضع التي أتى الفعل فيها بالباء بشيء قل أو كثر •

فهذا (جزى) و (جازى) • قال صاحب المصباح (جزاه الله خيراً أي قضاه وأثابه عليه •• وجازيته بذنبه : عاقبته عليه) • وفي الحديث: (الصوم لي وأنا أجزي به) • وفي مفردات الراغب : (ويقال جزيته بكذا وجازيته) • وقال ابن القوطية (جزيتك جزاء كافأتك بفعلك من خير أو شر) • وقال الجوهري في صحاحه (جزيته بما صنع جزاء وجازيته بمعنى) وفي التنزيل (وجزاهم بما صبروا جنة ــ ١٢) و (جزيناهم ببغيهم ــ الانعام / ١٤٦) و (جزيناهم بما كفروا ــ سبأ/ ١٧) • ولم يتعدّ (جزى وجازى) في التنزيل بهذا المعنى بغير الباء • فهل يلزم من تعديهما في هذه النصوص جميعا ، بالباء ، على هذا النحو ، أن يمتنع تعديهما بسواه ، ليؤدّيا ما كانا يؤدّيانه بالباء أو نحواً منه ؟

فانظر الى ماجاء في (باب السائح والصائغ) من كتاب كليلة ودمنة: (نجزيك بما أسديت الينا من المعروف / ٢٧٣) • وما جاء في (باب بعثة برزويه) : (لنجزيه على ماكان منه /٤٤) و (فإنه سيُجزى على خلابته ومكره / ٤٥) ، وماجاء في (باب القرد والغيلم) : (أجازيك على إحسانك / ١٩٦) •

وقال ابن الاثير في النهاية حول الحديث(الصوم لي وأنا أجزي به):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(لِمَ خصَّ الصوم والجزاء عليه بنفسه عز وجل .. وتولَّى الجزاء عليه بنفسه) . فدلَّ هذا أن تعدّي (جزى وجازى) بالباء لم يمنع من تعديهما بعلى .

وهذا (كافأ) فانظر الى ماجاء في كتاب الحجاب للجاحظ :

وحقي أن تكافيني مزيداً بشكري إذ به نزل الكتاب

وماجاء في باب السائح والصائغ من كليلة ودمنة / ٢٧٣ / : (لعلي أكافئك بما صنعت إلي من معروف) . وما جاء في موضع آخر منه / ٢٧٢ / (فيقوم بشكر ذلك ويكافيء عليه أحسن المكافأة) . وفي الصحاح (وكافأته على ماكان منه مكافأة وكفاء جازيته) . وفي أساس البلاغة (وكافأته بصنعه جازيته) . فكشف هذا بأن تعدّي (كافأ) بالباء لم يحُل دون تعدّيه بـ (على) ولا منع منه .

وهذا (عاقب) فقد قال الجوهري في الصّحاح (وقد عاقبه بذنبه) وجاء في اللسان (وفي الحديث من أصاب من ذلك شيئاً أُخذ به، يقال أُخذ فلان بذنبه أي حُبس وجُوزي عليه ، وعوقب به) . وهو كلام ابن الاثير في النهاية. فاستبان أنك اذا أردت الكشف عن سبب العقاب عدّيته بالباء . وانظر الى ماجاء في المصباح (وجازيته بذنبه عاقبته عليه) . وماجاء في نهج البلاغة (٢/٥٦) : (إن من عزائم الله في الذكر الحكيم ، التي عليها يثيب ويعاقب) ، وفي كتاب (فضل هاشم على عبد شمس) للجاحظ : (ومن لم يزل يعفو عن العمد ، كيف يعاقب على السهو) ، وفي احدى رسائله الخاصة (فإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك ، من مقدار عقابك عليه ، فانظر في علّته / ٣١٥) ، تجد أن قولك (عاقبته على ذنبه) صحيح، وفي نحو قولك (عاقبته بذنبه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما استعمال (الباء) مع الفعل في قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين / النحل ١٢٦). وقوله عز وجل (ذلك ، ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بُغي عليه ، لينصرنه الله ، إن الله لعفوٌ غفور ــ الحج/٦٠)،فليس لكشف سبب العقاب، وإنما لإظهار طريقة العقاب وحدّه. فليس لمن عذّب على نحو أن يقتصّ على نحو يتجاوز به حدّ ما عذّب . فمن عَذَّب بمثل ما عُذّب ، ثم بُغي عليه بالعودة الى تعذيبه لينصرنّه الله قال البيضاوي (وفيه دليل على أنّ للمقتص أن يماثل الجاني ، وليس له أن يجاوزه . وحثّ على العفو تعريضاً بقوله : وإن عاقبتم ، وتصريحاً على الوجه الآكد بقوله : ولئن صبرتم لهو خير للصابرين).

أما (المؤاخذة) فالقياس جواز تعديته بعلى كما عُدّي بالباء . فانظر الى كلام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ، والله غفور حَليم ــ البقرة/٢٢٥) ، قال:(حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجدّ،تربصاًللتوبة) فعدّى (المؤاخذة) بعلى . ونظير هذا قوله في تفسير قوله عز وجل (قال لا تؤاخذْني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري عسراً ــ الكهف/ ٧٤) ، قال : (لا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة ، والمؤاخذة على المنسي فإنه يقال رهقه اذا غشيه ، وأرهقه إياه) ، فعدّاه بعلى أيضاً . وهو يعلم حق العلم أن تعديته قد أتت بالباء حيثما اتفق في الآي .

وهذا (حاسب) فقد جاء في التنزيل (وإن تُبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه ، يحاسبكم به الله ــ البقرة / ٢٨٥) فعُدّي الفعل بالباء . وجاء في نهج البلاغة (١/١٠٤) : (فما أخذوه منها لها ــ أي ما أخذوه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الدنيا لأجلها ــ أُخرجوا منه وحوسبوا عليه ، وماأخذوه منها لغيرها، قدموا عليه وأقاموا فيه) . وجاء فيه (١/١٥٦) : (لها مرتهنون وعليها محاسبون) فوُصل الفعل بعلى ولم يوصل بالباء .

وهذا (أثاب) ، قال تعالى (فأثابهم الله بما قالوا ــ المائدة / ٨٨). وفي نهج البلاغة (٢/٥٦) : (إن من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ، ولها يرضى ويسخط ... أن يخرج من الدنيا لاقياً ربَّه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ..). فثَبَت أنك تقول (أثَبْته بكذا) و (أثَبْته عليه) .

والذي يتبين بما بسطنا ويتضح بما فصَّلنا ، أنَّ قولك (آخذته على ذنبه) كقولك (آخذته بذنبه) ، صحيح ، مستقيم ، لاسبيل عليه لآخذ ، خلافاً لما ذهب اليه الاستاذ العدناني . ولكن ما موضع الباء هاهنا ، وما موضع (على) ؟

أقول إن (للباء) في هذا الموضع دلالتين : الاولى أنها للسبب ، فإذا قلت (آخذته بذنبه) كان معناه (آخذته بسبب ذنبه) . قال ابن هشام في المغني : (الرابع السببية نحو إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ــ البقرة / ٥٤ ، فكلاً أخذنا بذنبه ــ العنكبوت / ٤٠) . الثاني : أنها للمقابلة ، وهو الارجح ، قال ابن هشام في المغني : (الثامن المقابلة ، وهي الداخلة على الاعواض ، نحو اشتريته بألف ، وكافأت إحسانه بضعف وقولهم : هذا بذاك ، ومنه : ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ...).

أقول انما استؤديت (المؤاخذة) بتعديتها بالباء هاهنا معنى المجازاة مقابلة ومكافأة . وعندي أن آي التنزيل على ذلك . فقولك (آخذته بما فعل) انما يعني أنك آخذته مؤاخذة تقابل ما فعل . وفي هذه المقابلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معنى المناسبة أو المكافأة . فقولك كافأته على مافعل معناه جازيته . قال الجوهري في الصحاح (وكافأته على ما كان منه مكافأة وكفاء جازيته). لكن قولك كافأته بما فعل تعني الى ذلك شيئا آخر . قال الزمخشري في الاساس : (كافأته بصنعه جازيته جزاء مكافئاً لما صنع) . وفي نهج البلاغة (٢/٣٥) : (ولاتخاطبنا بذنوبنا) . قال الشارح : (لاتخاطبنا أي لاتدعنا باسم المذنبين ، ولا تجعل فعلك مناسبا لأعمالنا) .

أما (على) في قولك (آخذته على مافعل) فإنه للسبب.وهو نظير قولك (حاسبته عليه،وعاقبته عليه،وجازيته عليه،ووبخته عليه،ولمته عليه ...) بل هو كقولك (عذّبته عليه) أيضا . فإذا كان قد جاء في التنزيل (فلم يعذبكم بذنوبكم ــ المائدة / ٢٠) فإن استعمالك (على) مع الفعل قد جاء على قياس أيضا . ففي نهج البلاغة (٢/٣٢) : (ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلّك معذّب عليه) .

وخلاصة القول أن النصّ على تعدية (المؤاخذة) بالباء ، لم يمنع من تعديته بعلى كما رأيت . فلا وجه للنأي عنه أو الاعتراض عليه البتة .

(٤)

وقد يتعاقب (على) و (اللام) على موضع ، فتقع (على) موقعها سماعاً ويتفق أن تأتي (اللام) في معنى (على) أو مايخالف معناها ، على وجه من القياس .

قال الاستاذ أسعد داغر في (تذكرة الكاتب) : (ويقولون هذا مما يؤسف له ، وهو شائع كل الشيوع ، فيعدّون ــ أسف ــ باللام ، ولم يسمع تعديته عن العرب إلا بعلى) . وقال الدكتور مصطفى جواد في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتابه (دراسات في فلسفة النحو ..) : « فإنه يقال أسف على الانسان وعلى الشيء ، لا أسف لهما » . وخالفهما الاستاذ محمد العدناني في كتابه (معجم الاخطاء الشائعة) فأتى بما يشهد بتعدية الأئمة للفعل باللام ، كقول أبي عليّ القالي في نوادره : (فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسفاً لفراقه) .

والصحيح أنه اذا عُدّي (حزن وأسف ..) بعلى سماعاً ، وأنت تقصد أن تذكر الامر الذي كان الحزن أو الاسف بسبب فقده أو فوته ، فإن لك أن تعدل الى نهج آخر تقول به على القياس والاطّراد : (حزنت لفقد فلان وأسفت لفراقه) أي من أجل ذلك . قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة (١٥٨) : « لا آسف لما أرى من الحرمان أسَفَ من يَبكي ويُبكي غيره » ، وقال : « الصدر من البيت تحسُّر" لما أصاب الفقراء واليتامى بعد موته » ، وقال (٨٨٦) : « وهذا الجزع الذي نهاها عنه ليس يريد به الحزن لفقده ، وانما يريد الحزن لسلامة الواتر » .

وقال مهيار ، وقد استشهد بقوله المعجم الكبير ، على تعدية (أسف) باللام :

أسفت لحلم كان لي يوم بارق فأخرجه جهل الصبابة من يدي

ومعناه أن الشاعر قد تحسَّر من أجل حلم كان له ثم خرج من يده ، فبات يتلهف لفقده . وفي محاضرات الادباء (٣/٣٨) :

اذا أبصروا حالي ولم يأسفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

أوليس عجباً أن يلحّنوا قول القائل (أسف له) ، وهو القياس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المنقاد في استعمال اللام ، وأن يحتاج هذا الى دليل يسدده وشاهد يثبته؟ وانما نذكر الدليل للانس به ، لا لدعم القياس وتصويبه .

وأنت تقول على الاصل (بكيت عليه) ، لكنك تقول على القياس (بكيت له) . قال العباس بن الاحنف :

فما بكيت ليوم منك أسخطني إلا بكيت عليه بعدما ذهبا

وقال النابغة :

ألا أيها الباكي لأحداث دهره تحملْ على ما يحدث الدهرُ فاصبر
فإن أنت لم تصبر لما كان جائياً وأبصرتَ تنكيراً لذاك فأنكرِ

وأنت تقول (صبرت على البلاء واصطبرت) ولكنك تقول أيضاً (صبرت لما أصابني منه واصطبرت) . وعليه قول النابغة كما رأيت (فإن أنت لم تصبر لما كان جائياً) . وقالت امرأة من بني عامر :

سيتركها قوم ويَصلى بحرِّها بنو نسوة للثكل مصطبرات

قال المرزوقي في شرح الحماسة (٧٤٩) : (وقد تعوَّد الثكلَ أمهاتُهم ، فلا يجز عن لقتلهم ، وألف الأيْمَة نساؤهم فلا يحزنَّ لموتهم ، ومعنى للثكل : من أجله) ، وأردف : (وهذه اللام في هذا الموضع قد تؤدي معنى على فاعلمه) .

هذا وقد يكون للام هاهنا شأن آخر . قال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى : (فاعبده واصطبر لعبادته ــ مريم / ٦٥) : (خطاب للرسول ﷺ مرتب عليه ... أي لما عرفت ربَّك فإنه لاينبغي له أن ينساك ... فأقبل على عبادته واصطبر عليها) فأوقع اللام موقع على ، كما فعل المرزوقي . على أنه أردف : (وإنما عُدِّي باللام لتضمنه معنى الثبات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق ، كقولك للمحارب : اصطبر لقرنك) . وعندي أن لا بأس بحمل هذا المعنى على التضمين . ذلك أن للصبر وجهين ، فهو احتمال للشدة من أذى أو حرمان أو حبس ، وهو مثابرة على هذا الاحتمال دون جزع أيضا . فاذا شئت الالحاح فيه على هذا ، ضمّنت (صبر) معنى (ثبت) فقلت : صبرت لقرني ، أي صبرت على الشدة ثابتاً لقرني) . قال أبو حيان في البحر المحيط حول قوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) : (وعدّى فاصطبر باللام على سبيل التضمين، أي ثبت بالصبر لعبادته لان العبادة تورد شدائد فاثبت لها ، وأصله التعدية بعلى ، كقوله تعالى : واصطبر عليها) .

وفي (صبر له) قول أبي تمام :

أتصبر للبلوى عـزاء وحسبة فتؤجر أم تسلو سلوّ البهائم

وما جاء في نهج البلاغة (٣٠/٩٠) : (وأنصفوا الناس من أنفسكم ، واصبـروا لحوائجهم ، فإنكم خزان الرعيّة) ، وفي محاضـرات الادباء (٢/٢٣٩) : (المتحمّل للشدائد ، الصابر لها) .

على أنه اذا كانت تعدية (حزن) و (أسف) باللام تؤدّي مؤدّى تعديتهما بعلى اذا ذكر الامر الذي كان الحزن أو الاسف لفقده أو فوته ، كقول المرزوقي (٩٨٩) : (ولا شيء من أعلاق المنى يُحزن له اذا أُفيت)، فليس الحال كذلك اذا ذكر الانسان الذي كان مصدر الحزن وموضع الاسف . فقولك (حزنت على الرجل) شيء ، و (حزنت له) شيء آخر. فـ (حزنت لفلان) بمعنى رققت له وعطفت ، وهو غير حزنت عليه . فانظر الى ماحكاه الراغب في المحاضرات (٤/٥٠٨) (ولما مات ذر بن عمر بن ذر ، قام أبوه على قبره فقال : يا ذر شَغَلَنا الحزن لك ، عن الحزن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليك ، فليت شعري ما الذي قلت ، وما الذي قيل لك ؟ اللهم انك قد ألزمته طاعتك وطاعتي ، فإني قد وهبت له ما قصّر فيه من حقي ، فهب لي ما قصّر فيه من طاعتك • اللهم ماوعدتني من الاجر على مصيبتي به فقد وهبته له فهب لي من فضلك) • فكأن حزنك على الرجل توجّع عليه وجزع ، فهو انفعال ليس غير ، أما حزنك له فهو رثاء لحاله وعطف عليه واهتمام بأمره ومصيره ، فهو انفعال وفعل • وقد جاء في الاساس (هؤلاء حزانتك أي أهلك الذين تتحزن لهم وتهتم بأمورهم) ، وتحزّن في الاصل ، صار حزينا •

أقول وليس كذلك (حزنت لفقده ، وعلى فقده) فإن اللام هنا في موضع على كما قال المرزوقي في شرح الحماسة •

وفي اللغة (أسيَ عليه اذا حزن) • قال الفيومي (وأسيَ أسىً من باب حزنَ فهو أسيءٌ مثل حزين) • وفي الصحاح : (وأسِيَ على مصيبته بالكسر يأسى أسىً أي حزن•وقد أسيت لفلان أي حزنت له)فأنت تقول (أسيت عليه كحزنت) ، لكنك تقول (أسيت للرجل اذا حزنت له أي أي رققت له فشغلت بأمره) • فانظر الى ما حكاه الراغب في المحاضرات (٤/٥١٦) : قال الموسوي :

يموت قوم ولا يأسى لهم أحدٌ ... وواحدٌ موته همٌّ لأقوام

أو ليس فحواه : يموت قوم فلا يهتمّ لموتهم أحد ، ويموت فرد فيهتم به أقوام) •

وهذا (جزع) ، فإنك لاتكاد تظفر بنص معجمي يبين عما يصرّف به من الحروف • وغالب ما نصّوا عليه أن الجزع نقيض الصبر • ولكن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا تعرفت معناه دلّك على أنه الحزن والخوف كما في النهاية • أو هو الحزن يصرف الانسان عما هو مصدره ويقطعه عنه ، كما في المفردات• وفي المصباح (جزع الرجل اذا ضعفت منّته ــ أي قوته ــ عن حمل ما نزل به) وهو نص العباب • وفي اللسان (الجزوع ضــد الصبور على الشر ، والجزع نقيض الصبر) • وعلى هذا تقول : جزعت على فلان اذا حزنت • ففي محاضرات الادباء (٤/٥١٢) : (وقد توفي له أخٌ فاشتدّ جزعه عليه) • وقال الشاعر (٤/٥١٧) :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

وتقول جزعت على ما أصابني • ففي المحاضرات (٤/٥٠٤) : (إن كنت جازعاً لما أُفلت منك ، فاجزع على مالم يصل إليك) وفي شرح الحماسة قال المرزوقي (٨٥٨) : (تبرّؤ من الجزع على الرزء) •

وتقول جزعت لما حدث ، كما مر بك في قوله (ان كنت جازعاً لما أفلت منك) • وقد قال الشاعر (٣/٣٣٥):

جزعت للشيب لمّا حلّ أوّلَه فجاءني حادث أنساني الجزعا

ولكن ، ما الذي يعنيه قولك (جزعت لفلان) أفيعني (جزعت على فلان) ؟ الذي أراه أن اللام ليست هاهنا في منزلة على ، فقولك جزعت له مؤداه رققت له وتوجّعت اهتماماً بأمره ومبالاة له ، كقولك (حزنت له) • فانظر الى قول قراد بن سُلْمِيّ بن ربيعة :

أولئك لو جزعت لهم لكانوا أعز عليّ من أهلي ومالي

والمعنى على ما ذكره ابن جني في التنبيه : (لو جزعت لهم لكنت معــذوراً في ذلك لانهم أعــز عليّ من أهلي ومالي) • وقال أبو علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المرزوقي في شرح الحماسة (١٠٠٤) : (لو أعطيت الجزعَ حكمه لكان حالي حينئذ بخلاف حالي الساعة ، ولكان لي عذر في ذلك ، لأنهم أعز علي من أهلي ومالي ..) . وقد يُسأل المرء عن الجزع لمن فَقَدَ فيظهر العذر منه ، اذ لايعقل أن يجزع أو يحزن إلا لعزيز . ولا يسأل عن الجزع على من فقد ، أياً كان الذي فقد . وثمة (شجِيَ) كحزن وزناً ومعنى . ففي المصباح (شجي الرجلُ يشجى شجى من باب تعب حزن ، فهو شجٍ بالنقص ، وربما قيل على قلة شجيٌ بالتشقيل ، كما قيل حَزِن وحزين). وتقول تشاجيت . ففي أساس البلاغة (وتشاجت فلانة على زوجها : تحازنت عليه) . وانظر الى قول أبي تمام :

لاتشجينَّ لها فإن بكاءها ضَحِكٌ وإن بكاءك استغرام

فـ (شجي له) قد جاء بمعنى (حزن له) .. وفي قول الشاعر (لاتشجينَّ لها) معنى (لا تبالينَّ بها) !

ويبدو الفارق جلياً بين (غضبتُ على فلان) و (غضبتُ له) . فغضبتُ عليه معناه سخطتُ ، أمَّا غضبتَ له فمؤداه أنَّك غضبت من أجله ، فاذا غضبت لرجل فقد اهتممت به وانتصرت له وكان غضبك على من أسخطه . وقيل (غضب به) بمعناه اذا كان المغضوب له ميتاً ، والباء هنا للسبب كما جاء في (الجنَى الداني للمرادي) وقد جاء في أساس البلاغة (وللشماخ :

وقد أتاني بأن قد كنت تغضبُ لي ووقعة منك حقٌ غير إبراقِ
فسرَّني ذاك حتى كدتُ مِن فرحٍ أساور الطود أو أرمي بأرواق[1])

---

(١) رمى بأرواقه على الدابة أي ركبها وعلاها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاء في محاضرات الادباء للراغب (٢٣٦) : (وغضب الرشيد على رجل فقال له جعفر : غضبت لله فأطع الله في غضبك بالوقوف الى حال التبيّن ، كما غضبت له) . وجاء في شرح الحماسة للمرزوقي قول قراد ابن عباد (٦٧٠) :

اذا المرء لم تغضب له حين يغضب فوارسُ إن قيل اركبوا الموت يركبوا
ولم يَحْبُه بالنصر قومٌ أعزّةٌ مقاحيم في الامر الذي يتهيَّبُ
تهضَّمه أدنى العداة ولم يزلْ وإن كان عِضّاً بالظلامة يُضرب

أي اذا غضب المرء ولم ينتصر له فوارسُ يطلبون المَوتَ وأعزةٌ مقاديمُ لا يخشَون الصعبَ، ظلمه أدنى العداة ، ولو كان أهلا للقتال.

ومما جاء فيه استعمال اللام نقيض استعمال على (بخّر) بالتضعيف. قال الزمخشري في أساس البلاغة (ويقال بخّرت لنا : طيبت ، وبخّرت علينا نتّنت ، وأرادت أن تبخّر لنا فبخّرت علينا) وكأن الاول من رائحة البخور ، والثاني من (البَخَر) بالتحريك وهو الرائحة النتنة الخارجة من الفم . ففي المصباح : (بَخَرَ الفمُ بَخَراً من باب تعب أنتنت ريحه) . ومثله (تعصَّبت له) و (تعصَّبت عليه).

هذا وقد قالوا (لامه على فعله) فاستعملوا فيه (على). كذا نصّ المعاجم قال صاحب المصباح (لامه لوماً من باب قال عذله فهو ملوم على النقص). ولم يمنع هذا أن تستعمل فيه (اللام) فتقول : (لمته لما أقدم عليه) . واللام فيه للتعليل ، ومؤدّاه لمته من أجل ذلك . ففي اللسان (يكرم إكراماً يلام من أجله) وفي التاج (يكرم إكراماً يلام لأجله) . ولا سند لما أنكره الاستاذ أسعد خليل داغر في تذكرته من قول القائل (لمته لما فعل). فأنت تقول: علامَ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لمته ، ولِمَ لمته ، وفيم لمته ، وبم لمته ؟ كل ذلك صحيح . وقد يكون (الملوم له) غير (الملوم عليه) ، كقولك (لمته على فعلته لقبحها وفحشها) و (لمتك على ما كان لما قد يجر عليك من العار فيغضّ من مكانتك ويضع من قدرك) . وقد تغني اللام فيما سلف مغنى على ، لو قلت : (لمتك لقبح مافعلت) و (لمتك لما قد تجرّه فعلتك من العار ...) .

وأنت تقول (استحق فلان على فعلته اللوم والعذل) ، لكنك تقول: (استحق فلان لفَعْلته ، اللومَ والعذلَ) . قال المرزوقي (٧٦٦): (فعدّت امرأته تلك الفعلة منه ، وما اتفق عليه ، سفهاً وذنباً ، يستحق لهما اللوم، فطفقت باكرة عليه تعجّزه وتؤنبه) .

* * *

ولنعد الى ماكنا بسبيله من تعدية (أسف) . فاذا قلت (أسفت من حسدك إياي) ، أفكنت ترجو أن تنصّ معاجسنا على (أسف منه) لترتاح الى سداده وتسكن الى صوابه ؟ فقد جاء في محاضرات الادباء (٤/٣٩٤) قول الشاعر :

وقد يأسف المرء من فوت ما ... لعلّ السلامة من فوته

وقول الشاعر (٤/٤٩٩) :

فلا تجزعن من موته وهو ناشىء ... ولاينكرنّ هذاكمن جرّب الدهرا

فكل طويل المُجد يقصر عمره ... كذاك سباع الطير أقصرها عمرا

وقول الشاعر (٣/٢٨٧) :

لاتجزعنّ من الهزال فطالما ... ذُبح السمين وعُوفي المهزول

وجاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٩٦١) :

بكت دارهم من فقدهم فتهللت ... دموعي فأيّ الجازعين ألومُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاء فيه قول أبي الطمحان القيني :

وقبل غد يا لهف نفسي على غد اذا راح أصحابي ولست برائحِ

قال المرزوقي (١٢٦٦) : (يُروى يالهف نفسي من غدٍ .. وهو أتلهف من غد) . و (من) في كل ذلك (للتعليل) كما هو شأنها . قال صاحب المغني (٢/١٤) في معاني (من) : (الرابع التعليل) . ومما مثل له قول الفرزدق في مدح علي بن الحسين بن عليّ كرّم الله وجوههم :

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته فلا يكلّم إلا حين يبتسم

ومثال آخر : تقول على الاصل (حسدت فلانا على نعمته وفضله) ولكنك تقول الى ذلك (حسدت فلانا لنعمته وفضله) . فقد جاء في محاضرات الادباء قول الشاعر :

لاينزع الله عنهم ماله حسدوا

أي ما حسدوا من أجله أو بسببه ، وهو ما حُسدوا عليه .. وفي المحاضرات (المحسود لفضله) أي من أجل فضله ، وهو المحسود عليه .

هذا وأنت تقول (جزع فيه وبه) كما تقول (صبر فيه وبه) . قال المتنبي :

أجد الحزن فيك حفظاً وعقلا وأراه في الخلق وعراً وجهلا

وجاء في شرح ديوان المتنبي المنسوب لأبي البقاء العكبري (٣/١٢٤): (قال الواحدي المراد بالعقل الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل انما يحزن بالميت اعتباراً به ، وعلماً أنه عن قريب يتبعه . وحُزنُ غير العاقل انما يكون خوفا من الموت ، وهو جهل لانه ميت لا محالة وإن حَزن) . وقال أبو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البقاء : (والمعنى إنما تحزن على من تُصاب به مسن أحبَّك ، حفظاً لذمتهم ورعاية لخدمتهم وانصافاً وعقلا ووفاء وكرماً ، وأراه في غيرك خوفاً وجزعا وجهلا) . ومما جاء في تعدية (جزع وحزن) . قول المرزوقي (٨٠٤) : (وإنهاء مايقاسونه من الجزع فيهم) وقوله : (أو أحـزن في إثر فائت أو أجزع بتولي مُدبر) . وقوله :(وقوله أولئك لو جزعت لهم لكانوا ... إقرار بأنه لم يوفِّ الجزع فيهم حقه) .

وحكى الراغب في المحاضرات (٤/٥٠٧) عن خالد بن صفوان قوله (صبرك في مصيبتك أحمدُ من جزعك ، وجزعك في مصيبة أخيك أحمدُ من صبرك) .

وقال المرزوقي (٨١٧) : (فيشقى بالجزع له وفيه) .

ولك أن تقول (حزنت إثر فائت) كما تقول : (في إثر فائت) لانه على الظرفية ، قال شاعر من كلب : فآليت آسى بعدهم إثرَ هالك .

قال المرزوقي (١٠٧٦) : (وقوله فآليت آسى بعدهم يريد حلفت لا آسى بعدهم في إثر هالك ، فحذف لا ،ولم يَخَف التباسه بالواجب[1] .. والمعنى أن خوفي كان فيهم ، وإذ قد أصبت بهم فإني لا أجزع لفائت .. وقوله اثرَ هالك .. انتصب على الظرف) . وانظر الى قـول هشام بن عقبة العدوي :

فلم تُنسني أوفى المصيباتُ بعده ولكن نَكْءَ القرح بالقرح أوجع

قال المرزوقي (٧٩٥) : (ونبَّه بهذا الكلام على أن الجزع بأوفى ، لمْ يُزل ما تعقبّهمن المصيبات ، ولكنه زاده اشتداداً) ، وأردف : (فالهلع بموت أوفى وقد أُمِدَّ بمصاب آخر يكون أتمّ وأكمل) .

---

(١) الواجب خلاف المنفي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويتحصل من كل ذلك أنك تقول أسفت على فلان اذا حزنت عليه أو غضبت ، وأسفت على أمر أو شيء اذا تلهّفت أو تحسرت أو ندمت عليه • وأسفت لفلان اذا حزنت له أو غضبت،وأسفت لأمر اذا أسفت لأجله،وأسفت مما جرى أي بسببه •

هذا وغريب ألاّ يعرض أحد من النقاد للفرق بين قولك (أسفت للرجل) و (أسفت عليه) بعد أن ثبت له صحة القولين على وجه من الوجوه. وغريب ،الى هذا، أن يقول الاستاذ العدناني:(وانفرد المعجم الوسيط بقوله: أسف له تألّم ونَدِم،دون أن يذكر المعجم أن مجمع القاهرة وافق على ذلك•• ثم أصدر المجمع نفسُه الجزء الاول من المعجم الكبير وقال فيه : أسف له أسفا وأسافة تألم وندم واستشهد بقول مهيار : أسفت لحلمٍ •••، ونحن لانستطيع الاعتماد على قول شاعر الحمامة :

فيا عجبا من آسف لامرىء ثوى وما هو للمقتول ظلماً بآسف

لان الضرورة الشعرية قد تكون السبب في الاتيان باللام بعد آسف ، بدلا من على، ولكنا نعتمد على قول المعجم الكبير وأبي علي القالي)•

ذلك أن الجواب عما جاء من وجهين • الاول أن في نص المعجم الكبير (أسف له : تألم وندم) إجمالا يوجب اللبس • وهو معجم حديث أحق بالتبيين وأخلق بالتوضيح • فإذا قلت (أسف للرجل : تألم) فهو سائغ : أو قلت : (أسف لما فرط منه : ندم) فهو صحيح أيضا • أما الجمع بينهما في إجمال قوله (أسف له : تألم وندم) ففيه نظر • اذ لايصح أن يكون أسفك لرجل ، أو لفقد شيء ، ندماً •

والثاني : أن قولك : (أسف له) عربي فصيح على كل حال • وليس هو في حاجة الى مجمع يُقرّ صوابه ويؤكّد صحته • ولسنا نفتقر في مثل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الى التوقف لاتباع المسموع ،فاستعمال (اللام) فيه قياس منقاد لاشأن فيه للسماع كما أسلفنا • فأسفت له كتأسفت له وحزنت له وغضبت وجزعت له وأسيت له وصبرت له واصطبرت له وتوجعت له •• كله جائز، جار على القياس • وليس في سكوت معاجمنا عنه ، على ما ألفتْهُ ودرجت عليه ، إغفال أو إهمال • بل الاغفال أن يقال (أسفت للرجل وعليه) ولا يشار الى فرق ما بينهما ، كما أوضحناه • وقد أردف الاستاذ العدناني : (ونعتمد أيضا على رأي ابن جنّي الذي أفرد بحثاً رائعا في الخصائص عن استعمال الحروف بعضها مكان بعض • ويجيز لنا أن نقول : أسف عليه وأسف له ، راجع مادتي ، لايخفى على القراء ، وأعتقد ، في هذا المعجم)•

أقول لا أظن بين قولنا (أسفت عليه وأسفت له) وما عقده ابن جني من الكلام على استعمال الحروف بعضها مكان بعض في الخصائص (٢/٣٠٦ ــ٣١٥) نسباً أو صلة أو لحمة • فالباب الذي جاء به ابن جني وبسط القول فيه قد قصره على ما أسموه بحمل الكلام على المعنى أو التضمين • وليس ما أتينا به هاهنا ، في شيء من هذا القبيل • ذلك أن كلامنا في صحة (أسف له) وفي معناه ، اجراء لما عليه (اللام) في كتب النحو ، وانفاذ لما خُصَّت به ووُضعت له باستقراء كلام العرب ، على ما هو مفصّل في المظان •

(٥)

ويتعاقب (على) و (اللام) فيكون لكل وجهته ودلالته • تقول حفظت الشيء له وحفظته عليه • أما الاول فمعناه أنك أثبتّ الشيء له وأبقيته على حاله • وأما الثاني فعلى معنى أمسكته وأبقيته عليه بالتفقد والحراسة والتعهّد والرعاية،دون أذى من تلف أو هلاك أو فوت أو ضياع • فاذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أردت أن تذكر ما يمكن أن يفسد عليك هذا الحفظ عدّيت بـ (عن) فقلت حفظته عن الابتذال ، متى كنت تحاول أن تبعده عنه . قال صاحب المصباح (صنته عن الابتذال) ، وقال المرزوقي (٥٣٧) : (وحفظتها عن التبذل). ولك أن تحلّ (من) محل (عن) ، متى كنت تبغي أن تقي الشيء من أذى أو تمنعه من شر ، على حد قوله تعالى : (وحفظناها من كل شيطان ــ الحجر / ١٧) .

وغريب ، على هذا ، أن يمنع الدكتور مصطفى جواد في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم) : (حفظ له الشيء) ويوجب مكانه (حفظ عليه الشيء) . وقد عاب على الشيخ رؤوف جمال الدين قوله (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) ، فقال : (والفصيح بل الصواب محفوظة على المؤلف . يقال حفظ فلان عليه الشيء حفظاً ، فالشيء محفوظ عليه) . واستظهر بكثير من كلام الأئمة شعراً ونثراً .

وأنت تعلم أنه اذا ثبت لك بالبيّنة المقنعة صواب قولك (حفظ عليه الشيءَ) فكنت منه على بيّنة ، فقد تتناصر الادلة الواضحة أيضا على سداد قولك (حفظ له الشيءَ)فتكون منه على يقين جازم ، ولكل وجهة ودلالة . ولايمنع ثبات الاول واستفاضته ، جودة الثاني واستقامته . فقولك (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) معناه أن حقوق الطبع ثابتة له . فالحفظ جارٍ في ثبات الشيء وإثباته . قال أبو حيان التوحيدي في مقابساته (الحفظ ثبات صور المعقولات والمحسوسات في النفس) ، وقال الجرجاني في تعريفاته : (الحفظ ضبط الصور المدركة) .

قال صاحب اللسان : (ويقال استحفظت فلاناً مالا اذا سألته أن يحفظه لك) . وجاء في نهج البلاغة (٣/١١) : (واحفظ لله ما استحفظك من حقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيهم ، واجعل له قسماً من بيت مالك) . فاتفقت تعدية (حفظ) فيهما باللام. وقال المرزوقي في شرح الحماسة (٥٥٧) : (وحفظ لها وعليها مياهها وبلادها ومراعيها ، فعدّى باللام وعلى ، ودلّ بهذا أن لكل وجهته ودلالته . وقال مسكين الدارميّ على ما حكاه صاحب المحاضرات (٣/٢٣٢) :

فإني سأُخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر

واستعمال اللام في كل ذلك قياس منقاد لا حاجة به الى حجة من سماع أو دليل من نص . قال الشيخ نصر الهوريني في شرح ديباجة القاموس (ومُودِع بالضم اسم فاعل من أودعه الشيء جعله عنده وديعة يحفظه له) ، أفكنت تحتاج الى سماع يقرّ قولك (حفظت له الوديعة)، أو اجتهاد يسيغ لك ماينتجه القياس ؟ أفليس من القياس أن تقول حين تحفظ شيئاً من أجل صاحبك (حفظت له الشيء) ؟ وانظر الى قول ابن الاثير في النهاية (يريد أن القراءة التي تجهر بها .. يكتبها الملكان ، واذا قرأتها في نفسك لم يكتباها ، والله يحفظها لك ولا ينساها ، ليجازيك عليها) . وقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى (فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله ــ المائدة/٣٣) : (فسهّلته له ووسّعه ، من طاع له الموقع اذا اتسع ...، وله ، لزيادة الربط ، كقولك : حفظت لزيد ماله) !

ومن العجب أن يُقر جواد استعمال (اللام) مع (حفظ) في صورة مجازية واحدة ، وينكر ماعداها ، فقد ارتضى قول القائل (أحسنتُ الى فلان فحفظ لي ذلك) أي ذَكَرَه . أفليس هذا مبنياً على معنى الاثبات والضبط للفعل أصلا . تقول (حفظت لك العهد) اذا أثبته بالبرّ والوفاء. قال صاحب المفردات : (الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يؤدي اليه الفهم . وتارة لضبط النفس ، ويضاده النسيان . وتارة لاستعمال تلك القوة فيقال : حفظت كذا حفظاً ثم يستعمل في كل تفقد وتعهّد ورعاية) . فما بال الاستاذ يسيغ هذا الذي ذكره من حفظ الصنيع لفاعله ، وينكر حفظ الحق لصاحبه ؟ والذي يحدث اليقين بما قلناه أن استعمال اللام في ذلك مقيس مطرد . وإنما نسوق الشاهد ونبتغي الدليل ليسلكنا الى القناعة والارتياح .

أما قولك (حفظت عليه الشيء) فيعني أنك أمسكت الشيء وحبسته وأبقيته دون فوت أو ضياع أو هلاك ، وهذا يؤدّيك أن تأخذه بالتفقد والحراسة والتعهّد والرعاية . ففي اللسان (وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعْملون من خير أو شر) أي أمسكه عن الضياع والنسيان فأحصاه ، عليهم . قال صاحب اللسان : (الحفظة الذين يحفظون الاعمال ويكتبونها على بني آدم من الملائكة) .

ومن شواهد الاستاذ جوادماجاء في نهج البلاغة(٣/٢١٧):(وسأله رجل أن يعرّف الايمان ، فقال عليه السلام : اذا كان الغد فأْتِني حتى أخبرك على أسماع الناس ــ فإن نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك ، فإن الكلام كالشاردة ينقفها هذا ــ أي يصيبها ــ ويُخطئها هذا) . وهو على المعنى الذي ذكرناه ، فإذا حضر الناس مقالة علي ــ ع ــ في تعريف الايمان ، أمسكوها أن تضيع أو تذهب على السائل ، فذكروها له اذا نسيها أو أخطأها . ومن ذلك قول زين العابدين علي بن الحسين ــ ع ــ: (اللهم احفظ عليَّ سمعي وبصري الى انتهاء أجلي) أي أبقهما عليَّ وأمسكهما عن الذهاب . ومنه ماجاء في الحديث (مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا يارسول الله أحفظه عليك) فإنه على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معنى أنا أمسك عليك صلاة الفجر من أن تفوت .

هذا وقد جاء في نهج البلاغة (١/١١٧) : (حافظاً على عهدك ماضياً على انفاذ أمرك) فدلّ هذا على جواز قولك (حفظت على الشيء) اذا حافظت عليه ، ولم أره في معجم .

وجاء في التنزيل (وربّك على كل شيء حفيظ ــ سبأ / ٢١) ، فقال الزمخشري في تفسيره : (مُحافظ عليه ، فعيل ومفاعل متآخيان) ، فهو لم يحمل الآية على قولهم (حفظ على الشيء) ، بل قدّر حفيظاً الدالّ على كثرة الحفظ ، لانه فعيل للسبالغة من فعل متعدّ ، كمحافظ الدالّ على موالاة الحفظ والمواظبة عليه ، فتآخيا ، فجاء حفيظ على الشيء كمحافظ عليه . وهكذا جعل (حسيباً) في قوله تعالى (إن الله كان على كل شيء حسيباً ــ النساء / ٨٥) على تقدير : يحاسبكم على كل شيء . وفعيل هنا إما لايقاع الحدث صيغة مبالغة ، وإما للثبوت قد أشرب معنى الصفة المشبّهة . وجاء في اللسان : (يقال فلان حفيظنا عليكم ، وحافظنا) فيكون الحفيظ هاهنا مبالغة أنزلت منزلة الصفة المشبهة على جهة الثبوت ، و (عليكم) متعلق بمستقر محذوف . وعلى ذلك قوله تعالى (الله حفيظ عليهم ، وما أنت عليهم بوكيل ــ الشورى/٦).وهكذا جاء (حافظ) في قوله تعالى (وإنّ عليكم لحافظين ــ الانفطار / ١٠) ، فإنه على معنى : ان عليهم من يحفظ أعمالهم ، كما جاء في البحر المحيط. وجاء (حافظه) كـ (حفظه) أيضا . قال المرزوقي في شرح الحماسة (٥٨٥) : « فلم يراعوا ذمة ولم يحافظوا حرمة » ، وقال (٧٤٠) : « واذا حافظنا الحقوق وراعينا الوسائل » ، ولم أره في معجم . وقد ذهب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشنتمري في (حافظه) الى أنه على حذف الجار ، على ما جاء في شرح شواهد الكتاب (١/٩٧) .

* * *

ونحو من ذلك قولك (وفَّرت له الشيء بالتشديد اذا أتممته ولم تنقصه ، فتوفر هو اذا تحصَّل دون نقص) وهو كقولك (وفرته بالتخفيف ، اذا أكملته ولم تنقصه ، فاتَّفر هو أوفر) .

فمن النقاد من قصر (توفر) على صورة مجازية واحدة جاء بها الصحاح والتهذيب واللسان والمصباح والتاج والاساس . قال الزمخشري: (ومن المجاز ... توفر على صاحبه اذا رعى حرماته ، وتوفَّر على كذا كان مصروف الهمة اليه) ، فوقفوا عند هذا النص ، ولم يجاوزوه،فأنكروا ماعداه ، كما فعل الاستاذ أسعد داغر في تذكرة الكاتب ، والاستاذ محمد العدناني في معجمه . قال العدناني : (ويقولون توفر الذكاء والاجتهاد، والصواب وفر أو توافر أي كثر ، لأن معنى توفر عليه رعى حرماته وبرَّه وصرف همَّته إليه ، مجاز) .

وقد أثبت الدكتور مصطفى جواد في كتابيه (دراسات في النحو والصرف ..) و (قل ولا تقل) : (توفر) كـ (وفر) لازما . وذكر في شواهده قول بشَّار فيما حكاه صاحب الاغاني (٢/١٤٥) : (إن عدم النظر يقوّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل ، بما ينظر اليه من الاشياء ، فيتوفر حسُّه) . وقول المرتَضى في أماليه (١/٥٦) : (فيتوفر اللَّبن على الحلب) . وكلاهما شاهد بصحة (توفُّر الشيء) اذا وفر وتجمَّع . وينزع منزع هذا قول أبي حيان التوحيدي في كتابه (البصائر والذخائر ١/١٧٠) : (يقال من أكثر الخيرَ سار به ذكره وتوفر عليه أجره) ،وقول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبي علي المرزوقي في شرح الحماسة (٧٩٠) : (توفَّرت عليه الرحمة) وقوله (وإن العناية متوفرة من جهتهم) .

واذا استسرفتَ مقالة داغر والعدناني في إنكار (توفر الشيء) فلا تملك الا استغراب مقالة جواد في إثبات (توفر عليه الشيء) دون (توفَّر له الشيء) كما فعل في (حفظ) !

فقد اقتصرت المعاجم على القول (توفَّر على صاحبه اذا رعى حرماته ...) لكنها ذكرت أنه مجاز . ولكل مجاز أصل فاذا التمست هذا الاصل استبان أنهم يقولون (وفَّرني فلان على كذا) اذا وفَّر عليه جهده توفيراً ، فصرف همته اليه . قال المرزوقي (١٣٢٠): (ولم توفّروني على ما أهمّ به) . فاذا قلت (توفرت على صاحبي) عنيت أنك وفَّرت همك على ما تستقيم به أموره . وهذا ما قصدت اليه المعاجم حين تناقلت نصها (ومن المجاز : توفر على صاحبه .. وتوفَّر على الشيء ..) . وهكذا جعلوا (التوفُّر) بالمجاز مرادفاً للعناية بالامر والانصراف اليه، والاهتمام بالانسان وتفقده وحسن رعايته ، كما أورده المرزوقي في غير موضع من كلامه ، كقوله (لحسن توفرنا عليه واحتفالنا بسوق الخير اليه / ١٢١) ، وقوله (وإن التوفر على الضيف وإكرامه .. من الخصال المحمودة / ٧٠٠) .

أما مقالة جواد في إثبات (توفر عليه) وإنكاره (توفَّر له) فقول مدفوع ، لا يقوم عليه دليل ، ولا يتجه فيه عذر . فليست شواهده في صحة (توفر عليه) وإن كثرت وتعددت وتناصرت ، سنداً له أو ظهيراً في حظر (توفر له) وهو القياس المنقاد ، لا ينكسر ولا ينتقض . فإذا جئت بقول صاحب المصباح (وفَّرت له الطعام توفيراً) أفلا تقول في إثره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(فتوفر له الطعام) . فانظر الى قول أبي حيّان التوحيدي في مقابساته (٢٣٨) : (ولهذا لاتتوفر القوتان للانسان الواحد) ، وقول المرزوقي (١٥٠٧) : (خبّروني أي العادتين أقرب الى الكرم وأجرى في وفاء الشيم ، أعادة من يستنزل الاضياف عن أموالهم وينقص ما توفّر لهم، أم عادة من يزيدهم ويثمّر حظوظهم ؟) .

ومن أعمل الفكر اتضح له فارق التعدية بين الحرفين . فاذا قلت (توفّر له المال) فقد أردت تجمعه في يديه وصيرورته الى ملكه وحوزته، واذا قلت(توفّر عليه المال)فقد لحظت الى تجمع المال ضفوّه وسبوغه عليه.

هذا وقد اتفق (توفّر) في كلام المرزوقي بمعنى ، لم أرَ به نصاً. فقد قال(٢١٨) : (قضيته الدينَ فاقتضاه أي قبله وتوفّره) فجاء توفره متعدياً كاستوفاه واستوفره ، وقد أورده،كما رأيت،مورد النص.

(٦)

وتتعاقب (الى) واللام على الموضع ، وكل على ما هو له . وليس استعمال أحدهما بمانع من استعمال صاحبه ، فأنت تقول (أرسلته اليه وله ، ودفعته اليه وله ..) وهكذا . قال العدناني في معجمه (ويقولون أرسل له مالاً ، والصواب : أرسل إليه مالاً ، وجاء في الآية ــ ٧٣ ــ من سورة المائدة : وأرسلنا اليهم رسلاً) وليس في استدلاله حجة قاطعة أو بيّنة ملزمة !

ف (الى) لانتهاء الغاية ، واللام للاختصاص . وكل فعل احتاج في تصرّفه الى هذين واتسعت دلالته لهما ، صحّ أن يوصل بهما . فاذا قلت (أرسلت المال اليه) فقد قصدت الافصاح عمن كان الارسال منتهياً اليه . ومتى قلت (أرسلت له مالا) فأنت تروم أن تبين عمن كان الارسال له

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دون سواه ، وذلك على حدّ قول القائل (أدوم لك ما تدوم لي) كما مثّلوا لمعنى اللام فيما مثّلوا • هذا هو الاصل • وقد يكون المرسل له هو المرسل إليه كأنْ تقول (كَتَبَ فلانٌ إليَّ في حاجةٍ ، فأرسلت له المال لتداركها) ، فيُغْني قولك (له) مُغْنى قولك (إليه) ولو تغايرا في الاصل ، وقد يكون المرسل له غير المرسل اليه ، فتقول : (أرسلت لإخوتي المال ، الى مصرف البلدة) فقد أرسلت بالمال (الى مصرف البلدة) ، ولكن (لإخوتك) دون سواهم •

واذا كان قد جاء في التنزيل (وأرسلنا اليهم رسلاً ــ المائدة/٧٣) وهو ما استظهر به العدناني ، ومثله كثير ، فقد جاء فيه أيضاً (أرسلنا للناس رسولاً ــ النساء ٧٨) • وقد أوّله المفسرون على وجهين : الاول تعليق الجار والمجرور بالفعل ونصب ــ رسولاً ــ على الحالية • والثاني تعليقهما بالحال نفسها • قال الامام العكبري في إعرابه (وللنّاس تتعلق بأرسلنا ، ويجوز أن يكون حالا من رسول) • فهم لم يستبعدوا تعلق (للناس) بـ (أرسلنا) • وصح بهذا تعدية (أرسل) باللام • وبعث، في هذا ، كأرسل • قال تعالى (إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا مَلِكاً نقاتلْ في سبيل الله ــ البقرة / ٢٤٦) • وقال عز وجلّ (قال لهم نبيُّهم ان الله قد بعث لكم طالوت مَلِكاً / ٢٤٧) • وجاء في محاضرات الادباء للراغب (٢٣١) : (ثم بعثت للرجل بألف دينار) • وقال الفرزدق :

بعثت له دهماءَ ليست بلقحة تدرّ اذا ما هبَّ نحساً عقيمها

قال المرزوقي في شرح الحماسة (١٧٠٣) :(ليست بلقحة أي ليست هي بناقة وانما هي قِدرٌ تدرّ مَرَقَها عقيم الرياح بالنحس ، ويعني بها الدبّور لأنها لا تُلقح) •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال صاحب الكليات أبو البقاء في الفرق بين ارسال الرسل وبعثهم (وفي إرسال الرسول تكليف دون بعثه) ، وأردف : (وكفاك شاهدا قوله عليه الصلاة والسلام : بعثت الى الناس عامة ، لا مُرسلا اليهم كافة ، لأن تبليغ الرسالة الى أطراف العالم من أصناف الامم خارج عن الوسع) • وقال : (قال الله تعالى أرسلناك للناس ولم يقل الى الناس) • وفحوى هذا أن الرسول قد بعث الى الناس جميعاً ، لكنه لم يرسل اليهم كافة ، أي لم يكلّف تبليغ الرسالة اليهم جميعاً ، على أنه أرسل للناس أي للعالمين جميعا ، لا لقوم دون آخر • وفي هذا تفريق بين استعمال الارسال باللام و الى ، وتوثيق لاستعماله بهما جميعا •

وقد استدرك أبو البقاء فقال (وأما قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله إليكم جميعاً ، فهو باعتبار تضمين البعث) • قال الامام البيضاوي في تفسير الآية (الاعراف / ٥٧) : (الخطاب عام وكان رسول الله ﷺ مبعوثاً الى كافة الثقلين ، وسائر الرسل الى أقوامهم) وقد تعاقب (الارسال) و (البعث) على معنى في موضع آخر من التنزيل • قال أبو البقاء (وما أرسلنا في قرية ، وكذلك أرسلنا في أمّة ، لِما أن الأمة أو القرية جعلت موضعاً للارسال • وعلى هذا جاء بعث في قوله تعالى : ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ــ الفرقان / ٥١) •

وأنت تقول (دفعت اليه المال) ، اذ جاء في التنزيل (فادفعوا إليهم أموالهم) و (فاذا دفعتم إليهم أموالهم ــ النساء / ٥) • لكنك تقول كذلك (دفعت له المال) • ففي محاضرات الادباء للإمام الراغب (ادفع لي ثمن الاغنام التي ابتعتها مني ٢٣١)•

وتقول (أَسلَتُ إليه الماءَ) و (أَسلَته له) • ففي نهج البلاغة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٧٩/٢) : (فانظروا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، وأسالت لهم جداول نعيمها) ، فقد رام الاشارة الى أن الاسالة انما كانت لهم .

وتقول (صرف فلان الى كذا) ، لكنك تقول (صرفته لكذا) . ففي نهج البلاغة (٥٤/٣) : (وأوتيت خيراً منه عاجلا أو آجلا ، أو صرف عنك لما هو خير لك) ، لا لما هو شر لك .

وتقول (أطلقت إليك هذا) ، ولك أن تقول (أطلقته لك) . ففي نهج البلاغة (٣٨/٣) : (وهذه حجتي الى غيرك قصدها . ولكن أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها) .

وتقول (صاروا الى كذا) أي آلوا اليه ، لكنك تقول (صار المال لك) اذا امتلكته . ففي نهج البلاغة : (وصارت أموالهم للوارثين ، وأزواجهم لقوم آخرين) . وعلى هذا قول أبي الابيض العبسي :

وذي أمل يرجو تراثي وإن ما يصير له مني غداً لقليل

قال صاحب الكليات أبو البقاء حول تعدية (هدى) : (ثم ان فعل الهداية متى عُدّي بإلى تضمن الايصال الى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية ، ومتى عدّي باللام تضمّن التخصيص بالشيء المطلوب ، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعين) . ومن ثمّ أوضح بعض الأئمة أن الهداية إنما تكون للدين والإيمان والتي هي أقوم ، لأنها هي الغرض والهدف والغاية القصوى التي تُتوخى على وجه التخصيص والتعيين ، وتكون الى الطريق والى الصراط لأنهما السبيل التي يتوجه إليها في طلب تلك الغاية المرتجاة .

على أن هناك قياساً آخر لاينكسر: ذلك أنه كلما أردت أن تذكر سبب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتوع الفعل وعلته كان لك أن تعديه الى السبب والعلّة باللام ، ولو كانت تعديته في الاصل بـ (الى) • فأنت تقول (قدت فلانا الى السوق) ، ولكنك تقول (قدته لابتياع الثياب) ،على حـدّ ما أتى به الراغب في محاضـرات الادباء (٢٢١) ، قال : (لما رأت زوجها يُقاد للقتل ••) •

وتقول (ساقني الى النار) ، لكنك تعدّيه باللام ، على غرار قول الحريري في مقاماته (١٩) : (ساقني لوصاله) • وكذا القول في (أرسل)، ففي نهج البلاغة (وأرسله لإنفاذ أمره) •

وقد عرض الاستاذ محمد العدناني لهذا فذهب فيه مذهباً آخر • قال : (ويخطّئون من يقول دعاه للنزول ، ويقولون ان الصواب هو : دعاه الى النزول ، اعتماداً على ماجاء في الآية ــ ٤٦ ــ من سورة الاحزاب: داعياً الى الله بإذنه ، واعتماداً على ماجاء في الحديث : لو دُعيت الى ما دعي اليه يوسف عليه السلام لأجبت،يريد حين دُعي للخروج من الحبس)، وأردف قائلا : (هذا هو رأي المعاجم • أما النحاة فإنهم استشهدوا بقوله: تعالى في الآية ــ ٥ ــ من سورة الزلزال : فان ربك أوحى لها ، أي أوحى إليها • ومع أن الفعل ــ أوحى ــ جاء ماضياً أو مضارعاً / ٦٥ / مرة ، متلواً بحرف الجر ــ الى ــ ولم يأت باللام الاّ مرة واحدة) • أقول لا شأن للمعاجم ، فيما أجمعت كتب النحو على القطع به • فقولك (دعاه للنزول) صحيح مستقيم ، واللام فيه للتعليل • والاستاذ قد حكى كلام ابن الاثير في تفسير الحديث ، ولم يعلق على موضع مماجاء فيه • قال ابن الاثير في النهاية : (يريد حين دُعي للخروج من الحبس) • وفي قوله (دُعـي للخروج) تعدية للفعل باللام ، واللام فيه للتعليل • فصحة قولك (دعاه للنزول) كصحة قول ابن الاثير (دُعي للخروج) ، وماجاء في نهج البلاغة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(دُعوا للجهاد) • ولا مكان لنقل المعاجم فيما نحن بسبيله • بل لا وجه لقياس (دعاه للنزول) بقوله تعالى (داعياً الى الله بإذنه) أو بقوله (بأنّ ربك أوحى لها) أو بالحديث (لو دعيت الى ما دُعيَ اليه يوسف عليه السلام لأجبت) ، بل لا صلة له بنيابة حرف مناب حرف •

وقد ختم الاستاذ العدناني كلامه فقال : (وأنا أوثر مع ذلك كله وضع حروف الجرّ ، كما وردت في المعاجم ، مراعاة للدقة ، دون أن أخطّىء من ينيب بعضها عن بعض ، اذا لم يلتبس المعنى) • أقول متى كانت تعدية الفعل قياسا رُدّت الى أصول النحو ، فإذا تعلقت بالسماع عُزيت الى نص المعاجم • ولا قياس في نيابة حرف مناب حرف ، ولو لم يلتبس معناه • هذا هو الاصل • وقد جاء في حاشية الصبان (٣/٣٧) : (إعلم أن مذهب البصريين أن حروف الجر لاينوب بعضها عن بعض قياساً ، كما لاتنوب حروف الجزم والنصب عن بعض • وما أوهم ذلك محمول على نحو تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف ، أو على شذوذ النيابة) • فاستعمال اللام في (دُعي للخروج) و (دُعوا للجهاد) و (دعاه للنزول) قياس لا شأن فيه للسماع ، ولو صحّ في مكانها وأغنى مُغناها (الى) ، فكل على بابه وتقديره •

فانظر الى قول أبي الحسن الشهير بالقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة / ٣٤٦) : (ودعا لكذا أي من أجله • فقال أبو الطيب يقال دعا للقتال وللخير والشر ولما به ، أي اليه ومن أجله • قال طَرَفة :

إن أُدعَ للجلّى أكن من حماتها وإن يأتك الاعداء بالجهد أجهد)

فقد فسّر (دعا له) بـ (دعا من أجله) ، ثم قال : (أي اليه ومن أجله) • فشاكل بينهما • وعندي أنه فعل ذلك لان أحدهما يغني عن الآخر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأنت إن دعوت فلانا الى القتال فإنما تدعوه ليقاتل ، فاذا دعوته الى الجهاد فانما تدعوه ليجاهد أيضا • لذلك سدّ أحدهما مسدّ الآخر فناب قولك دعوته الى الجهاد والقتال مناب قولك دعوته للجهاد والقتال ، وصحّ العكس •

أما قول الشاعر (وإن أدعَ للجلّى) أي للامر العظيم فإنه يماثل على حد ماذكرنا (وان أدعَ الى الجُلّى) ذلك أن من يدعى لأمر أو يرغب أن يدعى له ، فإنما يُدعى ليتخذ له من الامر موقعاً وبه شأنا • وكذلك من يدعى الى الامر،فانما يُدعى اليه توقعاً لهذا،وإلا ففيم كانت دعوته اليه أو رغبته في ذلك ؟ قال الجوهري بعد أن أورد بيت طرفة ، وقال آخر:

وإن دعوت الى جُلّى ومكرمةٍ قوماً كراماً من الاقوام فادعينا

وقد جاء في التنزيل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ــ الانفال/٢٤)• فمن الأئمة من علّق (لما يحييكم) باستجيبوا ، ومنهم من علقه بدعاكم• قال أبو حيان في البحر المحيط (والظاهر تعلق ــ لما ــ بقوله دعاكم • فاذا صحّ هذا كان موضع اللام فيه كموضعها في (إن أُدعَ للجُلّى) وقد استشهد به أبو حيان كما مثل بقول القائل (دعوت لما نابني مسوّراً)• هذا وقد ذهب بعض الأئمة بعدما رأيت من تماثل (الى) و (اللام) وتقاربهما فيما يؤديانه وإغناء أحدهما عن الآخر ، الى تعاقب الحرفين على معنى • فقال الزمخشري في الكشاف حول تفسير قوله تعالى (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعوني الى النار ــ المؤمن / ٤١) : (يقال دعاه الى كذا، ودعاه له ، كما تقول هداه الى الطريق وهداه له) •

وقال أبو حيان في البحر المحيط حول تفسير قوله تعالى (يا أيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ــ الانفال/٢٤) (ودعا يتعدّى بالكلام .. وقيل اللام بمعنى الى) . وقال صاحب المصباح (عاد الى كذا . وعاد له أيضاً) ولم يفرق . وجاء في تفسير القرطبي حول قوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا ــ المجادلة / ٣) : (وقال الاخفش لمّا قالوا والى ما قالوا واحد ، واللام والى يتعاقبان . قال الحمد لله الذي هدانا لهذا . وقال : فاهدوهم الى صراط الجحيم . وقال : بأن ربك أوحى لها ، وقال : وأوحي الى نوح) . وجاء في اللسان حول قوله تعالى (ثم يعودون لمّا قالوا) : (قال الفراء يصلح فيها في العربية ثم يعودون الى ماقالوا) . وفي الكشاف (أوحى لها بمعنى أوحى اليها) . وفي اللسان (قال الزجّاج في قوله تعالى : قل الله يهدي للحق ، يقال هديت للحق وهديت الى الحق بمعنى واحد ..) وليس هذا وحسب بل استرسل بعضهم فاعتقد أن تعاقب هذين الحرفين قياس . قال الامام أحمد بن عبد النور المالقي في كتابه (رصف المباني في شرح حروف المعاني) : (الموضع الخامس أن تكون ــ أي اللام ــ بمعنى الى ، وذلك قياس . لان الى يقرب معناها من اللام وكذلك لفظها . ألا ترى الى قوله تعالى : وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ــ الاعراف /٤٣ ــ وهدى يتعدّى بإلى ، كماقال: وهديناهم الى صراط مستقيم ــ الانعام / ٨٧ . فالهداية في المعنى أوصلت المهديّ الى الصراط المستقيم . والوصلة موجودة في معنى ــ الى واللام . وهي موجودة فيهما حيثما كانا ، وإن كان بينهما فرق من حيث إن ــ الى ــ لانتهاء الغاية ، واللام عارية عنها . فاللام أقرب الحروف لفظاً ومعنى الى ــ الى ــ من غيرها . فلذلك قلنا ان دخول كل واحدة منهما في موضع الأخرى . ألا ترى الى قوله تعالى : فادفعوا اليهم أموالهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ النساء / ٦ ، وادفعوا لهم : يتقاربان • فاستعمال احداهما في موضع الاخرى جائز ، كما ذكر • ومنه قوله تعالى : وأوحى ربك الى النحل ـ النحل / ٦٨ ـ وقال في موضع آخر : بأن ربك أوحى لها ـ الزلزال/٥)•

أقول الاصل هو التفريق في الاداء بين اللام والى • واذا كان بعض الأئمة قد قال بتعاقبهما حينا ، كما فعل الاخفش والزجاج والزمخشري وأبو حيان ، أو ذهب الى تعاقبهما قياساً ، كما فعل الامام المالقي ، فذلك لتقاربهما وتماثلهما في كثير من المواضع •

وقد رأيت كيف يستدرك المالقي فيقول : (وإن كان بينهما فرق من حيث ان ـ الى ـ لانتهاء الغاية واللام عارية عنها) ، ويردف (فاستعمال احداهما في موضع الاخرى جائز) • وأنت تعلم أن إغناء أحد الحرفين عن الآخر ، لايعني أنهما على معنى • فجواز تعدية الفعل بالحرفين شيء واتفاق معناه فيهما شيء آخر • وليس صحيحاً أن هذا الاغناء جائز في كل موضع، فاذا قلنا مثلا : جلست للاستراحة ، فهل يصح أن تقول في معناه : جلست الى الاستراحة ؟ والغالب فيما تراوح فيه الحرفان على موضع أن تقوم اللام محل الى دون العكس •ولا ننس ما قاله أبو البقاء في الكليات (ثم ان فعل الهداية ، متى عُدّيَ باللام تضمّن الايصال الى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية • ومتى عُدّيَ باللام تضمّن التخصيص بالشيء المطلوب) • وأكد هذا ، الامام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق ، قل الله يهدي للحق ـ يونس / ٣٥)• قال البيضاوي (وهَدى كما يُعدّى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء ، يُعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية ، وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ، ولذا عُدّي بها ما أسند الى الله تعالى) • والموضع الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عُدّيت فيه الهداية باللام في التنزيل ، هو ما صحّ أن يكون المهدي اليه غاية الهداية حقاً ، كالإيمان ، والتي هي أقوم ، ونور الله ، والحق . وانظر الى ما جاء في الصحاح . قال الجوهري : (الهُدى : الرشاد والدلالة، يؤنّث ويذكر . يقال : هداه الله للدين هُدى) فعدّاه الى الدين باللام . ثم قال (وهديته الطريق والبيت هداية أي عرّفته ، هذه لغة أهل الحجاز. وغيرهم يقول : هديته الى الطريق والى الدار ، حكاها الاخفش) . فكلما عدّى المتكلّم الهداية باللام فقدْ أشارَ أن المهديّ اليه هو غاية الهداية . هذا ولم أقع على من فرّق بين (أوحى اليه) و (أوحى له) في التنزيل . لكن الذي رأيت أن (أوحى) لم تتعد باللام الاّ في موضع واحد . قال تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض أثقالها . وقال الانسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ــ الزلزال) أوليس يستفاد أن (الايحاء) هاهنا انما كان للارض على وجه التعيين والتخصيص . فالارض تحدّث أخبارها لإيحاء ربك لها ، أو تحدث أخبارها بتحديثها بأن ربك أوحى لها ، أو تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها ــ على البدل ــ كما فصّل الزمخشري في شرح معنى الآية.

وأحسن ما يُختم به مانحن بسبيله ما قاله أبو البقاء الكفوي في كلياته : (الفعل المتعدّي بالحروف المتعددة ، لابدّ أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر . وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف . فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق ، نحو : رغبت فيه وعنه، وعدلت اليه وعنه ، وملت اليه وعنه ، وسعيت اليه وبه . وان تقاربت معاني الادوات عسر الفرق نحو : قصدت اليه وله ، وهديت الى كذا ولكذا . فالنحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر ، وأما فقهاء أهل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربية فلا يرتضون هذه الطريقة ، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره ، فينظرون الى الحرف وما يستدعي من الافعال . وهذه طريقة إمام الصناعة سيبويه) . وأبو البقاء من تعلم ، تبسطاً في العربية واستبحاراً ، وإيغالا في البحث وسعة اطلاع .

(٧)

ولابد هنا من التنبيه على موضع يتصل بما نحن بسبيله . فقد منع الاستاذ العدناني (أرسلت له المال) وجعل صوابه (أرسلت اليه المال). وقد علمت أنْ لا وجه لمنع تعدية (أرسل) باللام ، وأنه اذا ثبت مجيء النص بتعدية الفعل بحرف ، فلا يلزم منه ألاّ يتعدى بسواه . لكنه يُخشى أن يشهد العدناني بصحة (أرسل اليه المال) هاهنا ، ويعودعنْ هذا كما يبدو ، فيأباه وينكره في موضع آخر . قال العدناني في (بعثه وبعثَ به / ٣٩) : (أما اذا كان المرسل شيئا ، فإن الفعل يعدّى اليه بالباء نحو بعثت إليك بهدية أو برسالة ، لأن الاشياء لا تذهب وحدها بل تذهب مع شخص آخر) قال هذا !! واستظهر بقول صاحب اللسان (بعثه يبعثه بعثاً أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره) .

فاذا كان (أرسل) في هذا كـ (بعث) وصحّ ماذهب اليه ، فكيف يسوغ أن يقول (أرسلت اليه المال) ؟ أوليس ينبغي أن يجعل في مكانه (أرسلت اليه بالمال) بإدخال الباء على المفعول ، مادام (المال) مما لايذهب وحده ، على حدّ تعليله ؟

على أن الذي أوجبه العدناني في ادخال الباء على مفعول (بعث) متى كان شيئاً ، غير واجب . وقد اتسع القول في هذا عند الأئمة واتسعت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجوهه . فالعدناني ليس أول من ذهب هذا المذهب . فقد سبق اليه الحريري في (درّة الغواص) ، فقال : (ويقولون بعثت بغلام وأرسلت اليه هدية فيخطئون ، لان العرب تقول فيما يتصرف بعثته وأرسلته ، وتقول فيما يحمل بعثت به وأرسلت به) . وقد حذا حذو الحريري صاحب الكليات أبو البقاء .

وأول من أخذ بهذا ونبّه عليه من المتأخرين الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضيّاء وجاراه فيه وحاكاه الاب أنستاس ماري الكرملي والشيخ ابراهيم المنذر . وقصد قصدهما الدكتور مصطفى جواد في كتابه (قل ولا تقل) . وكلهم عاب قول القائل (بعثت أو أرسلت هدية) وأوجب دخول الباء على ما لا يتأتى أن يرسل أو يبعث بنفسه .

وميّز صاحب المصباح فأوجب دخول الباء على ما لا ينبعث بنفسه في (بعث) فقال : (وكل شيء لاينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فإن الفعل يتعدّى اليه بالباء فيقال بعث به) . وأجاز في (أرسل) تعدية الفعل بنفسه فيما يتصرف أو لا يتصرف بنفسه فقال : (وتراسل القوم أرسل بعضهم الى بعض رسولا أو رسالة) ! ولعل العدناني رام انتحاء هذا المذهب في التفريق بين الفعلين ، فأوجب دخول الباء في مفعول بعث دون أرسل فيما لا يتصرّف بنفسه ؟ لأن ظاهر كلامه مقصور على (بعث) . ولو أنه استعمل ــ الارسال ــ في تعبيره اذ قال : (أما اذا كان المرسل شيئاً فإن الفعل يعدّى إليه بالباء) .

وعرض لهذا الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه (نظرات في اللغة والادب) فخالف الحريري وعارض من تابعه وأوضح المقصود يقول ابن منظور (بعثه يبعثه بعثاً أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره) ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال : (فالمبعوث به مع غيره شخصا كان أو شيئا تلزمه الباء تقول بعثت إليك بولدي اذا أرسلته مع غيره ، كما تقول بعثت اليك بكتابي . وذلك أن بعث تقتضي مبعوثاً ، فإن كان مرسلا وحده عدّيت الفعلَ اليه بنفسه . وان كان مرسلاً به مع غيره عديته اليه بالباء ، لافرق أن يكون المبعوث شخصا أو شيئا كما رأيت) . وكلامه هذا في معنى قول ابن برّي . قال الخفاجي في الرد على الحريري : (مازعمه الحريري ممنوعاً صرّح ابن جني بجوازه في شرح ديوان المتنبي .. وقال ابن برّي : بعث يقتضي مبعوثاً ومبعوثاً به متصرفا كان أو لا . تقول بعثت زيداً بغلام وبكتاب ، فلهذا لزمته الباء . وكذا أرسلت يقتضي مرسلا ومرسلا به ، متصرفاً كان أو غير متصرف ، فلا إنكار لما أنكره المصنف) . وقصد بالمصنف الحريري . هذا وقد أضفتُ في قول ابن برّي ــ ومبعوثاً به بعد كلمة ــ مبعوثاً ــ لأن سياق الكلام يقتضيه والمثال يشهد به ، وقد سقط في الأصل .

فابن برّي يرى أن الذي أوجب الباء هاهنا أن الغلام أو الكتاب قد صاحب زيداً ، أو صاحبه زيد .. ، فلهذا لزمه الباء . فالمرسل أو المبعوث متى كان وحده جاز أن يكون مما يتصرّف أو لا يتصرف . فاذا كان الاول لم تدخله الباء ، تقول : بعثت زيداً أو أرسلته .أو كان الثاني جاز دخولها ، تقول : بعثت بالهدية أو أرسلت بها ، وصح عدم دخولها ، تقول : بعثت الهدية أو أرسلتها . أما دخول الباء فعلى تقدير المصاحبة ، وأما اسقاطها فعلى انزال غير المتصرف منزلة المتصرف مجازاً ولو بدا لشيوعه كالاصل ، ذلك أن الاصل أن يكون المبعوث أو المرسل متصرفا بنفسه .

أما اذا اجتمع في البعث مبعوث ومبعوث به صريحان،واتفق في الارسال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مرسل ومرسل به ، فلا بد أن يكون المبعوث أو المرسل متصرفا بنفسه ، أما المبعوث به أو المرسل به فيحتمل الامرين،ولا بدّ أن تلحقه الباء فيهما. تقول بعثت زيدا أو أرسلته بغلامي ، وبعثت زيداً أو أرسلته بالهدية .

ولكن ما موقع النصوص مما ذكرنا وبيّنا ، وما الذي جرت به أقلام الفصحاء ؟

جاء في القاموس (بعثه أرسله) وفي الاساس (بعثه لكذا فانبعث له) وفي مختار الصحاح (بعثه وابتعثه : أرسله فانبعث) ، وليس في واحد منها فرق بين متصرف بنفسه وغير متصرف . وانظر الى قول ابن القوطية في كتابه (الافعال) : (أرسلت الرسول والوصية بعثتهما) وهو صريح" بأن المرسل أو المبعوث وحده أياً كان لاتلزمه الباء .

وقال الفرزدق :

بعثت له دهماء ليست بلقحة تدرّ اذا ماهبّ نحساً عقيمها

قال المرزوقي في شرح الحماسة (١٧٠٣) : (بعثت له دهماء يعني بها قِدْراً ... وليست بلقحة أي ليست بناقة) . فعدّى الفعل بنفسه الى الدهماء ، وقد عنى بها القِدر التي لا تتصرف .

وقال المتنبي في بيت له :

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتام

وقد جعله صاحب الوساطة من مختار شعره ، ولم يعبه عائب أو يعاه عليه ناعٍ . وقد عيب من أبيات المتنبي :

فآجرك الإله على قليل بعثت الى المسيح به طبيبا

ذلك لإدخال الباء على ضمير المبعوث وحده ، وهو متصرف بنفسه ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا غير جائز وقيل في الاعتذار له أن المبعوث قد اعتدّ من الهدايا فجاز لهذا دخول الباء ، ويشهد له ما بعده :

ولست بمنكر منك الهدايا ولكن زدتني فيها أديبا

وفي محاضرات الادباء ، قال ابن قيس (٣/١٧٩) :

ولما أبى أرسلت فضلة ثوبه إليه فلم يرجع بحزم ولا عزم

ومن كلام الفصحاء قول ابن جني في مقدمة كتابه (المحتسب) : (كتابك المنزّل على لسان أمينك ، المرسل الى جنان صفيّك خاتم الرسل) فقد قال (كتابك المنزل .. المرسل ..) ولم يقل (المرسل به) .

وجاء في محاضرات الادباء (٤/٧١٨) : (قال ميسون بن مهران : ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به ، فبعث اليّ سبعة آلاف دينار ، وقال: ادّخر هذه للحوادث بعدي ولك الجراية والكفاية ، مادمت حيا) .

وفي كتاب زهر الآداب وثمر الالباب لأبي اسحق الحصري القيرواني (٢/١٣٢) : (قال أحمد بن يوسف : وقد بعثت الى أمير المؤمنين طبقَ جَزْع فيه ميل ، فلما قرأ المأمون الرقعة قال : أجاءت هدية أحمد بن يوسف ؟) .

وقد رأيت أن ما أتينا به من النصوص والنقول يقوّي في النفس ما ذهبنا اليه ، ولكن ما القصد بما يتصرف بنفسه وما لايتصرف ؟

قد أراد بعض النقاد بـ (المتصرف بنفسه) أنه الشخص ، و (غير المتصرف) أنه الشيء ، كما فعل العدناني حين قال : (أما اذا كان المرسل شيئاً فإن الفعل يتعدّى اليه بالباء نحو بعثت إليك بهدية أو رسالة ، لأن الاشياء لاتذهب وحدها ..) . وذهب جواد الى نحو من هذا بقوله (ولا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقل بعثت اليه كتابا وبعثت اليه هدية لأن الكتاب لاينبعثأي لايسير بنفسه) .

والذي يتبين بالاستقراء أن المتصرّف بنفسه هو ما لايستعان في بعثه أو ارساله الى سواه،ليصحبه أو يأتي به،وغير المتصرّف ماليس كذلك.وقد يعتدّ ما يتصرف بنفسه في موضع غير متصرف في موضع آخر ، وقد يكون العكس أيضا . فأنت تقول أرسلت الجند بالخيل المحمّلة الى القلعة ، كما تقول أرسلت الخيل بالاسلحة الى المعركة . وتقول أرسلت غلامي بالفرس ، وأرسلت أخي بغلامي .

وفي محاضرات الادباء للراغب (٦٩٩) : (قال عديّ قلتُ يا رسول الله أرسل كلبي فيأخذ الصيد فلا أجد ما أذبحه به ..) فلم يحتج في تعدية الفعل الى الباء ، لان المفعول يتصرف بنفسه وتقول : أرسلتِ الشمسُ ضوءَها وبعثت أشعتها ، ولاحاجة بمفعول الفعل في الاصل الى الباء إذ ليس يُفتقر الى من يصحب الضوء في ارساله أو مايرافق الاشعةفي بعثها.قال الشاعر يصف ابنة العنب كما جاء في زهر الآداب للقيرواني (٢٠٩) :

ظلّت تسامرنا وقد بعثت ضوءاً يلاحظنا بلا ذهب

وقد فسّر الآلوسي في كتابه كشف الطرّة عن الغرة كلام ابن برّي، فارقاً بين المرسل والمبعوث ، إذ أوجب الباء في المبعوث اذا لم يتصرّف بنفسه ولم يوجبه في المرسل ، واستدلّ بقوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح ــ الاعراف / ٥٦) . والجواب عن ذلك من جهتين ، الاولى أن ابن برّي لم يوجب الباء الاّ فيما كان في ارساله مرسل ومرسل به ، وليس في الآية مرسل ومرسل به ، والثاني أن الرياح مما يتصرف بنفسه ولو كان شيئاً ، خلافا لما ذهب اليه . وقد جاءت الآية على الاصل ، ومثلها كثير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ستقول وما حاجتنا الى ميز غير المتصرف بنفسه من المتصرّف اذا كان يمكن انزال الاول منزلة الثاني . أقول لابد من الميز فيما كان فيه مبعوث ومبعوث به ليكون الاول هو المتصرّف بنفسه ، أما مالم يكن فيه الا مبعوث فإنك تتبين المتصرف لتسقط عنه الباء ما لم يكن داع الى اعتداده بخلاف ذلك ، فإذا أسقطتها عن غير المتصرف حملاً له على المتصرف مجازاً كقولك بعثت الهدية أو أرسلتها ، فقد أوحيت أن لاحاجة بك الى ذكر من صاحَب المبعوث أو التذكير به .

والعجب ممن أوجب الباء فيما لايتصرف ، كقولك (أرسلت كتابي) بحجة أنه (لايذهب وحده أو لايسير بنفسه) ! وليت شعري ألم يقل الفصحاء (وافاني كتابك) و (وَرَدَت عليَّ رسالتك) و (جاءتني موعظتك) ، فلم لم يُستغرب ذلك منهم ولم يُستندر ؟ وما بال البحتري يتصوّر أن يسعى المنبر الى صاحبه ، وهو شيء لا يسير ولا يتحرك دون محرك ، فلا يُنعى عليه ذلك حين يقول :

ولو ان مشتاقاً تكلّف فوق ما ... في وسعه لسعى اليك المنبر

وقد جاء في نهج البلاغة (٣/٨) (أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصَّلة ورسالة محبّرة) أفليس هذا كله من المجاز والصورة واحدة ؟ فما بالهم خصوا المنع بـ (أرسل) و (بعث) ؟

(٨)

وقد يعتمد بعض النقاد في التخطئة دليلا لايمت الى أصل لغوي ، وان بدا حجّة معقولة . فالمدار في الحكم ، هاهنا ، على ماجرت عليه اللغة من طرائق ، وما ألفته من سنن ، وعرفت به من خصائص وسمات ، لا على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما يسليه منطق التعليل العقلي . قال صاحب الكليات أبو البقاء (٤٢٩) : (الاحكام اللغوية لا يمكن اثباتها بمجرد المناسبات العقلية القياسية ، بل لا بدّ أن تكون معتبرة في الاستعمالات اللغوية) .

من ذلك ماذكره الدكتور مصطفى جواد في كتابه (قل ولاتقل) ، اذ منع قول القائل (تسلل اليها) واعتلّ لذلك فقال : (وذلك لان التسلل هو خروج وتقصٍّ وتخلّص من زحام أو غمار أو جمع ، وليس هو بدخول . فأقرب الكلمات معنى من المراد اليوم بالدخول سرّاً ... هو التوغل والوغول والايغال) .

أقول غريب حقاً منع تعدية (تسلل) بـ (الى) ! فاذا كان (التسلل) خروجاً على حدّ قول الاستاذ ، أولست تقول (خرجت الى السوق) ؟ فما وجه المنع اذاً وما بينته ؟

وانظر الى (صبأ)مثلا . قال صاحب المصباح (وصبأ من دين الى دين يصبأ مهموز بفتحتين ، خرج فهو صابىء) . فالصبوء هاهنا خروج، لكنه خروج من دين ودخول في دين آخر . قال الدكتور جواد (التسلل خروج وتقصٍّ ...) والتقصي هو التباعد ، ونحوه كـ (الانفصال) و (المباينة) . فانظر الى ماجاء في محاضرات الادباء (٣/٢١١) : (وكتب الصابىء عن عز الدولة الى أبي تغلب وقد نقل ابنته اليه : قد وجّهت الوديعة ، وانما نُقلت من وطن الى سكن ، ومن مغرس الى مغرس ، ومن مأوى عزّ وانعطاف الى مأوى برٍّ وإلطاف ..) ، وأردف : (وهي بضعة مني انفصلت إليك ، وثمرة من جني قلبي حصلت لديك ، ولا ضياع على من تضمّه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك) . أفرأيت كيف عدّى الانفصال بـ (الى) وهو مباينة كالتسلل ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقد ثبت بذلك أن قولك (تسلل اليه) صحيح مستقيم • ولكن ما معناه على وجه التحقيق ؟

قال ابن منظور (الانسلال المضي والخروج من مضيق أو زحام ، وانسلّ وتسلل انطلق في استخفاء) • فـ (الانسلال والتسلل) افلات وانطلاق في استخفاء ، أو في انسياب لا يُشعر به ، كما هو فعل الجندي الهارب من معسكره أو السجين الفارّ من محبسه • فاذا مضى الجندي أو السجين فبلغَ غايته ومأمنه ، وانتهى الى ملاذه ومفزعه فقد ذهب الاستخفاء وحلّ محله ظهور ومجاهرة • فقولك (تسلل جنود العدو إلينا) صحيح لكن فحواه أنهم أفلتوا من معسكرهم في استخفاء ولحقوا بنا • وقد يكون لحاقهم هذا لمظاهرتنا على من كانوا في معسكرهم ، خلافا لما يفهمه الكتاب منه • فانظر الى ما جاء في نهج البلاغة (٣/١٤٤) : (أما بعد فقد بلغني أن رجالا ممن قِبَلك يتسلّلون الى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عَدَدهم ، ويذهب عنك من مددهم ••• وقد عَرَفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه ، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة ، فهربوا الى الأثَرة ، فبعداً لهم وسُحْقاً) • وهذا صريح باستعمال (تسلل اليه) ولكن بمعنى (هرب اليه) •

قال الاستاذ جواد (فأقرب الكلمات معنى من المراد اليوم بالدخول سراً •• هو التوغل والوغول والايغال) • وليس هذا بالوجه • والذي أراه أن يُستعمل (اندس) مكان (تسلل) فيقال (المندسون) لا (المتسللون) • فانظر الى ما جاء في شرح الحماسة للمرزوقي (٤٤٤) : (وجهوا فارساً ليندسّ في أثناء خيلنا ويعرف سرّنا وعلننا ، ويقف على عددنا وعُدّتنا) • وهذا ما عناه الكتاب باستعمالهم (تسلل) • أما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(وغل) فقد قال صاحب المصباح (وغل ٠٠ توارى بشجر ونحوه فهو واغل ٠ قال السرقسطي : وغل في الشيء ٠٠ دخل ، ٠٠ دخل بغير إذن) أما أوغل فمعناه أمعن وأسرع ٠ ومن ثمَّ كان (اندسَّ) أليق بالمعنى ٠

ونحو من (تسلل اليه) ، (تسرَّب اليه) فقد اعتده الدكتور مصطفى جواد خطأ ، وجعل صوابه (تسرَّب فيه) ٠ وقَصد قصده الاستاذ محمد العدناني فقال : (ويقولون تسرَّب الى المكان والصواب تسرَّب في المكان أي دخله خفية ، هذا هو رأي المحكم واللسان والتاج ، ومثله انسرب الثعلب في جحره) وتابع قوله (أما سَرَّب اليه فيعني أرسل اليه) ٠ وعلى ذلك قول الاستاذ أسعد خليل داغر في تذكرته ، والاستاذ أحمد العوامري في مجلة المجمع القاهري ٠

أقول السروب والانسراب والتسرُّب جري ومضي وذهاب ، لكنه جري في رفق وتلطُّف ، وذهاب في سروح ٠ فاذا ضاق المجرى كان التسرب انسياباً في تدافع ، وفي غير ملامسة تعوق المتسرب أو تشعر به ٠ ومن ذلك سرَّبه اذا أرسله وأطلقه في تتابع ٠

فاذا كان انطلاق السارب أو المتسرب من محبس ، كان السروب أو التسرب على معنى الخروج ، أو كان الانسراب والتسرُّب في مدخل أو جحر أو بيت ، كان على معنى الدخول ، ففي الصحاح (والسَرَب أيضا بيت في الارض تقول : انسرب الوحش في سَرَبه وانسرب الثعلب في جحره وتسرب أي دخل) ، أو كان السَرَب أو السروب أو الانسراب في الارض أو الطريق ، كان على معنى الذهاب والمضي ٠قال الراغب في مفرداته (السرب الذهاب في حدور) وقال ابن القوطية (وسَرَب في الارض سروباً ذهب ، والابل سرحت نهاراً) ٠ وفي الكامل للمبرد (يقال خلِّ سَرْبه أي طريقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى يذهب حيث يشاء ، ويقال ذلك للابل لانها تنسرب في الطرقات) . وفي الاساس (سَرَب في الارض سروباً مضى فيها وهو يسرب النهار كله في حوائجه) . وفي اللسان (سربوا فيها ــ أي الطريق ــ : تتابعوا).

فليس (الدخول) إذاً ، وقد فسَّر به (التسرُّب والانسراب) في موضع من القول ، أصلا في معنى الفعل يعتمد في تقرير تعديته ، وانما الاصل سواه كما ذكرنا.فقولك(انسرب الوحش في جحره)انما يعني مضيّ الوحش في وكره ، في رفق وتدافع كما تنساب الحية في مسربها أو جحرها. قال الراغب (وانسربت الحية في جحرها) . وفي اللسان (ومسارب الحيَّات مواضع آثارها اذا انسابت في الارض على بطونها) . وقال المرزوقي يصف مشي امرأة (هي تنساب أي تتدافع في مشيها تدافع الحية، فهي في انسيابها تتجافى عن الارض جُهدها) .

وانظر الى ماجاء في المقاييس لأحمد بن فارس عن أصل معنى(سرب)، قال : (السين والراء والباء أصل مطرّد ، وهو يدلّ على الاتساع والذهاب في الارض . من ذلك السَّرب والسُّربة ، وهي القطيعُ من الظِّباء والشاء لانه ينسرب في الارض راعيا) ، وقال : (وقال أبو زيد يقال خلِّ سَربه أي طريقه يذهب حيث شاء ، وقالوا سِرب بالكسر .. وقال : يعني الطريق ، ويقال : انسرب الوحشي في سَربه) . فقد رأيت كيف جعل الاصل في معنى الفعل هو الذهاب ، وردَّ كل مصارف الفعل اليه ، ولم يستثن قولهم ــ انسرب الوحشي في سَرْبه ــ بل لم يذكر مع الذهاب أصلا آخر كما اعتاد ذلك فيما لايمكن أن ترد دلالاته الى أصل واحد . ومنه (التسريب) ، قال صاحب الاساس (ومن المجاز سرَّبت اليه الاشياء : أعطيته اياها واحداً بعد واحد) أي في تتابع . وانظر الى ماقاله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الراغب في مفرداته (السَرَب الذهاب في حدور،والسَرَب المكان المنحدر، قال : فاتَّخذ سبيله في البحر سَرَبا ــ الكهف ــ وسروبا ، نحو مرمراً ومروراً ، وانسرب انسرابا كذلك لكن سَرَب يقال على صدور الفعل من فاعله ، وانسرب على تصور الانفعال منه ، وسَرَب الدمع ، سال ، وانسربت الحيَّة في جحرها ، وسرب الماء ..) ،فقد ردَّ قولهم (انسربت الحية في جحرها) الى الاصل الواحد ، ولم يعدل به الى سواه ، كما فعل النقَّاد .

فاذا ثبت هذا واطمأنَّ وكان التسرب والانسراب في الاصل جرياً وذهابا ومضياً ،كان تعديهما بـ (في) يعني تعيين موضع حدوث الفعل ، وتعدّيهما بـ (الى) يعني الدلالة على موضع انتهائه وبلوغ غايته . والاَّ فكيف تستنع تعدية (تسرب) بإلى وهو يقع موقع الجري والذهاب ويجوز مجازهما ؟ فقولك (تسربت أموال الخزانة الى الجيوب) اذا تتابعت،و (الاخبار الى العدو) اذا انتهى بعضها اثر بعض ، صحيح مستقيم، لاسبيل عليه لعائب .

ونظير (تسرَّب) : (انساب) . فاذا قلت (انسابت الحية في جوف فلانٍ) فمؤدّاه أنها دخلت ومضت ، قال صاحب النهاية (إن رجلا شرب من سقاء فانسابت في بطنه حيَّة .. أي دخلت وجرت مع جريان الماء ، يقال : ساب الماء وانساب اذا جرى) .

وكذلك (دبَّ) فأنت تقول (دبّ في جوفه) اذا أردت دخوله . قال المرزوقي (دبَّ في مسامه وموالجه ــ أي الهوى) . وقالَ الزمخشري في الاساس (ومن المجاز دبَّ الشراب في عروقه) . أما اذا قلت (دبَّ اليه) فأنت تروم التوجه والانتهاء كما أردت من تسرّب اليه . قال ابن القوطية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(دبّ النحل دبيباً ، والقوم الى العدو مَشَوا مشياً رفيقاً ، والشراب في الجسد كذلك) . فعدّى (دب) بإلى ، كما عُدّى بفي ، وكل على بابه.

وهكذا (تغلغل) . ففي الصحاح (تغلغل الماء في الشجر اذا تخللها). لكنك تقول (تغلغلت الى كل غامض فجلوته) . قال الجاحظ في بعض رسائله (والتغلغل الى دقائق الصواب) ، وقال صاحب الوساطة : (أو معنى غامضاً قد تعمق فيه مستخرجه وتغلغل اليه مستنبطه / ٣٠٨) وقال المرزوقي في مقدمة شرح الحماسة (متوصل الى الظفر بسطلوبه ، متغلغل الى توعير اللفظ وتغميض المعنى).

فاستقر بذلك أنه لايغنيك في تعدية فعل أن تقف على نصّ قد اتفق لك في تعديه فتلزمه وتعجل به ، بل لابد من تدبر أصل معناه والكشف عن وجوه تصرّفه ، على ما تتسع له دلالته .

(٩)

وهذا موضع آخر لاستعمال حرف من حروف الجر ، قد نسب الى الوهم ، على حين اتفق منه في كلام الفصحاء ونصوص المعاجم ما يشهد بصحته ويقر بسداده ، بل جاء منه في آي التنزيل ماينفي عنه شبهة الخطأ ويِنأى به عن الردّ والانكار .

قال الاستاذ محمد العدناني في معجمه : (ويقولون فلّ من حدّ السيف أي ثلمه ، والصواب فلّ حده يفلّه فلاً أو فلّله ، أما فلّ القوم فمعناه هزمهم) .

وواضح أن الاستاذ انما اعتمد نص المعاجم ، وقد جعلت تعدية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(فلّ) بنفسه • ففي الصحاح (يقال فلّه فانفلّ اذا كسره فانكسر) • وفي الاساس (فُلّ منه شيء اذا انكسر) •

لكن العرب قد أجازت ادخال (من) في هذا الموطن ، وجرت عليه • ففي الاساس (كسرت خصمي فانكسر ، وكسرت من سَوْرته) • وفيه (اغضض من صوتك : اخفض منه ••• وغُضّ من لجامِ فرسِك أي صوّبه وطأمنه لتنقص من غربه) •

وفي المصباح (غضّ الرجل صوته وطرفه ، ومن طرفه ومن صوته ••• خفّض) •

وفي نجعة الرائد لابراهيم اليازجي (كسر من غلوائه وكف من غربه) ، والغرب الحد •

وفي الفاخر لابن عاصم ، حول قول العرب (فتّ في عضديه) : (العضد القوة ، والفت الكسر من قولهم فتّتّ الشيء اذا كسرته صغاراً ، ومعنى ــ في ــ من ، والمعنى كسر من عضديه أي من قوته) • وفي الالفاظ الكتابية للهمذاني (ونهنه من غربك أي كفكف من حدّتك) ، وفيه (أخمل فلان فلاناً وأوضعه ، وخفض من حاله) •

وفي المقابسات لأبي حيان التوحيدي (٣٧) : (كفكف من غربك ونهنه من سربك) •

وفي نهج البلاغة (١/٧٤) : « قد طامن من شخصه ــ أي خفض ــ وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه وزخرف من نفسه » • وفيه أيضاً (٢/٦٤) « وانهما لايقرّبان من أجل ولا ينقصان من رزق » • وفي شرح الحماسة للمرزوقي (٩٢٥) : « سكّن من جأشي وأزال قلقي » • وفيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١١٦٨) : « فلا جرم أن كفّ من شأو شرّه وغرب عداوته » .

فتبين بما تقدم أنك تقول :(كسرته وكسرت منه وغضضته وغضضت منه وخفضته وخفضت منه وكففته وكففت منه وفتته وفتت منه ..) كما تقول : (طأمنته وطأمنت منه وقاربته وقاربت منه وقرّبته وقربت منه وسكنته وسكنت منه ..) ، فما الذي أجاز دخول (من) على مفعولات هذه الافعال ، وما الذي يعنيه دخولها في هذا الموضع ؟

ذهب فريق الى زيادة (من) هاهنا ، ومنهم الاخفش . وذهب آخرون الى أصالتها ومنهم سيبويه ، ذلك أنه اشترط للقول بالزيادة أن يتقدّم (مِن) نفيٌ أو نهي أو استفهام . وقد تابع المفسرون سيبويه كما فعل الزمخشري وأبو السعود وغيرهما . واشترط صاحب المغني للزيادة ثلاثة شروط الاول ما ذكرناه ، والثاني تنكير مجرورها ، والثالث كونه فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ ، وقال بزيادتها في المنصوب والمرفوع جميعا .

فاذا أخذنا بمقالة سيبويه وهو لايجيز زيادة (من) في الكلام الموجب ، وعليه كثرة النحاة والمفسرين ، كانت (من) في الامثلة المتقدمة (تبعيضية) والمفعول محذوف تقديره (.شيئاً) . ففي التنزيل (يكفر عنكم من سيئاتكم ــ البقرة/٢٧١) و (يغفر لكم من ذنوبكم ــ الاحقاف/٣١ ، ونوح / ٤) . والمعنى يكفر شيئا من سيئاتكم ، ويغفر شيئا من ذنوبكم . قال أبو حيان في البحر المحيط (٢ / ٣٢٦) في الآية الاولى (مِن ، في قوله : من سيئاتكم للتبعيض ، لانّ الصدقة لا تكفّر جميعَ السيّئات) ، وقال (٨ / ٦٨) في الآيةِ الثانية : (من ، للتبعيض لانّه لا يغفر بالايمانِ ذنوبَ المظالم) . وقد أيّدَ الرضيّ في شرح الكافية (٢/٣٢٣) أن ــ من ــ في هذه الآية للتبعيض اعتماداً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على المعنى ، وفصّل ذلك تفصيلا ، كما شرحه صاحب الكليات أبو البقاء فاستوفى شرحه . فقد آثر النحاة والمفسّرون القول بأصالة (من) هاهنا ، اذ جعلوا معوّل الحكم في المسألة على المعنى . قال الامام الانباري في كتابه أسرار العربية (٢٦٠) : (فأما قوله تعالى : ويكفر عنكم من سيئاتكم ، ف ــ من ــ فيه للتبعيض لا زائدة ، لانه من الذنوب ما لا يُكفر بابداء الصدقات ، أو اخفائها واتيانها للفقراء ، وهي مظالم العباد . أما قوله تعالى : يغضوا من أبصارهم ، ف ــ من ــ فيه أيضا للتبعيض لانهم أُمروا أن يغضوا أبصارهم عما حُرّم عليهم ، لا عما أحلّ لهم ، فدلّ على أنها للتبعيض وليست زائدة) .

ويستقيم على هذا ما أوردناه من الامثلة جميعا على تقدير حذف المفعول . تقول فللت من حد السيف ، أي فللت من غربه وكففت ، وكسرت من سورته اذا خفضت شيئاً من غلوائه ونهنهت . والذي يتحصل من هذا كله أن قولك (فلّ من حد السيف) صحيح فصيح ، لا محلّ فيه لتخطئة .

هذا وتدخل من (التبعيضية) هذه ، على ما حقّه الرفع ، كما دخلت على ما وجب نصبه . وقد مثّلوا لذلك بقوله تعالى (ولقد جاءك من نبأ المرسلين أي بعض نبأ المرسلين أو بعض من نبأ المرسلين ، فالفاعل هو المحذوف .

ولكن اذا اشترط للقول بزيادة ــ من ــ أن يتقدمها نفي أو نهي أو استفهام فهل يجب للقول بأصالتها أن يكون الكلام موجباً ؟ أجاز ابن مالك الطائي في كتابه (شواهد التوضيح) القول بزيادة ــ من ــ في حديث عائشة (فإذا بقي من قراءته نحوا من كذا) على تقدير (فاذا بقي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قراءته نحوا) برفع (قراءته) على الفاعلية ، ذاهبا فيه مذهب الاخفش . لكنه رجّح القول بأصالتها على تقدير (فاذا بقي باقٍ من قراءته نحوا) وقال : (وهذا الحذف كثير قبل ــ من ــ لدلالتها على التبعيض) ، وذكر (أن تقدير الفاعل المحذوف باسم فاعل الفعل ، أولى من تقدير غيره لدلالة الفعل عليه معنى ولفظاً) ، وجعل التعويل في كل ذلك على المعنى.

بقي أن نشير الى أن فيما مرّ بنا من قول ابن عاصم حول (فتّ في عضدي) مايدعو الى النظر . ذلك أنه جعل ــ في ــ هنا في موضع ــ من. فإذا علمنا أن العرب تقول (فلان يفت في عضد فلان ، ويقدح في ساقه) كما جاء في اللسان ، وتدبّرنا المشاكلة بين (فتّ فيه) و (قدح فيه) ، كان لنا في المسألة رأي آخر . فقد استعمل العرب أفعالا متعدّية أرادوا بها مجرّد وقوع حدثها فلم تحتج الى مفعول يذكر أو يقدّر . اذ جاء في التنزيل (وأصلح لي في ذريتي ــ الاحقاف / ١٥) . قال صاحب الكشاف : (كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي ..) ، وقال البيضاوي في تفسير الآية (اجعل الصلاح ساريا في ذريتي ، راسخا فيهم ، نحو قوله:

وان تعتذر بالمحل عن ذي جذوعها الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي)

وقد أنزلت هذه الافعال منزلة الافعال القاصرة ، فذهب صاحب المغني (٢/١٢٣) الى أنها على تضمين المتعدي معنى فعل لازم ، فخرّج (أصلح) على تضمينه معنى (بارك) ، و (جرح) على تضمينه معنى (عثا أو فسد) . وأشار الى ذلك صاحب الكليات (٣٢٥) .

فأنت تقول اذاً (أصلح لي في كذا) أي اجعل لي الصلاح فيه . و (الحزن يحزّ في كذا) أي يجعل الجرح فيه . كما تقول (يفت هذا الامر في عضدي) يجعل الفتّ أو الكسر فيه ، و (يقدح في ساقة) أي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يجعل القدح فيها • وفي اللسان (وقدح الدود في الإسنان والشجر قدحاً ، وهو تأكّل يقع فيه) •

وفي الحديث (والإثم حزاز القلب) قال صاحب الصحاح (الحزاز ما حزّ في القلب • وكل شيء حكّ في صدرك فقد حزّ)• قال صاحب النهاية (تحزّ فيها أي تؤثر ، كما يؤثر الحزّ في الشيء) • وفي الاساس : (زاده الله مالاً ، وزاد في ماله)• فاذا قلت (يفتّ من عضدي) كانت ــ من ــ على التبعيض ، أي يفت شيئا من عضدي ، وهو غير (يفت في عضدي) لان هــذابمعنى يجعل الفت في عضدي • وقد جاء في التنزيل (ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ــ الشورى / ٢٠) ، فاستعملت (في) مع زاد دون (من)• وقد فرّق الزمخشري بين (نزد له في حرثه) • و (نؤته منها) فقال : (وفرّق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وُفق في عمله وضوعفت حسناته • ومن كان عمله للدنيا أُعطي شيئاً منه ، لا مايريده ويبتغيه)• فلم ير في (نزد له في حرثه) تبعيضاً كما رآه في (نؤته منها) • وهذا يعني أن (نزد له في حرثه) غير (نزد له من حرثه) لو قيل ، لأن هذا على التبعيض خلافا للاول •

(١٠)

ومما عاب الاستاذ محمد العدناني في معجمه ، وهو صحيح لاسبيل عليه لآخذ ، (زاد عنه) قال العدناني (ويقولون زاد عنه في الكرم والصواب زاد عليه) • وقد استظهر بقول ذي الاصبع العدواني :

وأنتمُ معشر زَيْدٌ على مائــةٍ فأجمعوا أمركم طرّاً فكيدوني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أقول ان (زاد) يتعدّى تعدّي (فضل) بعن وعلى • فان قصدت به المجاوزة وبيان الفرق بين أمرين أو مقدارين ، استعملت (عن) • كأن تقول (زاد المال عن حاجتي) أي جاوز الحاجة ففضل عنها وبقيت منه بقية • كما تقول (مالُ فلان يفضل عن حاجتــه) • قال الزمخشري في الاساس (ومال فلان فاضل كثير ، يفضل عن القوت) ، وقال : (وأخذ حقه واستفضل ألفاً ، اذا أخذه فاضلا عن حقه) • فذكر في الاول أن ثمة فضلا بين ما يملكه فلان وما يحتاج اليه للانفاق على قوته • وأشار في الثاني أن هناك فرقاً بين ما أخذه وما يستحق • قــال الجاحظ في كتاب استحقاق الإمامة (وحتى يقضوا على حدّ الضــارّ والنافع ، ويعرفوا فضل ما بيْن الدّاءوالدواء ، والاغذية والسموم) • فالفضل هاهنا الفرق واستعمال (عن) فيما سلف انما هو للمجاوزة على حدّ قول النحاة •

هذا وأما اذا قصدت الى بيان ما يفوق به شيء شيئاً آخر ، استعملتَ (على) لانها للاستعلاء • تقول (ثروة خالد زائدة على ثروة أخيه) أي تفوقها وتفضل عليها • ففي نهج البــلاغة (٣/١٤٣) : (فان طاعة الله فاضلة على ما سواها) • قال الجاحظ في كتاب استحقاق الإمامة (لأن العبد اذا فضلت طبائعه وشهواته على عقله وأوامر رأيه ، أُلفي بصيراً بالرشد ، غير قادر عليه) •

هذا هو الاصل في تعدية (زاد) و (فضل) بعــن وعلى • وقــد يتماثل المعنيان في كل منهما اذا عدّيته بالحرفين ، فيقع (زاد عنه) موقع (زاد عليه) ، وينزل (فضل عنه) منزلة (فضل عليه) •

قال صاحب الكليات أبو البقاء في تعدية (زاد) : (الزيادة هي أن ينضم الى ما عليه الشيءُ في نفسه ، شيء آخر ••• والزيادة تلزم وقد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تتعدى بعن كما تتعـدّى بعلى ، لان نقص يتعـدّى به ، أي بعن ، وهو نظيره) .

فالذي أراده أبو البقاء أن (زاد عنه) صحيح حملا على (نقص عنه) لانه نظيره . ولكن ما الذي عناه بهذا ؟ فاذا قصد الى أن (نقص عنه) هو الاصل ، وأن (زاد عنه) هو الفرع المبنيّ عليه ، فالرأي غير هذا ، ولاستعمال كل منهما بعن ، أصل معروف . فالنصّ على أن (عن) انما هو للمجاوزة . قال صاحب الهمع (عن للمجاوزة وهي الاصل . لهذا عدّي بها صدّ وأعرض وأضرب وانحرف وعدل ونهى ...) . ولكن ما وجه هذه المجاوزة ؟ فأنت اذا تجاوزت بالحَدَث شيئاً استعملت (عن) كما تقول خرجت عنه ، فاذا جاوزك الشيء فقصرت دونه ، استعملت (عن) أيضاً . وإلا ففيم استعمالك (عن) في قولك (عجز عنه وضعف عنه وقعد عنه وأبطأ عنه وكسل عنه ووَنى عنه ..) ؟

ففي اللسان (قال النحويون : عن : ساكنة النون حرف وضع لمعنى ماعداك وتراخى عنك) . وهذا صريح باستعمال (عن) فيما تجاوزت بالحدث عن أمر ، وما قصرت به عنه أيضا . فأنت تقول (نقص المال عن الحاجة) لانه قصّر دون هذه الحاجة فعجز عن قضائها ، كما تقول (زاد المال عن الحاجة) لانه تجاوز ما اقتضته وعداه . وعلى هذا قول المرزوقي في شرح الحماسة (١٥٧٥): (أو تزيد عن المطلوب) . وعلى ذلك قولُ الجاحظ في كتابه في النساء) وليس كلُّ حب يسمّى عشقا ، وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار ... والبخل اسم لما ينقص عن المقدار الذي يسمى اقتصاداً) .

وغريب على هذا تخريج (عن) في قول الشاعر :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أواسي سراة الحيّ حيث لقيتهم فلا تكُ عن حمل الرّباعة وانيا

على أنه (للظرفية) حملا على قوله تعالى (ولاتنيا في ذكري — طه / ٤٢) • قال صاحب الهمع : (وردّ بأن تعدية ونى بعن معروف ، وفرق بين ونى عنه وونى فيه بأن معنى الاول جاوزه ولم يدخل فيه ، والثاني دخل فيه وفتر) • فتعدّي (ونى) بعن معروف كما ذكر صاحب انهمع ، لانه كضعف عن وقصر عن • قال الزمخشري في الاساس (وقد ونى في الامر ضعف وفتر ، ولاتنيا في ذكري ، وفلان لايني ولا يونـي ولايتوانى : لا يقصّر ••) وقد استشهد الزمخشري بقول ابن مقبل :

مرّتْه الصّبا بالغور غورِ تهامة فلما وَنَت عنه بشفعين أمطرا

يقول ان الريح استدرّت السحاب فلما ضعفت عنه بشفعين ،وهو اسم موضع ، أمطر •

وجاء في الاشباه والنظائر للسيوطي (٣/١٩٤) قول ابن هشام صاحب المغني ، في تأويل قول القائل (فلان لايملك درهماً فضلا عـن دينار) : (قال ابن هشام : اعلم أنه يقال فضل عنه وفضل عليه ، بمعنى زاد •• وانما القيد قوله فضلا عن دينار ، والكلام لم يسبق لنفي ملك الزائد عن الدينار) ، وقال : (أخبرتك بهذا بزيادة عن الإخبار عن دينار)، وقال : (استفهمت عنه زيادة عن دينار) ، فعدّى (زاد) بعن ، كمـا عدّاه كثير من الأئمة قبله كالمرزوقي • وجاء في شرح ديباجة القاموس لنصر الهوريني (ولعل المصنف لم يطلع عليه ، وإلا لزاد عنه / ١٦) ، بل اتفق (زاد عنه) في الشعر القديم أيضا ، فانظر الى هذا البيت وقد نسبه الامام التبريزي في ديوان الحماسة الى قبيصة بن النصراني • قال قبيصة الجرمي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يزيد نبالة عـن كل شـيء ونافلة وبعض القوم دونُ

قال المرزوقي في شرح الديوان (٦٢٦) : (نبالة مصـدر نبل ، والنافلة الفضل ... يقول : ومع اجتماع هذه الخصال : فيه مَروْ ونبل وحسيَّة وعز ، فيفضل على كل نبيل ، ويعلو على كل ذي شأن نبيه ، وبعض القوم ساقط قاصر ، متأخر ناقص) . فانظر اليه كيف فسَّر يزيد نبالة عن كل شيءٍ فقال (يفضل على كل نبل ويعلو على كل ذي شأن نبيه) ، فماثل بين زاد عنه وزاد عليه ، وهو ما أراده الشاعر .

فتبين بهذا ان استشهاد الاستاذ العدناني بقول ذي الإصبع العدواني (زيد على مائة) ، وقد أورده الزمخشري في الاساس لاستعمال ــ زيد على ــ في البيت بمعنى يزيدون ، لايمنع من تعدية الفعل بـ (عن) كما يتعدّى بـ (على) . والزيد مصدر كالزيادة .

هذا وقد ابتغينا بما قدّمنا وبسطنا القول فيه أن نذكي البصر على تصريف حروف الجر ، ونُحدّ النظر الى ما قد يقـع منها مواقعه ، وما يُعدل به عن منازله ومواضعه . ولم تشغلنا ، فيما انتحينا ، روعـة اللفظ فتسبق بنا الى إغفال المعنى . ونرجو أن نكون قد قرّبنا العبارة في هذا الباب وجمعنا المتفرّق وأحسنا التأدية .

ولو شئنا أن نمضي في الكلام فنتقصـى البحث في ذلك ونشبعه ونؤكده ، لكان لنا فيه مجال واسع ومذهب فسيح . لكـن غاية قولنا ومدار أمرنا أن ندلّ بما ذكرنا على الطريقة ونقف بالقـارىء على المنهج ، ليجعل مما مثّلنا عيارا لما يرد عليه من هذا ، فيأتي كل مسألة من وجهها ويتلمّسها من مأتاها .

صلاح الدين الزعبلاوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فوائد من معجم شيوخ الطبراني

الإستاذ مطاع الطرابيشي

معاجم الشيوخ لون من ألوان التصنيف عند المحدّثين ؛ يمثّل ثمرةً من ثمرات الرحلة في طلب الحديث . ولاريب في أن هذه الكتب ـ الى جانب فوائدها الحديثية الأصيلة ـ تشتمل على فوائد أخرى قيّمة ؛ إذ هي مصدر عظيم الشأن في البلدانيات ، ونظرة" لامحة" في معجم ياقوت الحموي تفي بالبيان والبرهان . وهي في الوقت نفسه مجال" رحيب لرصد الحياة الثقافية والنشاط العلمي في العصر الذي تنتمي اليه .

أما الطبراني المعنيّ بالعنوان فهو المحدّث المعمَّر صاحب الرحلة الواسعة ؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ الطَبَراني ، نسبة الى طبرية ؛ مدينة مُشرفة على البحيرة المنسوبة اليها في فلسطين . وُلد في طبرية أو عكّاء عام ستين ومائتين للهجرة ، وتوفي بأصبهان سنة ستين وثلاثمائة للهجرة .

ولقد كانت المعاجم الثلاثة أجلّ أعمال الطبراني ؛ فاشتُهر بها وعُرفت به ؛ فما يكاد يُذكر اسمه إلا مقروناً بها . إنها « المعجم الكبير » في أسماء الصحابة وتراجمهم ومارووه عن رسول الله ﷺ ، و« المعجم الاوسط » جمع فيه فرائد الاحاديث التي رواها عن شيوخه ، و « المعجم الصغير » في أسماء شيوخه . وقد رتّب معاجمه الثلاثة على حروف المعجم في أوائل الاسماء .

وهذا البحث يدور حول المعجم الصغير بخاصةٍ ؛ لقد اشتُهر بهذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاسم نظراً للطافة حجمه بالقياس الى المُعْجَمَيْن الآخرَيْن ؛ لكن اسمه الحقيقي هو معجم شيوخ الطبراني ، وبه ذُكر في ثَبَت الكُتب التي وردَ بها الخطيب البغدادي دمشق[١] ، وكذلك ذكره السمعاني في الأنساب (٨/٢٠٠) ، والذهبي في تاريخ الاسلام (ل : ٦٥ / أ)[٢] ، والصفدي في الوافي (مج ٨/ل ١٦٢)[٣] .

أما تاريخ تأليفه فيرجع ـ فيما ظهر من البحث في تراجم رواته الأوّلين ـ الى الفترة الأخيرة من حياة مصنّفه ؛ فالراوية المشهور لهذا الكتاب وهو (أبو بكر بن رِيْذَه) مولود في سنة ستٍّ وأربعين وثلاثمائة[٤] ، ولا يصح سماعه للكتاب قبل بلوغه خمس سنوات على الاقل ، ومعنى ذلك أن تاريخ تأليف الكتاب يجب أن يكون في العشر الاواخر من حياة الطبراني .

هذا الكتاب يُعَدّ بحق في طليعة معاجم الشيوخ المعروفة «صحيح» أنه سبقه في هذا المضمار مشيخات عدة : لابراهيم بن طَهْمان (ت ١٦٣) ويعقوب بن سفيان الفَسَوي (ت ٢٧٧) ، وأبي عبد الرحمن النَّسائي (ت ٣٠٣) ، وأبي يَعلى الموصلي (ت ٣٠٧) ، وأبي القاسم البَغَوي (ت٣١٧) ، ومحمد بن مخلد الدُّوري (ت ٣٣١) ، وأبي العباس بن عُقْدة (ت ٣٣٢) ، وأبي سعيد بن الاعرابي (ت ٣٤٠) ، وعبد الصمد الطَّسْتي

---

(١) انظر الجزء في « تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق من الكتب المصنفة » من مخطوطات المكتبة الظاهرية (ق : ٢٩ / أ)

(٢) مصورة المجمع بدمشق .

(٣) مصورة المجمع بدمشق .

(٤) العبر ٣/١٩٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ت ٣٤٦) وإبراهيم بن محمد الاصبهاني (ت ٣٥٣)[١] . لكنَّ الملاحَظ أن بعض تلك المشيخات لم يكن من صنع مَن نُسب اليه ؛ وإنَّما قام بها عنه بعض تلامذته . كما أن بعضها الآخر ليس فيه استقصاء أو ترتيب . يضاف الى ذلك أن طائفة من هذه الكتب قد غدا الآن مفقوداً .

إنما الجدير بالتسجيل أن جُلَّ أولئك الذين تقدَّموا الطبراني في صنع المشيخات كانوا من شيوخ الطبراني نفسه ، كالنَّسائي وأبي يَعلى والبَغَوي وابن عُقْدة وابن الاعرابي ، ويبدو من المقارنة بين معجمي أبي سعيد بن الأعرابي وأبي القاسم الطبراني أن هذا الاخير اقتفى أثر شيخه في صنيعه ؛ لكن عمله امتاز بإضافة تحسينات غير قليلة على عمل شيخه .

كما تبدو لنا قيمة هذا الكتاب في كثرة نُسَخه المخطوطة المتناثرة في أرجاء المكتبات العالمية ؛ مما يدل على سعة انتشاره في الأزمنة الماضية ، فقد استقرت نُسخه في مكتبات القسطنطينية والهند والإسكوريال والمتحف البريطاني والازهر والمدينة المنورة[٢] .

ومع ذلك لم يكن حظُّ هذا الكتاب من الطباعة حسناً ؛ فقد طُبع مرتين : في دلهي سنة (١٣١١ هـ) ثم في القاهرة سنة (١٣٨٨ هـ) ، ومن المؤسف أن كلتا الطبعتين لم تتوفر لها شروط النشر العلمي ؛ فظهرت تفيض بالخطأ والتصحيف ، ولولا خشية الإطالة لعرضتُ نماذج من أخطائهما ؛ وما أكثرها .

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة (ط. الثالثة ، ص : ١٣٥ ـ ١٣٨) ، وبحوث في تاريخ السنّة المشرفة (ص : ١٥٠ ـ ١٥١) ، وفهرس الاستاذ ناصر الدين الالباني (ص: ٤،٢٥،٣٧٤)

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٤٨٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قدّم الطبراني لمعجمه هذا بقوله : « هذا كتاب فوائد مشايخي الذين كتبتُ عنهم بالأمصار ؛ خرّجتُ عن كل واحد منهم حديثاً واحداً ، وجعلتُ أسماءهم على حروف المعجم . »[1] .

قلت : ولكنه ، فيما يظهر ، لم يلتزم هذه القاعدة التزاماً دقيقاً ؛ ذلك لأن عدد شيوخه المذكورين في الكتاب بلغ ألفاً ومائة وخمسين شيخاً ؛ على حين بلغ عدد الاحاديث التي أخرجها ألفاً ومائتين وتسعة أحاديث[2] .

* * *

١ ـ منهج البحث :

يمتاز هذا الكتاب بأنه يُقدم معلوماتٍ قيِّمةً عن رحلة الطبراني الواسعة ، وعن توزّع مشيخته في الامصار ؛ فهو بذلك يُمكّن من استنتاج تصورات صحيحة عن مراكز الإشعاع الثقافي في العالم الاسلامي آنذاك ، وعن مدى نشاط كل منها .

على أن تحديدات الطبراني جاءت متفاوتة : تارة يذكر مكان سماعه من الشيخ وزمانه ، وتارة يكتفي بذكر مكان السماع فحسب ، وأحياناً يقتصر على ذكر نسبة الشيخ الى بلده أو قريته ، وقد يذكر اسم الشيخ مجرّداً من أي تحديد .

وبناء على ذلك ؛ فقد قمتُ بجرد كل قسمٍ على حدة ، ثم رتّبتُ الاقسام الثلاثة الاولى في قوائم موزعة على الأقطار ، وذكرتُ بجانب اسم

---

(١) المعجم الصغير ١/٧

(٢) وقعت للسابقين بعض أوهام في هذا المجال ، فظن بعضهم أن جملة أحاديثه ألف وخمسمائة حديث ، وظن آخرون أن عدد شيوخه ألف شيخ ، وكل ذلك رجم بالغيب . (انظر الرسالة المستطرفة ١٣٦)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلدة أو القرية عدد الشيوخ الذين سـمع منهم فيها أو انتسبوا اليها . وبذلك أمكنَ التعرّف الى مسار رحلته مُحـدّداً بالزمان والمكان ، كما أمكنَ تصنيف مشيخته على المدن ثم على الاقطار ، ومـن ثَمّ الكشفُ عن ملامح الخارطة الثقافية للعالم الاسلامي في الر بع الاخير من القـرن الثالث الهجري،وذلك بتحديد المراكز العلمية العاملة فيه آنذاك،واستخراج نسبة مشاركة كل قطر في القيمة الإجمالية لمشيخة الطبراني[1] .

ولقد قاد البحث في هذا المجال الى نتائج محدّدة ؛ استدعت توسيع نطاق العمل ؛ بمقابلة الاحصاءات ونتائجها بإحصاءات أخرى في مصادر مماثلة ؛ لاستكمال الصورة من جهة ، وللتحقق من صحة النتائج المستفادة من جهة ثانية .

لذلك قمتُ بمراجعة فهارس «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ت٢٣٠)، فأحصيتُ عدد الصحابة في كل قطـر واستخرجتُ نِسَبَ توزّعهم في الامصار ، ثم قمتُ بإحصاء عدد التابعين من بعدهم واستخرجتُ نِسَبَ توزّعهم كذلك ، ثم صنعتُ الإحصاء نفسه للفقهاء والمحدّثين اعتباراً من ظهور بغداد سنة (١٤٥) وحتى آخر الطبقات حوالي سنة (٢٣٠) ، فكانت النتائج هنا مؤدّية الى النتائجهناك ومؤيّدة لها في الوقت نفسه ، وبذلك أمكن تعميم النتائج على القرون الثلاثة الاولى معا .

وقد كنتُ هممتُ أن أجري الاحصاء نفسه في مشيخة أبي القاسم بن عساكر (ت ٥٧١) ، لكنّ ذلك يتطلّب جولاتٍ مماثلة في مشيَختَيْ

---

(١) كان اعتمادي في العمل على النسختين المطبوعتين للتحقق ، لكني وجدت لدى المقابلة بينهما أنهما متفقتان في الغالبية العظمى من الاخطاء ، فاكتفيت لذلك بالاحالة الى الطبعة الثانية.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبي سعد السمعاني (ت ٥٦٢) وأبي طاهر السِّلَفي (ت٥٧٦) لتتبّع الحياة الثقافية في القرن السادس الهجري بصورة شاملة ؛ ممّا رجّح إرجاء هذا العمل الى بحث مفرد لذلك . على أن اطلاعي على جملة المدن التي ذكرها الحافظ السِّلَفي في « الاربعين البلدانية »[1] له ؛ أوحى إليّ بأنّ المعالم الاساسية للخارطة التي أظهرتها مشيخة الطبراني لم تتغيّر كثيراً في القرون الثلاثة التالية .

هذا ولم يخلُ البحث من بعض المصاعب : منها أن الطبراني أهملَ ذكر تواريخ سماعه في المراحل الاخيرة من رحلتـه ؛ فَغَمَضَتْ تلك الفترة علينا ؛ وبخاصةٍ (المرحلة الايرانية) . كما بدا أن بعض التواريخ المذكورة في المعجم موضع نظر ، مع أنها مُثبتة بالارقام والحروف معـاً في كلتا النسختين ؛ فقد ظهر خطأ بعضها واضطراب بعضها الآخر . ولقد أصبتُ في كتاب أبي نُعيم في « ذكر أخبار أصبهان » بعض الفـوائد في الكشف عن أحوال مشيخة الطبراني في أصبهان ، كما ظهر أن بعض أولئك المجاهيل الذين ذكرتُهم آنفا كانوا من أهل أصبهان . أما الارقام المضطربة فقد خصصتُها بدرسٍ مُفصّل .

وعلى ذلك فسيأتي البحث على النسق التالي : رحلة الطبراني ، معالجة المشكلات والارقام ، تَوزُّع المشيخة ودلالاته . وسأُثبِت بآخر البحث قوائم في بيان توزع المشيخة ، وفهارس طبقات ابن سعد . ولستُ أزعم ــ بعد كل الحذر الذي أخذتُ به نفسي خلال هذا العمل ــ أن ماوصلتُ

---

(١) اسمها الكامل : « كتاب الاربعين المستغنى بتعيين مافيه عن المتعين » ، وهي من مخطوطات المكتبة الظاهرية ، برقم (مجموع ٧٦ : ق ٦ـ٢١) . وقد خرّجَ فيها الحافظ السِّلَفي أربعين حديثا عن أربعين شيخا بأربعين مدينة ، من المدن التي زارها خلال رحلته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اليه هو القول الفصل في هذا المجال • وإنما هو الرؤيةُ المتأنّية في حدود ما استشرفتْ من آفاق ؛ وأسأل الله التوفيق •

* * *

٢ ــ رحلة الطبراني :

بدأت رحلة الطبراني من طبرية في سنة (٢٧٤) ؛ حيث صحبه أبوه فزار به القدس[١] • وامتدت رحلته في أرجـاء فلسطين أربع سنوات : من سنة (٢٧٤) الى سنة (٢٧٧) ؛ زار خلالها حواضر العلم في بلده •

ثم رحل في السنتين التاليتين : (٢٧٨ ــ ٢٧٩) في سائر بلاد الشام ؛ فزار مدناً وقرى عدة في الداخل والساحل ، وفي الجزيرة ومنطقة الثغور المتاخمة للروم في الشمال •

ثم نزل جنوباً فكان في مصر سنة (٢٨٠) ، فبقي فيها نحواً من ثلاث سنوات • ثم غادرها الى الحجاز ، فكان في مكة والمدينة في سنة (٢٨٣)، وربما سافر من (قُلْزُم) القريبة من مدينة السويس حالياً ، الى (أيلة)، ومنها الى (جُدَّة) ، فمكّة • والظاهر أنه حجّ في ذلك العام •

ثم تابع الرحلة في العـام التالي قاصداً اليمن ؛ فكان في صـنعاء سنة (٢٨٤) ؛ وزار شِبام وزَبيد والكدراء • ويبدو أنه عاد راجعاً الى مصر إذ سَجّل وجوده فيها ثانيةً في سنة (٢٨٥) •

ثم ارتحل الى العراق ، فأقام في بغداد ثلاث سنوات ؛ من سنة (٢٨٦) الى سنة (٢٨٨) ، وطاف في تلك الاثناء مدن العراق والاهواز ؛ وقد كانت أكثر المراكز الثقافية تألّقاً في العالم الاسلامي •

---

(١) أما ماذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء من أن أول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين فهو وهم ، كشف عنه البحث في معجم شيوخ الطبراني •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم واصل الرحلة الى المشرق ، فزار أرّجان وشيراز ، وكان في أصبهان سنة (٢٩٠) ، وما لبث أن خرج منها ؛ ثم عاد اليها ثانية بعد بضع سنوات ليستقرّ فيها بصورة دائمة .

* * *

٣ ــ مشكلات وأرقام :

كان ذاك هو الوجهَ المنَسَّق الواضح من رحلة الطبراني ، وبقيت مشكلاتٌ مطروحة للبحث ، قد لا نملك حتى الآن جوابا حاسما لبعضها، من ذلك هذا السؤال :

● متى كان تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان ؟

توزعتِ الاجابةَ عن هذا السؤال أقوالٌ شتّى ؛ وهذا بيانها :

١ ــ ذكر الطبراني في معجم شيوخه سماعَيْن له في أصبهان : الأول سنة (٢٩٠) ، والثاني سنة (٢٩٥)[١]

٢ ــ وذكر تلميذه أبو نُعيم أن شيخه الطبراني « قدم أصبهان سنة تسعين ومائتين،فخرج منها ثم قدمها ثانياً فأقام بها محدّثاً ستين سنة»[٢] ومعنى ذلك أن قدمته الثانية كانت على رأس الثلاثمائة ؛ لأنه توفي سنة سنة ستين وثلاثمائة ؛ كما هو معروف .

٣ ــ ونقل أبو زكريا بن مَنْده عن إبراهيم بن يحيى بن مَنْدَه ما يفيد بأن القدمة الثانية كانت في سنة أربع وثلاثمائة . ثم نقل عن أبي بكر بن مردويه أنها كانت في سنة عشرٍ أو احدى عشرة وثلاثمائة[٣] .

---

(١) المعجم الصغير ١/٦٤ ، ٢/٥١

(٢) ذكر أخبار أصبهان ١/٣٣٥

(٣) جزء في مناقب الطبراني ، لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده (ق:٣/أ-ب)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ ــ على حين ذكر ياقوت أن الطبراني قدم أصبهان في سنة تسعين، فأقام بها سبعين سنة حتى مات[١] .

قلت :

ان ما ذكره ياقوت خطأ صريح ، لأن دخول الطبراني أصبهان مرتين أمر محقّق . أما التاريخ الثاني المذكور في المعجم الصغير فقد ظهر خطؤه لأسباب سأبيّنها في فقرة تالية .

وتبقى بعد ذلك الارقام التاليـة : « ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١١ » مرشّحة لتحديد تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان . والظاهر أن الصواب في الرقم الثاني منها ، أي أن عودته كانت في سنة (٣٠٤) وذلك لسببين :

الاول:هو أن هذا التاريخ موافق لبحثنا التالي عن مدةرحلته الكاملة.

والثاني : أنه أثر عن رجل رافق الطبراني في أصبهان في المرتين .

«قال إبراهيم بن يحيى بن منده[٢]: قدم أبو القاسم الطبراني أصبهان أول كرّة ، فكنت أماشيه يوماً فسألته عن سنّه فأخبرني به . ثم غاب وعاد في القدمة الثانية بعد أربع عشرة سنة ، فكنتُ أماشيه يوما الى المدينة فسألته في « ميدان فاخر » عن مولده فقال : أبا إسحق ، أخذتَ في مثل هذا ! فقلتُ : أيش عملتُ ؟ فقال : أليس قد سألتني عن مولدي في تلك السنة في قدمتي الاولى بباب دار محمد بن مقرّن فأخبرتك به ؟! »

قلتُ : فإذا كانت قدمته الاولى في سنة (٢٩٠) فذلك يعني أن قدمته الثانية كانت في سنة (٣٠٤) كما ذكرنا آنفاً . ويبرز هنا سؤال كبير : تُراه

(١) معجم البلدان « طبرية »
(٢) مناقب الطبراني (ق: ٣/١)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أين قضى هذه المدة الطويلة بين القَدْمَتيْن ؟ أرجعَ الى العراق أم تجوّل في المشرق ؟ هذا ما لم نستطع معرفته بعد .

● السؤال التالي هو : كم كانت مدة رحلته ؟

اختلفت تقديرات المؤرخين في هذا الامر اختلافا بيّنا ، فهي عند ابن خلّكان ــ وتابعَه القنّوجي وبروكلمن ــ ثلاث وثلاثون سنة ، وعند الذهبي ست عشرة سنة[١] .

أما القول الفصل في هذه المسألة فقد جاء على لسان الطبراني نفسه ؛ إذ سئل عن كثرة حديثه فقال : « كنت أنام على البواري ثلاثين سنة »[٢]

والبواري : جمع بُوريّ ؛ وهو الحصير المنسوج من القصب ، وقد عنى به حُصُر المساجد التي كان ينام عليها أثناء رحلته ، والظاهر أن طلبة العلم كانوا ينزلون المساجد خلال أسفارهم واغترابهم عن أوطانهم[٣]

وبما أنه قد ثبت لدينا من معجم شيوخ الطبراني أن بداية رحلته كانت في سنة (٢٧٤) ، فذلك يعني أن تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان بقصد الاقامة والاستقرار كان في سنة (٣٠٤) كما مرّ بنا آنفاً .

وهنا لابدّ من التمييز بين مدة رحلته ومدة سماعه ؛ لأن سماعه للحديث سابقٌ على رحلته ، ومتأخر عنها أيضاً ، فقد ذكر الطبراني في معجمه أسماء شيوخٍ سمع منهم بأصبهان بعد استقراره بمدة .

المهم اذن هو البحث عن بداية سماعه : لقد طلب الطبراني العلم

---

(١) انظر : وفيات الاعيان ٤٠٧/٢ ، وأبجد العلوم ٨٢٧/٣،وتاريخ بروكلمن (النسخةالمعربة) ٢٢٤/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٧٣/١٠

(٢) مناقب الطبراني (ق : ٤/أ) ، وعنه سير أعلام النبلاء ١٧٤/١٠

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري (ص : ٣)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعناية أبيه في وقت مبكر من حياته ، وأول خبر وصلنا بهذا الصدد يرجع الى سنة (٢٧٣) حين سمع بطبرية من هاشم بن مَرْثَد الطبراني[١] وله من العمر اذ ذاك ثلاث عشرة سنة .

ويبدو أن الذهبي اعتبر هـذا التاريخ بداية لسماعه الحديث[٢] ، وتابَعَه في ذلك الصفدي[٣] وابن شاكر الكتبي[٤] وزادا : « من دُحَيْم لما قدم طبرية » .

والحق أن ما ذهب اليه الذهبي فيه نظر ، اذ لا يصح استنتاجه من هذا الخبر ، لأنه تاريخ أحد السماعات العشرة في طبرية التي كشف عنها المعجم ، ولم يُصرِّح الطبراني فيه بما قاله الذهبي فيما بعد . ثم إن سماع الصغار كان مألوفاً آنذاك ومعتمداً لديهم منذ بلوغ الطفل الخامسة من عمره . هذا وقد كان أبوه اعتنى به منذ صغره ، ورافقه بعدُ في رحلته ، ولعل فؤاد سزكين كان أقر ب الى الصواب حين جعل بدء دراسته للحديث في العاشرة من عمره ، أي في سنة (٢٧٠)[٥]

أما زعمُ سماعه من دُحَيْم فهو وهمٌ نشأ من الخطأ في فهم عبارة الذهبي في تاريخ الاسلام ، اذ قال : « سمَّعه أبوه ورحل به ، لانه كان له مأسَّةٌ بالحديث قد سَمع من دُحَيْم لما قدم عليهم طبرية »[٦] ، فالاب هو الذي سمع من دُحَيْم ، أما الابن فلم يسمع منه ؛ لأن دُحَيْماً توفي سنة

(١) المعجم الصغير ١٢٦/٢
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧٣/١٠) وتاريخ الاسلام (٦٤/١) .
(٣) الوافي بالوفيات ١٦٢/٨
(٤) عيون التواريخ ١٤٢/١٢
(٥) تاريخ التراث العربي ٤٨٤
(٦) تاريخ الاسلام ٦٤/١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢٤٥)[١] أي قبل ولادة أبي القاسم بخمس عشرة سنة .

● السؤال الاخير هو : الى أين انتهت رحلاته في الاقطار ؟

للإجابة عن هذا السؤال يحسن فرز كل جهةٍ على حدة :

١ ــ ففي الشمال : في منطقة الثغور التي كانت خط التماسّ بين العرب والروم في شمال بلاد الشام ، نستطيع أن نتصور خطّاً وهمياً يصل ــ من الشرق الى الغرب ــ ما بين : نصيبين ، ورأس العين ، وحرّان ، والمَصيصة ، وأَذَنَة ، وطَرَسُوس . فهذا الخط هو الغاية القصوى لرحلته في الشمال كما يظهر من معجم شيوخه .

٢ ــ أما في الغرب : فقد ذكر الطبراني في المعجم سماعاً له من (أحمد ابن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي)[٢] . لكن ابن عساكر ، وعنه ياقوت ــ فيما يظهر ــ حرّفا العبارة فقالا : « سمع ببرقة أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البَرقي »[٣] .

ثم نقل ياقوت في موضع آخر من معجمه ، عن المؤرخ المصري ابن يونس ، أنه : « ذكر أحمد بن عبد الله في البرقيين ، وذكر أخاه محمداً في المصريين ، وقال : انه كان يتّجر هو واخوته الى برقة فعُرف بالبَرقي ، وهو من أهل مصر »[٤] .

قلت : ويبدو الاضطراب واضحا في نقول ياقوت . ثم ان الطبراني لم يسمع من أحمد البرقي هذا ، وانما سمع من أخيه عبد الرحيم ووهمَ في تسميته ، وذلك وهمٌ مشهور عنه[٥] .

---

(١) العبر ١/٤٤٥

(٢) المعجم الصغير ١/٤٨

(٣) تاريخ مدينة دمشق (نسخة ب : مج ١١/ل٤٤٧) ، ومعجم البلدان « طبرية »

(٤) معجم البلدان « برقة »

(٥) سير أعلام النبلاء (مج ١٠/ل ١٧٥/ب)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك نرى أن الطبراني لم يُجاوز مصر الى جهة الغرب البتة.وليس لدينا ــ بهذه المناسبة ــ مايُثبت نزوله جنوباً الى صعيد مصر .

٣ ــ أما في المشرق : فالظاهر أن رحلة الطبراني في ايران قد وقفتْ عند الخط الواصل مابين أصفهان شمالا وشيراز جنوبا ، وإن كان هناك احتمال قوي تشير اليه مشيخته،وهو أنه ربما بلغ الريّ شمالا ، ونيسابور شرقاً ؛ والله أعلم .

* * *

وبعد ؛ فقد وجـدتُ في المعجم أرقاماً تدعو الى الريـب ، طرحتْ بوجودها سؤالاً غريبا : تُرى هل هي سهو من الطبراني لم تُسعفه ذاكرته بصوابه ، أو تصحيف من عمل الناسخين أو الطابعين ؟! لقد اعتمدتُ في بحثي النسختين المطبوعتين ، وتَبَيَّن أنهما تجتمعان على الخطأ الواحد مع أن الارقام مؤيَّدة فيهما بالحروف ، ولم أتمكَّن بعدُ من الاطلاع على الاصول المخطـوطة للمعجم الصغير ، ويغلب على ظنّي ــ والاسبـاب سأذكرها ــ أن بعض تلك الاخطاء يرجع الى ذاكرة الطبراني نفسه ، وإن كان من الثابت أن في المطبوعتين تصحيفاتٍ كثيرة من عمل الناشرين .

الرقم الاول : في سماعه من محمد بن أسـد بن يزيد الاصبهاني ، بمدينة أصبهان سنة (٢٩٥)[1]

هذا الرقم لا يصحّ ؛ لأن الرجل توفي قبـل سنتين من التـاريخ المذكور ؛ فقد :

ا ــ ترجمه أبو نُعيم الاصبهاني وقال : « كان من المعمَّرين ، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين » . ثم روى الحديث المذكور في (المعجـم

(١) المعجم الصغير ٢/٥١ ، وانظر الطبعة الهندية ص ١٨٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصغير) عن شيخه الطبراني عنه، لكن من غير ذكر للتاريخ المشار إليه[١]

ب ــ وذكره أبو الشيخ الاصبهاني ــ وهو من طبقة الطبراني ــ فقال : « كنتُ أصير إليه مع والدي قاصداً للدعاء ، وكان من المعمَّرين ، مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين »[٢]

ج ــ ثم أرَّخ الذهبي في « العبر » وفاة هذا الرجل في سنة ثلاث وتسعين ومائتين[٣].

فهذا الاجماع ينفي صحة الرقم المذكور أولا ، ولعل صوابه : سنة تسعين ومائتين .

الرقم الثاني : في حديثه عن عبدان بن محمد المروزي ، سمعه منه بسكة سنة (٢٨٧)[٤]

ومن الغريب أن هذا الحديث نقله الذهبي في ترجمة عبدان بن محمد في « سير أعلام النبلاء » ونقل معه الرقم نفسه ، وأضاف : « لقيه الطبراني في الحج »[٥]

هذا الرقم محلّ نظر ؛ لأنه يُصادم أرقاماً أخرى بيَّنتْ أنه كان في تلك السنة ببغداد ، وأن تاريخ وجوده بسكة يرجع الى سنة (٢٨٣) . تُراه حجَّ ثانية في ذلك العام ورجع من فوره الى بغداد ، أم أن في الرقم خطأ ؛ والصواب (٢٨٣) ؟ الله أعلم .

---

(١) ذكر أخبار أصبهان ٢/٢٣٢

(٢) طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الاصبهاني « نسخة الظاهرية » : ٢٣٨

(٣) العبر ٢/٩٦

(٤) المعجم الصغير ١/٢٣٤ ، وانظر الطبعة الهندية ص ١٣٥

(٥) سير أعلام النبلاء « مصورة المجمع بدمشق » : مج ٩ / ل ١٤١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرقم الثالث : في سماعه من إبراهيم بن سُويد الشَّبامي ، بمدينة شِبام باليمن ، سنة (٢٨٢)[١] .

هذا الرقم لايسكن الاطمئنان الى صحته ؛ لأنه يستلزم أن يكون الطبراني غادر مصر الى اليمن سنة (٢٨٢) ، ثم انتقل الى مكة والمدينة سنة (٢٨٣) ، ثم عاد ثانية الى صنعاء سنة (٢٨٤) ، ثم رجع الى مصر سنة (٢٨٥) ، وذلك مُستبعد في تلك الظروف .

وزاد الامرَ تعقيداً أن البيهقي ذكر في (السنن الكبرى ١٠/٢٢٨) أن الطبراني سمع من الرجل المذكور في شِبام باليمن سنة (٢٧٨) وهو رقم غير صحيح أيضا ، لأنه كان في تلك السنة بالشام ؛ لم يخرج منها بعدُ .

ومن دلائل التحريف في هذا الرقم ، أنه ورد قبله بصفحة واحدة حديث سمعه الطبراني بصنعاء سنة (٢٨٤)[٢] . والغالب على ظني أن الحديث الذي سمعه بشِبام ــ وهي قريبة من صنعاء ــ كان في السنة نفسها أيضا ، والله أعلم .

الرقم الرابع : في حديثه عن إبراهيم بن اسماعيل الرَقّي سنة (٢٩٩)[٣] ، وهو خطأ ثانٍ ورد في صفحة واحدة مع الخطأ السابق ، وقد جاء مقترنا بجملةٍ محرّفة لايستبين معناها ؛ مما يؤكد احتمال الخطأ[٤] .

هذا الحديث سمعه الطبراني من رجل من أهل الرقّة ، ومن الثابت لدينا أنه كان في الشام سنة (٢٧٩) ، وعلى ذلك يكون الرقم المذكور أولا

(١) المعجم الصغير ١/٧٩ ، وانظر الطبعة الهندية ص ٤٢
(٢) المعجم الصغير ١/٧٨
(٣) المعجم الصغير ١/٧٩ ، وانظر الطبعة الهندية ص ٤٢
(٤) وانظر لسان الميزان ١/٤٠٥ ، ففيه السند نفسه وقد خلا من الجملة المحرّفة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تصحيفاً لهذا الرقم ، وصواب العبارة فيما أرى هو : « حدثنا بها سنة تسع وسبعين ومائتين » ، والله أعلم .

* * *

٤ ـ توزّع مشيخة الطبراني على الامصار

أثبتُّ توزّع شيوخه بصورة مفصّلة في قوائم ملحقة بآخر البحث، وأكتفي الآن بعرض الخلاصة التالية :

ا ـ عدد الشيوخ :

١ ـ العراق ٤٢١ شيخاً
٢ ـ الشام ٢٣٦شيخاً (منهم ٥٧ في فلسطين)
٣ ـ إيران ٢٢٣ شيخاً (منهم ٦٧ في الاهواز)
٤ ـ مصر ١٢٢ شيخاً
٥ ـ الحجاز واليمن ٤٣ شيخاً
المجموع ١٠٤٥ شيخاً*

ب ـ نِسب توزّعهم :

١ ـ العراق ٤٠٪
٢ ـ الشام ٥ر٢٢٪
٣ ـ إيران ٥ر٢١٪
٤ ـ مصر ١٢٪
٥ ـ الحجاز واليمن ٤٪

* ويبقى بعد ذلك (١٠٥) من الشيوخ لم يذكر الطبراني مكان لقائه بهم ، أو نسبتهم الى بلد من البلدان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ج ــ توزّع المراكز الثقافية :

١ ــ الشام ٤٧ (منها ١٥ في فلسطين)

٢ ــ ايران ٢٨ (منها ٨ في الاهواز)

٣ ــ العــراق ١٤

٤ ــ الحجاز واليمن ١١

٥ ــ مصــر ٩

المجموع ١٠٩**

* * *

النتائج المستفادة

أولا ــ الصورة العامة

تقدمت العراق سائر الاقطار العربية والاسلامية ، ثم تلتها الشام وإيران ، وهذه الاقطار الثلاثة كان لها الحظ الأوفى في الحركة العلمية في ذلك العصر ؛ إذ حازت ثمانين ونيّفاً بالمئة من كامل عدد الشيوخ ، ومن مجموع المراكز الثقافية .

أما مصر والحجاز واليمن فقد كان نصيبها متواضعاً بالقياس الى الزمرة الاولى ، بل إن الحجاز واليمن أصبحتا في الدَّرْك الادنى من السلّم الثقافي ، وغاب المغرب العربي فلم تظهر له مشاركة في هذا المجال .

هذه الخارطة الثقافية للعالم العربي الاسلامي ليست ــ كما يبدو ــ وليدة مشيخة الطبراني ، ولا هي مقصورة على الربع الاخير من القرن الثالث الهجري ، بل إن ملامحها العامة بدأت في الظهور قبل أكثر من قرنين ، وازدادت وضوحاً مع ظهور بغداد سنة (١٤٥) ، فقد كان توزّع

** يمثل هذا الرقم مجموع المدن والقرى المذكورة في معجم شيوخ الطبراني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصحابة في الامصار ، ثم التابعين من بعدهم ، ثم الفقهاء والمحدثين الى سنة (٢٣٠) ؛ كان توزّع أولئك وهؤلاء يُشير بصورة واضحة الى أسبقية العراق في كل الفترات .

ثم إن خطوطها العريضة ستترك آثاراً قوية على الخوارط اللاحقة حتى أواخر القرن السادس الهجري ؛ كما مرّ بنا في أوائل هذا البحث[1] .

* * *

ثانيا ـ الكشف التفصيلي :

(العـــراق)

نالت العراق حصة الاسد في مشيخة الطبراني ؛ إذ انتسب إليها (٤٠٪) من كامل مشيخته . كما بلغ عدد المدن والقرى التي تردّد ذكرها في هذا المجال (١٤) مدينة وقرية .

ولابدّ ـ بهذه المناسبة ـ من الاشارة الى أن « إقليم الأهواز » في إيران هو في واقع الامر امتداد للعراق ؛ فكلّ الظواهر تدل على أن المناخ الثقافي السائد في الاهواز بخاصة إنما كان جزءاً من المناخ الثقافي السائد في العراق بعامة . وعلى ذلك فلو أضفنا مشيخة هذا الإقليم الى مشيخة العراق فإن النسبة ترتفع فتبلغ (٤٧٪) وعدد المراكز الثقافية يصبح (٢٢) مركزاً .

فهذه الوفرة الغنيّة في عدد العلماء والمحدّثين ، الى جانب الكثافة الظاهرة في المراكز الثقافية ، أعطت للعراق الأسبقية المطلقة على سائر أقطار

---

(١) وبهذه المناسبة أود التنبيه ثانية الى ارتباط هذه النتائج بمصادرها ، ويبقى المجال رحبا لكل بحث جديد نابع من مصادر جديدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العالم العربي الاسلامي ؛ فكانت قطبَ الرحى ومنبع التوهّج الثقافي في قلب الدولة الاسلامية الواسعة الارجاء .

ولقد كشفت طبقات ابن سعد عن أن (٥٠٪) من الصحابة الذين تفرقوا في الامصار أقاموا في العراق ، ثم ارتفع الرقم من بعدُ فبلغت نسبة التابعين المقيمين في العراق (٥٦٪) من التابعين المذكورين في الطبقات ، ثم ذهب الرقم صعُداً في الحقبة التالية فبلغت نسبة المحدّثين والفقهاء (٦٦٪) من مجموع عددهم في الاقطار .

فليس عجيباً اذن أن تفوز العراق بقصب السبق في المجال العلمي طوال القرون الثلاثة الاولى ، بل لقد دام هذا التفوق حتى سقوط بغداد سنة (٦٥٦) للهجرة ، وبذلك كانت العراق مركز العلم وحاضرة الثقافة في العصور الذهبية الزاهية بمجد العرب والاسلام .

● بغـداد :

أما بغداد فقد كانت بحق عاصمة الحضارة والعلم ؛ كما صورتها لنا الارقام المستخرجة من معجم شيوخ الطبراني ، إذ بلغ عدد المشيخة فيها رقماً لم تُقاربه ؛ بَلْهَ أن تبلغه ، مدينة أخرى ، لكن نموها العلمي كان كان فيما يبدو أحياناً على حساب المدينتين العظيمتين : البصرة والكوفة .

● الكوفة والبصرة :

كان عدد الصحابة الذين نزلوا هاتين المدينتين ــ وقد بُنيتا في وقتٍ متقارب ؛ في السنة السابعة عشرة للهجرة[1] ــ متساوياً . ثم مالبثت الكوفة أن تقدمت على البصرة تقدماً عظيماً في عهد التابعين[2] ، ولعل ذلك

(١) بلدان الخلافة الشرقية : ٦٤ ، ١٠١

(٢) الكوفة ٦١٧ تابعيا ، البصرة ٢٨٠ تابعيا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

راجع الى ازدهار سياسي واجتماعي نالته الكوفة في تلك الحقبة من الزمن[١] . ثم بدأت الكوفة بالتراجع ، وبخاصة منذ ظهور بغداد .

على أننا نلحظ في مشيخة الطبراني تفوقاً ـ بالمقابل ـ للبصرة على الكوفة[٢] ، بحيث غدا الفارق كبيراً بين التوءمين . ويبدو أن الكوفة كانت تتراجع باستمرار ؛ فقد أفاد وصف الإصطخري لها ـ في المئة الرابعة للهجرة ـ أنها دون البصرة في الاتساع والشأن . ثم في سنة (٥٨٠) ذكر ابن جُبير أنه « لا سور لها ؛ فقد استولى الخراب على أكثرها[٣] »

● واسط :

وتأتي في طليعة المراكز العلمية البارزة في العراق خاصة والعالم الاسلامي عامةً ؛ إذ احتلّت المركز السادس في سلّم المدن المذكورة في مشيخة الطبراني .

ثم تتوالى مراكز الإشعاع الثقافي في العراق على النسق التالي : (الموصل ، الأبلّة ، الانبار) .

* * *

(الشام)

إن الخارطة الثقافية لبلاد الشام ـ كما بدت من خلال مشيخة الطبراني ـ لاتمتاز بالكثافة والتركيز ، بل بالامتداد والانسياح . فبلاد الشام لم تحوِ مركزاً ضخماً تكثّف فيه النشاط العلمي واكتظّ بالعلماء

(١) كانت الكوفة أول عاصمة لبني العباس ، وفيها تمت البيعة لأبي العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ

(٢) البصرة ١٠٢ من الشيوخ ، الكوفة ٤٧ شيخا

(٣) بلدان الخلافة الشرقية ١٠١ـ١٠٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من كل لون ، وإنما ضمّت مراكز عدة في الداخل والساحل ، وفي الجنوب والوسط وأقصى الشمال ؛ تلك المنطقة التي كانت تسمى الثغور ، حيث اتخذ الصحابة ومَن جاء بعدهم مراكز علمية وحربية بآن واحد ، يقيمون فيها مرابطين في سبيل الله .

ولقد كشفت طبقات ابن سعد عن أن (٢٠٪) من الصحابة الذين تفرقوا في الامصار استقروا في بلاد الشام خاصة ، ثم تدنّت النسبة في عهد التابعين فغدت تقارب (٨٪) ، ثم عادت الى الارتقاء في مشيخة الطبراني فبغلت (٢٢٫٥٪) أي في المرتبة الثانية بعد العراق[1] .

---

(١) كنت قد ميزت ـ أثناء فهرستي لطبقات ابن سعد ـ مابين فترتين في عهد التابعين ومن تلاهم : الاولى قبل ظهور بغداد سنة (١٤٥ هـ) ، والثانية بعد ظهورها وحتى آخر الطبقات التي ذكرها ابن سعد . واضطررت هنا لادماج الفترتين معا ، نظرا لتشابه أحوالهما بحيث أصبح عهد التابعين المذكور أعلاه يغطي ـ على وجه التقريب ـ مابين سنتي (٨٠ ـ ٢٢٥ هـ) . ولا بد من التنبيه كذلك الى أن مشيخة الطبراني في بلاد الشام قد عاصرت الفترة الواقعة مابين سنتي (٢٧٣ ـ ٢٨٠ هـ) .

على أن الارقام التي استنتجتها الدكتورة ملكة أبيض من « تاريخ ابن عساكر » قد سارت في اتجاه آخر ، اذ بيّنت « أن عدد العلماء ازداد ازديادا واضحا في القرن الثاني ، ولكنه ما لبث أن تناقص في القرن الثالث * » .

ومن المتوقع أن يكون ما ذكره ابن عساكر عن علماء الشام أوفى مما ذكره ابن سعد ، وهو ما يدعو الى التريث في اطلاق الأحكام ، لكن تفسير الدكتورة أبيض للأرقام لديها قد جاء مضطربا بشكل ملحوظ ، اذ قالت : « وقد حصدت الشام في القرن الثاني ثمار الجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون والأمويون . وبعد انتقال مركز الدولة الاسلامية الى العراق في خلافة العباسيين بدأت الفعاليات الثقافية والتربوية تتراجع في الشام ، وتجلى ذلك في القرن الثالث بصورة خاصة » .

قلت : إذا كان التراجع قد بدأ بعد انتقال مركز الدولة الاسلامية إلى العراق سنة (١٣٢ هـ) أما كانت تظهر بعض آثاره ، على الأقل ، خلال الثلثين الباقيين من القرن الثاني ؟ ثم كيف تجلت آثاره في القرن الثالث بصورة خاصة ، على حين أثبتت مشيخة الطبراني أن الشام كانت في مطلع الربع الأخير من القرن الثالث في مرتبة متقدمة تلي العراق مباشرة ؟!

أعود فأقول : إن التريث في إطلاق الأحكام في هذا المجال واجب محتم ، وبخاصة اذا عرفنا أن ابن عساكر نفسه قد صرح في مقدمة كتابه الكبير بقوله : « ومع ذلك فمن ذكرت أقل ممن أهملت ** » .

=

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعل أول ما يلفت الانتباه في مشيخة الطبراني في بلاد الشام ظاهرة تتصل بالحديث عن الطبراني وصلته بموطنه الاصلي ؛ تلك هي أن عدد المدن والقرى التي زارها الطبراني في الشام أو انتسب اليها علماء شاميون قد بلغ رقماً قياسياً بالنسبة الى سائر الاقطار[1] ، والحق أن المتتبّع لمشيخة الطبراني يشعر بأن المصنّف كان مدفوعا برغبة قوية الى التنويه بذكر وطنه ومشيخته في وطنه ؛ فهو قد حدّد سماعاته في أنحاء فلسطين ثم في أرجاء الشام تحديداً دقيقاً يشمل الزمان والمكان بحيث أطلعنا بشكل جليّ ومنسّق على تنقلاته بين المراكز الثقافية المتعددة في بلاد الشام ، على حين ضنّ بالتحديد نفسه على الاقطار الاخرى ؛ فبدت المراحل الاخيرة من رحلته غامضة يصعب التعرف اليها . ولقد كان الطبراني ، وهو يصنف معجم شيوخه ، قريب العهد من مشيخته في إيران ، ذلك القطر الذي استقرّ فيه ستين عاما من حياته أو تزيد ، ومع ذلك فقد سَكَتَ عن بيان أي شيء يتصل بسماعاته تلك ؛ حتى اضطررنا للاستعانة بكتاب أبي نُعيم الاصبهاني في « ذكر أخبار أصبهان » للتعرف الى بعض مشيخة الطبراني هناك .

وخلاصة القول : لقد قدّم لنا الطبراني في معجم شيوخه صورةً مشرقة لبلاد الشام وحركتها الثقافية في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري ؛ بشكل لا يُنافسه فيه مصدر آخر فيما نعتقد .

= * (انظر الصفحة ٧٢٨ من الكتاب الذي ضم البحوث الملقاة في الاحتفال بمؤرخ دمشق الكبير ، وأصدرته وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية ، عام ١٩٧٩ م)

** تاريخ مدينة دمشق ج١ / ص ٥

(١) ٤٧ مدينة وقرية ، منها ١٥ في فلسطين ، و٣٢ في سائر بلاد الشام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

● دمشـــق :

ساوت دمشق الكوفة في عدد الشيوخ ؛ فاحتلتا المرتبة الثالثة في مشيخة الطبراني ؛ بعد بغداد والبصرة[١] . كما يُلاحَظ أنه استقرّ في دمشق وحدها (٢٦٪) من مجموع المشيخة في بلاد الشام[٢] . وهـذا مايمنحها رتبة متقدمة في الشام خاصة ؛ والعالم الاسلامي عامة .

ثم تتوالى المراكز الثقافية في بلاد الشام حسـب الترتيب التالي : « حمـص ، الرَّملة ، المَصيصة ، أنطاكية ، حلب ، الرَّقة ، طبـريَّة ؛ صور ، حرَّان ، طَرَسُوس ، عكَّا ، غزَّة ، عَسْقلان » . ولقد تمثَّلت هذه المدن مشاعلَ نور على خارطة الشام الثقافية في ذلك العصر .

* * *

(إيـــران)[٣]

في الفترة الاولى من التاريخ الاسلامي لم يكـن لإيران حظٌّ في الثقافة الاسلامية،ففي طبقات ابن سعد ذكرٌ لستَّة من الصحابة استقرّوا في خراسان ، أي بنسبة (١٪) من مجموع الصحابة الذين تفرّقوا في الاقطار . وكذلك كان الشأن في عهد التابعين ؛ إذ لم تزد النسبة على ماذكرنا آنفاً .

---

(١) أما أصبهان فقد تبين أن مشيخة الطبراني فيها موزعة على أكثر من طبقة ، بسبب طول أقامته فيها ، ولذلك فلا مجال للمقارنة بينها وبين غيرها من المدن المذكورة في المعجم .

(٢) وأما ما ذكرته الدكتورة ملكة أبيض عن احصاءاتها التي بينت « أن مدينة دمشق استقطبت أكثر من نصف علماء الشام خلال القرون الثلاثة » فيصح اعتباره دليلا على ما أهمله ابن عساكر من الشيوخ خارج دمشق ، وقد كان متوقعا أن يصرف جل اهتمامه الى دمشق بخاصة ، في كتاب عنوانه : « تاريخ مدينة دمشق ، وذكر فضلها ، وتسمية من حلها من الأماثل ، أو اجتاز بنواحيها من وارديهـا وأهلها » . (انظر الصفحة ٧٣١ مـن الكتاب المذكور في الحاشيـة الاولى مـن الصفحة السـابقة)

(٣) استفدت هذا العنوان من كتاب لسترونج « بلدان الخلافة الشرقية » اذ كان شـاملا معظم البلدان الوارد ذكرها في معجم شيوخ الطبراني ، مما له صلة بتلك الجهات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكن مع بداية العصر العباسي وظهور بغداد طرأ تحسّن ملموس في وضع ذلك القطر ؛ فقد ارتفع عدد العلماء وتعدّدت المراكز الثقافية ، فذُكِر في الطبقات ثلاثة وخمسون محدّثاً وفقيها موزّعين على خراسان والريّ وهَمَذان وقُم ، أي بنسبة (٦٪) من مجموعهم في الامصار ، وبذلك غدت ايران في المرتبة التالية للشام مباشرةً .

ثم ارتقت الارقام صُعُداً في مطلع القرن الرابع الهجري ؛ ففي مشيخة الطبراني ذكرٌ لـ (٢٢٣) شيخاً في ايران وحدها ، أي أنها فازت بنسبة (٥ر٢١٪) من كامل مشيخة الطبراني ، وبذلك أصبحت في طليعة الاقطار المُشاركة في صنع الثقافة الاسلامية بعد العراق والشام .

والظاهر أن هذه الحركة العلمية النشيطة التي بدأت هناك في الشطر الثاني من القرن الثاني ، وتوطّدت أركانُها في القرن الثالث ، الظاهر أنها استمرت ثلاثة قرون أخرى ، إذ نُلاحظ في مشيخة أبي سعد السمعاني (ت٥٦٢هـ)[١] ، وكذلك في مشيخة أبي القاسم بن عساكر (ت٥٧١هـ)[٢] ، أن ايران كانت في مقدمة الاقطار العربية والاسلامية ؛ في علوم الحديث بخاصة . بل تبيّن من دراسة « الاربعين البلدانية » لأبي طاهر السِّلفي (ت ٥٧٦ هـ)[٣] أن نسبة المدن الايرانية في تلك الاربعين قد بلغت (٥٧٪)[٤]

---

(١) نشر في العراق نسخة مختصرة منها باسم « التحبير في المعجم الكبير » ، وهي في الحقيقة تهذيب للتحبير . انظر مجلة المجمع بدمشق : (مج ٤٨/ ج ٢ / ص ٣٧١ ـ ٣٨٠ ، ومج ٥٥/ج١/ ص ١٤٩ ـ ١٥١) .

(٢) مصورة في المجمع بدمشق .

(٣) نسخة الظاهرية (مجموع ٧٦/ق : ٦ ـ ٢١)

(٤) هذه النتائج أيدتها الارقام التي ذكرها ناجي معروف رحمه الله في كتابه « عروبة العلماء =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبهذه المناسبة لا مناص من الاشارة الى ظاهرتين كبيرتين في تاريخ ايران الثقافي :

الأولى ــ هي أن الأهواز امتداد للعراق من الناحية الثقافية :

ظهر ذلك في مشيخة الطبراني بشكل واضح ؛ فالكثافة في المراكز العلمية والكثرة في عدد العلماء في هذه المنطقة ، كلّ ذلك يُلحقها بالعراق وبمناخها الثقافي . ففي الاهواز (٦٧) شيخا موزعين على ثماني مدن ، على حين بلغ عددهم في سائر المدن في ايران (٣٦) فحسب ، أي حوالي النصف مسنّن كانوا في الاهواز وحدها . ومن الطريف أن تاريخ وجود الطبراني في الاهواز كان مُلابساً لتاريخ اقامته في بغداد سنة (٢٨٨ هـ).

والثانية ــ هي استعراب ايران في العصر العباسي :

قد يكون في هذا العنوان بعض الغلوّ أو المجازفة ؛ لكني اخترته للتنبيه الى مبلغ تغلغل العربية في ايران في تلك الحقبة من الزمان .

يظهر للمتأمّل في حركة الفتح الاسلامي في المشرق أنها كانت مُرافقة بتيار من الهجرة العربية ؛ تمثّل في موجات متتالية تصدر من قلب الجزيرة العربية وأطرافها باتجاه الشمال . وقد كانت البصرة والكوفة بمثابة رأس جسر في ذلك التحرك الحربي ؛ تتوقّف عنده القبائل العربية من مُضر وتميم والأزد وعبد القيس زمناً ، ثم تتابع المسير الى خطوط القتال في المشرق ، وهذه بعض أمثلة :

= المنسوبين الى البلاد الأعجمية ــ في خراسان ، (ط سنة ١٩٧٦ م) اذ ذكر في الصفحة (٤٧٧) أن مجموع العلماء في نيسابور والري قد بلغ أوجه في القرون : الثالث والرابع والخامس والسادس من الهجرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في السنة التاسعة عشرة للهجرة نزل عثمان أو الحكم بن أبي العاص «تَوَّج» من أرض فارس ففتحها وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين، وأسكنها عبد القيس وغيرهم(١) .

وفي سنة (٥١ هـ) ولّى زيادٌ بن أبي سفيان الربيعَ بن زياد الحارثي خراسان ، وحَوَّلَ معه من أهل المصرَيْن ـ البصرة والكوفة ـ زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم(٢) .

وفي سنة (١١٢ هـ) استعمل هشامٌ الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن المرّي على خراسان ؛ فأمدّه بعمرو بن مسلم في عشرة آلاف رجل من أهل البصرة،وبعبد الرحمن بن نُعيم في عشرة آلاف رجلٍ من أهل الكوفة(٣) .

فهذه الهجرة العربية من جانب ، ودخول الايرانيين في دين الله أفواجاً من جانب آخر ، أثمرا في منتصف القرن الثاني للهجرة سبوغ صبغة عربية على تلك الاصقاع . ويبدو أن تلك الصبغة ازدادت عمقاً ووضوحاً في القرنين الثالث والرابع ؛ بحيث أصبحت العربية لغة الثقافة والعلم ، بل لعلها غدت لغة التخاطب في أيام الطبراني ؛ الذي عاش الشطر الاول من القرن الرابع في أصبهان ولم يُحسن من اللغة الفارسية إلاّ ثلاث كلمات .

قال يحيى بن عبد الوهاب بن مَنْدَه في الجزء الذي جمعه في مناقب الطبراني : « سمعتُ مشايخنا رحمة الله عليهم يقولون : سمعنا ممّن نثق به ونعتمد عليه أن أبا القاسم الطبراني رحمه الله لم يُحسن من كلام

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ط بريل ١٨٦٦ م) : ص ٣٨٦
(٢) المصدر السابق : ص ٤١٠
(٣) المصدر السابق : ص ٤٢٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفارسية إلا ثلاثة أشياء ... » ثم ذكر ثلاث كلمات فارسية[١].

ويظهر أن ذلك الوجه العربي للثقافة في ايران قد ظلّ مُشرقاً هنالك حتى القرن السادس الهجري ، ثم كانت فتنة الغُزّ ونكبة المغول وتدمير تيمورلنك ضرباتٍ متلاحقة دَكّت صرح الحضارة في تلك البلاد وأذهبت ريح العربية في الوقت نفسه[٢] .

● أصـبهان :

كانت أصبهان في مطلع القرن الرابع الهجري مركـزاً ثقافياً كبيراً بالمشرق ، دَلّ على ذلك عدد الشيوخ الاصبهانيين المذكورين في معجم شيوخ الطبراني ؛ وهو (١٢٠) شيخاً . ولقد أَخَلّ ـ رحمه الله ـ بذكر تواريخ سماعاته في أصبهان ، فأورثَنا بذلك غموضاً حالَ دون معرفة تلك المرحلة الهامة من مراحل حياته العلمية الخِصبة . على أن كتاب تلميذه أبي نُعَيم « في ذكر أخبار أصبهان » سدّ بعض الثغرات ممّا أخَلّ به شيخه ، ولقد تبيّن من المقـارنة بين الكتابين أن المعجم المذكور أصلٌ من أصول كتاب أبي نُعيم ، إذ تَجَمّع لديّ من البحث فيهما أسـماء (١١٢) شـيخاً ذُكروا في كلا الكتابين ؛ وقد توزّعوا بالشكل التالي :

٧٦ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من معجم الطبراني ومصادر أخـرى .

١٣ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من معجم الطبراني فحسب.

---

(١) الورقة ١٣/أ

(٢) انظر عروبة العلماء في المشرق الاسلامي (ط ١٩٧٤ م) : ٧٨/١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٣ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من مصادر أخرى .

ثم تبيَّن من دراسة تواريخ وفيات هؤلاء الشيوخ أن ثمانية وخمسين منهم تُوفوا بين سنتي (٢٩٠ و ٣١٠) أي أنهم أبناء طبقة واحدة . فهذا الرقم الكبير دليل نشاط علميّ عظيم نافست أصبهانُ به دمشقَ وغيرها من أمَّهات المدن العربية فغدت مركز إشعاع ثقافي وهَّاج .

ولانعلم مدة هذا الازدهار الذي عاشته أصبهان ، لكننا نعتقد أنه دام أمداً بعيداً ؛ فقد تردّد ذكرها كثيراً في القرن السادس ، في مشيختي السمعاني وابن عساكر .

وبعد أصبهان تأتي سبعٌ وعشرون مدينة وقرية ايرانية شاركت في مشيخة الطبراني ؛ كان أبرزها على التوالي : تُسْتَر ، عسكر مُكرم ، الأهواز ، جُنديسابور ، شيراز ، الرِيّ ، رامَهُرْمُز ، نيسابور ، عبادان ...

* * *

(مصر)

بلغ عدد الشيوخ المصريين المذكورين في المعجم (١٢٢) رجلاً ، أي ما يعادل (١٢٪) من المشيخة ، وهو مايجعل مصر في عداد الاقطار التي تأتي في الدرجة الثانية في المجال الثقافي في ذلك العصر .

والظاهر أن هذا الدور الثانوي كان ملازماً لمصر فيما سبق ؛ فقد كانت حصَّة مصر من الصحابة والتابعين والمحدّثين المذكورين في طبقات ابن سعد ضئيلة ؛ تتراوح بين خمسة واثنين وثلاثة بالمئة من المجموع لكل فئة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأول ما يلفت الانتباه في الخارطة الثقافية لهذا القطر هـو كثافة العلماء المذكورين تحت اسم «مصر» ممّا يُثير هذا التساؤل : ما المقصود بكلمة مصر ، القُطر أم العاصمة ؟

لقد مرّ بنا في طبقات ابن سعد ذكر" لمصر فحسب ، أما معجم شيوخ الطبراني ففيه ذكر" لمصر ، ودمياط ، وتنّيس ، والجيزة ، وقُلْزُم ، ودَمِيْرَة ، والقنطرة ، وإخميم ، ممّا يوحي بأن المقصود بمصر بلد" بعينه ؛ وهو العاصمة .

يؤيّد هذا الاستنتاج أن أبا طاهر السِّلَفي نزيل الاسكندرية ؛ الذي أقام بها ستّين سنة (ت ٥٧٦) ؛ ذكرَ في « الاربعين البلدانية »[١] نه مصر والاسكندرية باعتبارهما مدينتين من المدن التي زارها ، وانتخب من مسموعاته فيها أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً في أربعين مدينة ، ومن الواضح أنه قصد بمصر مدينة القاهرة .

فاذا ما صحّ أن المقصود بمصر في مشيخة الطبراني عاصمة مصر ؛ فذلك يعني أنها كانت مركزا ثقافيا عظيما يُعد في طليعة المراكز الثقافية في العالم الاسلامي ؛ كما يعني في الوقت نفسه أن الخارطة الثقافية للقطر المصري تمتـاز بكثافة النشاط العلمي في العاصمة وضـموره في سائر الاطراف[٢] .

بقي أن نُشير الى أن مصر كانت منـذ العصور الاسلامية الاولى قاعدة المغرب العربيّ ؛ إذ تتّجه اليها وفود طلبة العلم من المغاربة ، وفي

(١) انظر التعليق الثالث بحاشية الصفحة ٥٤٢ .

(٢) اجتمع ١٠٤ من الشيوخ في العاصمة ، وتفرق ١٨ منهم في بقية الاطراف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معجم شيوخ الطبراني بعض أصداء من ذلك . وقد ازداد مركزها هذا رسوخاً مع فشوّ التعريب في أقطار المغرب ، حتى جمع الحافظ السِّلفي في القرن السادس معجماً هو من أجلّ كتبه وأنفسها ، واسمه « معجم السفر» ذكر فيه تراجم الشيوخ الوافدين على مصر من المغرب والاندلس.

وإذا ما أضفنا الى ذلك ما حلّ بالمشرق الاسلامي والعراق بخاصة من دمار ؛ بأيدي التتار الذين اجتاحوا كالسيل الجارف معالم الحضارة من تلك الديار ، تبيَّن أن مصر كانت المؤهَّل الوحيد لاستقطاب النشاط العلمي واستئناف البناء الحضاري في العالم العربي بدءاً من تاريخ سقوط بغداد سنة (٦٥٦ هـ)

* * *

(الحجاز واليمن)

وهما آخر حبات العنقود في منظومة النشاط الثقافي في أواخر القرن الثالث الهجري ؛ إذ بلغت حصيلة رصيديهما معاً (٤٪) من مجموع شيوخ الطبراني .

ويُشير توزُّع المشيخة فيهما الى أن عدد الشيوخ في اليمن يقارب عددهم في الحجاز ، وأن عدد المدن والقرى اليمنية المذكورة في المعجم يعدل ضعفي تلك التي في الحجاز ، مما يكشف عن حركة علمية أصيلة متغلغلة في شعاب اليمن ؛ رغم قلّة الكثافة العددية في الشيوخ .

ولقد أبانت طبقاتُ ابن سعد ــ مع النقص الواضح في بعض الطبقات ــ عن تفوُّق الجزيرة العربية بعامّة والحَرَمَيْن الشريفين بخاصة في عهد الصحابة والتابعين . إلا أن التراجع بدأ فيما يظهر اعتباراً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من النصف الثاني من القرن الثاني ؛ فقد سجّلت النسبة انخفاضاً واضحاً في عدد الفقهاء والمحدّثين ، وهو ما انتهى في أواخر القـرن الثالث الى التدنّي الذي كشفت عنه مشيخة الطبراني .

وأخيراً قد يثب على لسان الباحث ـ وهو يتأمّل تنقّل الطبراني فيما بين مصر والحجاز واليمن ـ هذا السؤال : تُرى ؛ هل سلك الطبراني سبيل البحر في الرحلة من اليمن الى مصر أو بالعكس ؟ إنه لو صحّ مثل هذا الفرض لكان مفتاح بحثٍ طريف في الصلات ما بين القطرين الشقيقين في تلك الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي .

* * *

٥ ـ الملحقـات

● توزّع مشيخة الطبراني في الامصار :

١ ـ مشيخته في فلسطين*

ا ـ سمع في :	عدد الشيوخ
١ ـ طبرية : سنة ٢٧٣ ثم ٢٧٧	١٠
٢ ـ بيت المقدس : سنة ٢٧٤	٤
٣ ـ رَمادة الرملة : سنة ٢٧٤	١
٤ ـ عكا : سنة ٢٧٥	٥
٥ ـ قيسارية : سنة ٢٧٥	٢
ب ـ وسمع في :	
٦ ـ الرَّملة	١٨

* القوائم مرتبة على نسق موافق لرحلة الطبراني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

	عددالشيوخ
٧ ــ غـزّة	٥
٨ ــ يافا	١
٩ ــ أرسُوف (على الساحل ، بين قيسارية ويافا)	١
١٠ ــ سِجلّين (من قرى عسقلان)*	١
١١ــ عجّسَ (من قرى عسقلان)	١

ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :

١٢ ــ عَسْقلان	٥
١٣ ــ حُنْدُرة (من قرى عسقلان)	١
١٤ ــ عَيْنُون (من قرى بيت المقدس)	١
١٥ ــ أيْلَة (على البحر الاحمر)	١

المجموع ٥٧ شـيخاً

٢ ــ مشيخته في سائر بلاد الشام

ا ــ سمع في :	عددالشيوخ
١ ــ دمشق : سنة ٢٧٨ ثم ٢٧٩	٤٧
٢ ــ حمص : سنة ٢٧٨	٢١
٣ ــ حلب : سنة ٢٧٨	١٤
٤ ــ أنطاكية : سنة ٢٧٨	١٥
٥ ــ المصيصة : سنة ٢٧٨ (شمال اسكندرون)	١٦
٦ ــ طَرَسُوس : سنة ٢٧٨ (شمال اسكندرون)	٥

* كذا بكسر الجيم وتشديد اللام ــ في المعجم الصغير والأنساب واللباب وتاج العروس . وضبطها ياقوت في معجم البلدان : « سحلين » بالحاء المهملة الساكنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عددالشيوخ

٧ ــ سنجار : سنة ٢٧٨ (في الجزيرة) ١
٨ ــ جبلة : سنة ٢٧٩ (في الساحل) ٤

ب ــ وسمع في :

٩ ــ الرقّة ١١
١٠ــ حرّان (شمال الرقة) ٦
١١ــ الرافقة (متصلة بالرقة) ٢
١٢ــ نصيبين ٣
١٣ــ منبج (شمال حلب) ٢
١٤ــ كفر بيّا (بإزاء المصيصة) ١
١٥ ــ شَيْزَر (بين حماة والمعرّة) ٢
١٦ ــ عِرْقَة (شرقي طرابلس) ١
١٧ــ بعلبك ٣
١٨ــ طَرَطوس ١
١٩ــ جُونيـة ١
٢٠ــ صُـور ٦
٢١ــ صَيْـدا ١

ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :

٢٢ ــ بيروت ٤
٢٣ ــ اللاذقيـة ٢
٢٤ــ أذَنَـة (قرب المصيصة) ٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

	عددالشيوخ
٢٥ـ مَلاطية (في أعالي الفرات)	١
٢٦ـ رأس العين (في الجزيرة	١
٢٧ـ بالـس)	١
٢٨ جبيل (شرقي بيروت)	١
٢٩ـ عـم (قرية بين حلب وأنطاكية)	١
٣٠ـ مَشْغرا (من قرى البقـاع)	١
٣١ـ فَـوْز (من قرى حمص)	١
٣٢ـ حصن مقدية (قرب درعا)	١

المجموع ١٧٩ شيخاً

٣ ـ مشيخته في مصر

ا ـ سمع في :	عددالشيوخ
١ ـ مصر : سنة ٢٨٠ ثم ٢٨٥	١٠٤
ب ـ وسمع في :	
٢ ـ دمياط	٤
٣ ـ تَنّيس	٤
٤ ـ الجـيزة	٣
٥ ـ قُلْزُم (قرب السويس)	٣
٦ ـ دَمِيْرة (قرب دمياط)	١
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
٧ ـ القنطرة	١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ ــ إخميم (بالصعيد) ١
٩ ــ بـرقة ١
المجموع ١٢٢ شيخاً

٤ ــ مشيخته في الحجاز واليمن

ا ــ سمع في : عدد الشيوخ

١ ــ مكة : سنة ٢٨٣ ثم سنة ٢٨٧* ١٥
٢ ــ المدينة : سنة ٢٨٣ ٦
٣ ــ صنعاء : سنة ٢٨٤ ١٣
٤ ــ شِبام : سنة ٢٨٢* (قرب صنعاء) ١

ب ــ وسمع في :

٥ ــ جُـدّة ١
٦ ــ زَبيـد (باليمن) ٢
٧ ــ الكدراء (باليمن) ١

ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :

٨ ــ مَعـين ١
٩ ــ جَنَـد ١
١٠ ــ دَبَـر ١
١١ ــ عـدن ١
المجموع ٤٣ شيخاً

* هذه الارقام محل نظر ، انظر ص : ٥٣٢ ــ ٥٣٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ ـ مشيخته في العراق

	عددالشيوخ
ا ـ سمع في :	
١ ـ بغداد : سنة ٢٨٦* ثم ٢٨٧ ثم ٢٨٨	١٩٩
ب ـ وسمع في :	
٢ ـ البصرة	١٠٢
٣ ـ الكوفة	٤٧
٤ ـ واسط	٣٠
٥ ـ الأُبُلَّة	١٠
٦ ـ الانبار	٨
٧ ـ سُرّ من رأى	٤
٨ ـ بَلَد (شمال الموصل)	٢
٩ ـ قصر ابن هُبيرة (بجوار بغداد)	٢
١٠ـ الحديثة	١
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
١١ ـ الموصل	١٢
١٢ ـ المدائن	٢
١٣ـ بابَسير (من قرى واسط)	١
١٤ـ عُكبرا	١
المجموع ٤٢١شيخاً	

* استفدت هذا الرقم من كتاب « تسمية من يُروى عنه من أولاد العشرة » لعلي بن المديني (نسخة الظاهرية ـ ق : ٦٩/ب) ، ثم ثبت لدي بمقارنة ما في المعجم للصغير (٤٨/٢) مع ما ذكره أبو نُعَيم في أخبار أصبهان (٢٢٧/٢)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٦ ـ مشيخته في ايران والمشرق

	عددالشيوخ
ا ـ سمع في :	
١ ـ عسكر مُكرم : سنة ٢٨٨*	١٤
٢ ـ أصبهان : سنة ٢٩٠ ثم ٢٩٥**	١٢٠
ب ـ وسمع في :	
٣ ـ جنديسابور (في الاهواز)	٨
٤ ـ عبـادان (في الاهواز)	٤
٥ ـ شيراز (عاصمة فارس)	٨
٦ ـ أرّجـان	٢
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
٧ ـ تُسْتر	٢٤
٨ ـ الأهـواز (في الأهـواز)	١١
٩ ـ رامَهُرْمُز (في الأهـواز)	٤
١٠ ـ مَتّوث (في الأهـواز)	١
١١ ـ إيـذج (في الأهـواز)	١
١٢ ـ فارس (في فارس)	١
١٣ ـ فسـا (في فارس)	١
١٤ ـ تَـوّز (في فارس)	١
١٥ ـ إصطخـر (في فارس)	١

* هذا الرقم من سير أعلام النبلاء : مج ١٠/ل ١٧٤

** هذا الرقم محل نظر ، انظر (ص ٥٣١)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

		عدد الشيوخ
١٦ ـ كيش (جزيرة بين عُمان وفارس)		٢
١٧ ـ الـريّ	في الجبال	٥
١٨ ـ الباطرقان		١
١٩ ـ أسفيذن		١
٢٠ ـ الدينور		١
٢١ ـ برديج		١
٢٢ ـ نيسابور	في خراسان	٣
٢٣ ـ مـرو		٢
٢٤ ـ بَلْـخ		٢
٢٥ ـ فِرياب		١
٢٦ ـ نَسـا		١
٢٧ ـ بَغْشـور		١
٢٨ ـ سِجستان		١

المجموع ٢٢٣ شيخاً

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

● توزّع الصحابة والتابعين والمحدّثين في الامصار
مستخرج من فهارس طبقات ابن سعد (الاجزاء : ٥ و ٦ و ٧)

أ ـ توزع الصحابة :

في المدن والاقاليم		في الاقطـار	
١ ـ الكوفة	١٥٠	١ ـ العـراق	٣٠٢
٢ ـ البصرة	١٥٠	٢ ـ الحجـاز واليمـن والبحريـن	١٤٥
٣ ـ الشام	١١٤	٣ ـ الشـام والجزيرة	١١٩
٤ ـ مكة والطائف	٨٧	٤ ـ مصـر	٠٣٢
٥ ـ مصـر	٣٢	٥ ـ خراسـان	٠٠٦
٦ ـ اليمن	٢٧	المجموع	٦٠٤
٧ ـ البحرين	٢٥		
٨ ـ اليمـامة	٦		
٩ ـ خراسان	٦		
١٠ـ الجـزيرة	٥		
١١ـ المدائن	٢		
المجمـوع	٦٠٤		

كشف بالنّسب*

١ ـ العراق	٥٠٪
٢ ـ الحجاز واليمن والبحرين**	٢٤٪
٣ ـ الشام والجزيرة	٢٠٪
٤ ـ مصـر	٥٪
٥ ـ خراسان	١٪

* النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

** هذه النسبة تمثل الصحابة الذين توزعوا في انحاء الجزيـرة العربية ، باستثنـاء المدينة المنـورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ب ـ توزع التابعين قبل ظهور بغداد :

في المدن والاقاليم		في الاقطار	
١ ـ الكوفة	٦١٧	١ ـ العراق	٩٠٩
٢ ـ المدينة المنورة*	٤٠٥	٢ ـ الحجاز واليمن	٥٤١
٣ ـ البصرة	٢٨٠	٣ ـ الشام والجزيرة	١١٤
٤ ـ مكة والطائف	١١٠	٤ ـ مصر	٠٢٨
٥ ـ الشام	٩٩	٥ ـ خراسان	٠١٤
٦ ـ مصر	٢٦	٦ ـ تونس	٠٠١
٧ ـ اليمن	٢٠	المجموع	١٦٠٧
٨ ـ الجزيرة	١٥		
٩ ـ خراسان	١٤		
١٠ـ واسط	٧	كشف بالنِّسَب**	
١١ـ اليمامة	٦	١ ـ العراق	٥٦٪
١٢ـ المدائن	٥	٢ ـ الحجاز واليمن	٣٤٪
١٣ـ أيلة	٢	٣ ـ الشام	٧٪
١٤ـ تونس	١	٤ ـ مصر	٢٪
		٥ ـ خراسان	١٪
المجموع	١٦٠٧		

* سقط من المطبوعة : الطبقتان الرابعة والخامسة من طبقات المدنيين ، انظر طبقات ابن سعد ٥/٤٠٨ ـ ٤٠٩

** النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ج ـ توزع الفقهاء والمحدثين : من ظهور بغداد سنة ١٤٥ هـ وحتى سنة ٢٣٠ هـ:

في المدن والاقاليم		في الاقطار	
١ ـ الكوفة	٢٣٧	١ ـ العراق	٥٨٤
٢ ـ بغداد	١٦٥	٢ ـ الحجاز واليمن	١٣٧
٣ ـ البصرة	١٥٢	٣ ـ الشام	٠٨٢
٤ ـ المدينة	٠٧٤	٤ ـ ايران	٠٥٣
٥ ـ مكة	٠٤٢	٥ ـ مصر	٠٢٩
٦ ـ خراسان	٠٤٢	٦ ـ الاندلس	٠٠١
٧ ـ الشام	٠٣٩	المجموع	٨٨٦
٨ ـ الجزيرة	٠٢٤		
٩ ـ واسط	٠٢٣		
١٠ـ مصر	٠٢٢		
١١ـ الثغور الشامية	٠١٩	كشف بالنِّسَب*	
١٢ـ اليمن	٠١٤	١ ـ العراق	٦٦٪
١٣ـ الري وهَمَذان وقُم	٠١١	٢ ـ الحجاز واليمن	١٦٪
١٤ـ اليمامة	٧	٣ ـ الشام	٩٪
١٥ـ أيلة	٧	٤ ـ ايران	٦٪
١٦ـ المدائن	٤	٥ ـ مصر	٣٪
١٧ـ الانبار	٣		
١٨ـ الاندلس	١		
المجموع	٨٨٦		

* النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التعريف والنقد

مجلتان تاريخيتان

الدكتور شاكر الفحام

— ١ —

في غمرات الصراع الدولي الراهن ، لعله لم تعان أمّة من الامم ما عانته وتعانيه الامة العربية من وطأة الاستعمار والامبريالية والصهيونية. لقد بدأت الامة العربية صراعها الدامي العنيف مع الاستعمار الغربي في التاريخ المعاصر منذ أن قام بعدوانه السافر الغادر على بلاد الجزائر واحتلها عام ١٨٣٠ (١٢٤٦ هـ)[١] . ثم امتد الصراع امتداد هذا الاستعمار الغربي الذي ألقى بظله الثقيل البغيض على البقاع العربية قطراً فقطراً، يستغلها ويستنزف ثرواتها ، حتى كاد يشمل الارض العربية كلها. وناضل العرب النضال الطويل المرير ، وطرقوا بأيديهم المضرجة أبواب الحرية مائة عام أو تزيد ، وظفروا بعد التضحيات الجسام بالاستقلال : رفعت سورية العربية رايته الاولى حين جلا المستعمر الغاصب عن أرضها في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦ م ، ولم يستطع الاستعمار وقف اندفاع أخواتها العربيات التي تسعّرت أرضها ناراً عليه ، وانسحب من الارض العربية ، مكرها ، مغلوبا على أمره .

وراع الاستعمار الذي مزق شمل الامة العربية دهراً ، وعاث في

---

(١) كانت طلائع هذا التعدي الاستعماري على البلاد العربية في التاريخ المعاصر قد أطلت برؤوسها البشعة يوم جاس نابليون بجيوشه ديار مصر والشام ، وفي ركابه أدلاء الصهيونية ، فارتد على عقبيه مذموما مدحورا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أرضها فساداً ، ونهب خيراتها ، وأثار كل النزعات الضالة ، والنزوات المنحرفة ، والاهواء الشريرة ، أن يشهد مولد الفتوة العربية من جديد ، تنفتح للحياة الحرة الكريمة ، وتجاهد التفرقة والتجزئة لترسي أسس الوحدة ، وتعمل ليل نهار جادّة نشيطة لتقضي على التخلف والجمود ، وتسعى بحدوها المثلُ الاعلى لبناء الحضارة العربية الحديثة ، وملءُ عينيها وفيض قلبها التفاؤلُ والامل ، يقترنان بالعزم والتصميم في ارادتها . واندفعت الامبريالية المذعورة ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، لتنزل بالامة العربية ضربتها القاصمة، تريد لها ألا تنهض بعدها . وتعاونت الاطراف الحاقدة ، وتكالبت على الامة العربية ، لايصدّها رادع من خلق ، ولا وازع من ضمير ، ولا مسكة من شرف ، حتى أقامت دولة العدوان الشريرة العنصرية في قلب الوطن العربي ، تمزقه وتنهكه وتشرد أبناءه ، وتحول دون وحدته وتقدمه وعودته الى ساحة الحضارة الانسانية . لقد كان همّ الاستعمار والامبريالية الاول هو ألا يسمحا للعرب بالتحرر والوحدة ، وأن يعوقا ، بمختلف الوسائل والاساليب ، كل خطوة عربية نحوهما . يقول الشيخ عبد الرزاق البيطار (ت١٣٣٥ هـ/١٩١٦ـ١٩١٧م) في كتابه: (حلية البشر) ، وهو يتحدث عن أعمال محمد علي باشا والي مصر واصلاحاته وهزيمته الدولة العثمانية : « فنشأ في مصر جيل جديد ، وعصر جديد ، بسطت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة ، فافتتح النوبة وسنار ، واستولى على الشام والحجاز .. بل امتدّ بالاستيلاء الى قرب الآستانة في الاناطولي ، ... فتعصب الانكليز الى الدولة [العثمانية] في الظاهر لتوطيد أركانها ، وفي الباطن خشية من انشاء دولة اسلامية شابة ذات قوة مثل تلك ومركزها مصر ، ... فلذلك حاربته انكلترا مع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدولة العثمانية التي هي اذ ذاك على ضعف شديد ... فقهروا محمد علي، ولكن لاتمام مقاصد انكلترا لم تسمح للدولة [العثمانية] بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار اليها أيضا ، فكان الاوفق لها ابقاء مصر على شبه استقلال ليضعف كلٌ من الجهتين ... »[1] .

بهذه الكلمات القليلة المعبرة رسم الشيخ البيطار أفاعيل الاستعمار الحاقد على الامة العربية ، وكشف عن مطامعه وغاياته منذ مطالع النهضة العربية . وهاهي ذي الامة العربية اليوم تستقبل القرن الخامس عشر الهجري،وهي تواجه أقسى مرحلة تمرٌ بها في تاريخها ، قد أنشب الاستعمار الظالم ، وفي طليعته الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية ، مخالبه في جسدها ، يريد أن يسرقها أشلاء ، وداس بقدميه كل القيم الروحية والمبادىء الخلقية ، وتنكر لحقوق الانسان أبشع تنكر ، فعمل وساعد على طرد شعب فلسطين العربي من أرضه ، وسلبه وطنه ليحل محله غرباء معتدون أتوا من أقاصي البلاد ، لا يربطهم غير الحقد والجشع ، يتابعون العدوان والسلب، ولا يلقون غير التشجيع والتعزيز والعون من الاستعمار .

ان هذا الموقف الموجع الفاجع الذي فرضته الامبريالية الامريكية والصهيونية على الامة العربية تريد أن تذلها وتسكتها لن يطول أمده ، أمام ارادة الجماهير العربية المتحفزة لحريتها ووحدتها ، المندفعة أبدا تناضل في كل ميدان وساحة : تحارب التخلف وما يجرٌ اليه ، وتحثٌ على التقدم وما يتطلبه ، تدعو العلمـاء أن يتبتلوا في محاريب العلم والتكنولوجيا ليضعوا ثمرات بحوثهم في خدمة المجتمع العربي وتطوره ، تهيب بذوي الاقلام ورجال الفكر أن يقفوا نفوسهم وطاقاتهم لحشد قوى الامة ،

(١) حلية البشر ٣ : ١٢٤١ ـ ١٢٤٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولخدمة أهدافها ، تنادي رجال الحرب أن يعدوا العدة للدفاع عن الوطن، والذود عن الحمى ، شعارها : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) • انها تريد أن تخوض معركتها الضارية مع الاستعمار بكل وجوهها ومتعدد مناحيها[١] ، قد جندت لها كل أسلحتها ، كل ما قدرت عليه وأطاقته ، واجتثت من طريقها كل المثبطات والمعوقات التي زرعها الاستعمار والتخلف• وسيكون حليفاً قوياً لها في معركتها الكبرى الحق ومنطق التاريخ يؤيدانها في مطالبها ، ويستجيبان لها في نضالها العادل المرير • لقد دنت ساعة الخلاص ، وأذن شروق الفجر ، والويل لمن يحاول وقف مسيرة الشعوب نحو حريتها ، وحقها في الحياة والكرامة •

-٢-

من هذا المنطلق أتطلع الى مظاهر النشاط الثقافي العربي ، وبهذا المنطلق أرصده وأتتبعه • أرفض كل ما لا يندرج في مضمونه أو يخالف عن غايته وهدفه ، وأتقبل بالرضا والارتياح كل ما يعمل على ترسيخ الاصالة العربية والهوية القومية ، ويشقّ طريق التقدم ، ويهيىء النفس العربية للتفتح والابداع ، ويغذي روح النضال والتفاؤل لتحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الحر الموحد •

ـ وفي هذا الاطار نتابع الحركة الفكرية الثقافية التي تدعو الى اعادة كتابة التاريخ العربي كتابة منهجية ناقدة ، تستوحي المبادىء والنظريات

(١) اذا كانت المعركة العربية الاولى مع الاستعمار والامبريالية في التاريخ المعاصر قد بدأت عام ١٨٣٠ م باحتلال المستعمر الفرنسي أرض الجزائر لتنتهي في عام ١٩٦٧ م بطرد المستعمر الانكليزي من اليمن الجنوبي ، فان معركة العرب الثانية مع الامبريالية والصهيونية تدور رحاها على أرض فلسطين الطاهرة ، وسيواصل العرب كفاحهم في سبيل حريتهم واستخلاص أرضهم حتى يتحقق النصر وتندحر الامبريالية والصهيونية • وان للباطل جولة ثم يضمحل •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التي أفضت اليها التجربة التاريخية العالمية ، حصيلة هذا التطور الانساني العظيم في الفكر والفلسفة وصناعة التاريخ ، ويتوافر لأصحابها كل الصفات والشروط ، وتتهيأ لهم كل الوسائل والادوات التي يطالب بها (النقد التاريخي) مما يتيح لنا معرفة الماضي العربي معرفة صحيحة صادقة ، تنفي كل ما سطّر حول تاريخنا من الزيف والتحريف ، وتزيح كل ما علق به من الخرافة والاباطيل ، وتنفذ الى الخفي المستسرّ الذي كان المحرك الفعال في الاحداث والوقائع ، تكشف عنه وتحدد دوره ، بدل الانخداع بالمظاهر الطافية على السطح .

ـ وأعرض هنا لمجلتين تاريخيتين هما أحدث ما صدر في هذا الباب :

أما المجلة الاولى فهي مجلة البحوث التاريخية التي يصدرها مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي . اطلعتُ على أعدادها الثلاثة الاولى (وهي عددا عام ١٩٧٩ ، والعدد الاول لعام ١٩٨٠) ، واذا كان الحافز المباشر لانشاء مركز البحوث والدراسات واصدار مجلته التاريخية انما هو قلة الكتب المؤلفة في تاريخ ليبيا ، وكثرة التحريف والخطأ في المؤلَّف منها (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٩ـ١٢) فإن المجلة قد خرجت منذ عددها الاول على هذا الاطار الضيق ، ودعت دعوة صريحة الى أن تلتقي على صفحاتها « أقلام المختصين في مغرب الوطن العربي ومشرقه ، وغيرهم من أجانب ، المهتمين بالدراسات التاريخية العربية الاسلامية والعالمية ، لنعمل جميعا بأمانة ومنهجية على خدمة البحث العلمي، وترقية الدراسات التاريخية» (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٧ ، ٨) .

لقد أرادت المجلة أن يعالج المختصون على صفحاتها موضوعات التاريخ العربي بنظرة جديدة ، هدفها البحث عن الحقيقة التاريخية ، مما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يهيىء للمشاركة الجادة في اعادة كتابة التاريخ العربي « على أسس علمية ومنهجية سليمة » ، ويجنبنا الاخطاء التي ارتكبها المؤرخون الغربيون ومن سار على دربهم بحق تاريخنا عمدا وبغير عمد • وفي مقالة : (لماذا كتابة التاريخ ؟) أبان الدكتور محمد الطاهر الجراري المحاولات الانسانية في كتابة التاريخ ، والمراحل التي مرت بها ، والتجارب التي عاناها المؤرخون والمفكرون في سبيل الوصول الى الحقيقة التاريخية (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٨٣ ــ ٨٦) •

ونظراً لقيام مركز البحوث في ليبيا فقد كانت أكثر موضوعات العددين الاول والثاني مستمدة من التاريخ الليبي مثل : منظمة «تشكيلاتي مخصوصة » السرية ودورها في الجهاد الليبي ، حملة رمضان باي على غدامس ، حركة الترجمة في ليبيا ، الطريق من طرابلس الى فزان ، روفلس وليبيا (مترجمة) ، الوثائق العثمانية كمصدر لتاريخ ليبيا الحديث ، منطلقات نظرية في منهجية التاريخ الليبي ، آفاق جديدة حول كتابة التاريخ الليبي • وقام الى جانبها بحوث من مثل : جبل طارق ، نحو مفهوم للحضارة الاسلامية ، وهو أمر قد نبهت اليه المجلة في افتتاحية العدد الاول ، فقد ذكرت أن « معظم مادة هذا العدد ان لم تكن كلها تتعلق بتاريخ ليبيا »، وبعد أن بينت مردّ ذلك أهابت بكل « البحاثة والدارسين في تاريخ الشمال الافريقي والعربي خاصة والاسلامي والعالمي عامة » أن يوافوها ببحوثهم وآرائهم ، لان المجلة قد فتحت صفحاتها لهم جميعا مرحبة • ثم بدا شيء من التوازن في مقالات العدد الاول من المجلة لعام ١٩٨٠ ، فظهرت فيه مقالات مثل : امارة عربية أندلسية في جزيرة اقريطش ، الحياة الفكرية في العالم الاسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، الصلات التاريخية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحضارية للعرب قبل الاسلام ، مما كشف عن وجه المجلة العربي ، وأبان ملامحه جلية واضحة • وعززت مقالة : حول تحرير التاريخ من الفكر الاستعماري (المجلة ، ع ٢ ، س ١ : ٥١ــ٦٣) الفكرة التي تنادي بها المجلة بشواهد جديدة بغية العمل على انتزاع الفكر الاستعماري المترسب في ثقافتنا وقيمنا •••

وتشياً مع هدف المجلة ، وتحقيقاً لغايتها التي رمت اليها في كتابة التاريخ العربي كتابة علمية نقدية ، فقد أوضحت المجلة في صدر عدديها (الثاني لعام ١٩٧٩ ، والاول لعام ١٩٨٠) أنماط البحوث التي تؤثر نشرها ، وتفضلها على ماسواها • وأفردت المجلة في صفحاتها بابا لمراجعات الكتب التاريخية الصادرة حديثا وتقويمها ، مثل كتاب لمحات عن الاوضاع الاقتصادية في ليبيا في أثناء العهد الايطالي ، كتاب خلاصة النازلة التونسية ، تاريخ المغرب ــ محاولة في التركيب ، المشرق العربي والغرب •

ــ اننا مع المجلة في خطتها التي أعلنتها في تقدير آراء الآخرين واحترامها ، وفي اعتمادها الحوار العلمي الهادىء ، في جو من النزاهة والصراحة ، لمناقشة وجهات النظر ، وتلاقيها ، وعرفان بعضها بعضا (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٧) ، فهذا النهج هو وحده الكفيل بنتاج فكري خصب يدنو بالمجلة من الهدف ، ويضمن لها النجاح في تأدية رسالتها التي نصبت نفسها لها •

ــ واننا نؤيد المجلة في دعوتها الرامية الى كتابة التاريخ العربي بنظرة جديدة تنشد الحقيقة ، وترمي الى تنقية تاريخنا مما علق به من مفتريات كاذبة ، أو ما خالطه من خرافات ومزاعم باطلة ، وتجنبنا المزالق التي زلت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بها أقدام مؤرخين باحثين سابقين ضلوا عن الطريق ، اذ تعمدوا تشويه وجه الحق ، أو غُمَّ عليهم تبينه .

ويقتضيني القول أن أشير هنا الى أن هذا النهج العلمي القومي الذي التزمت به المجلة دقيق ، بالغ الصعوبة ، يتطلب كثيرا من الحيطة والروية والاناة . فقد تجمح بعض الاقلام وهي تعالج موضوعا يتناول قطرا من أقطار العروبة ، فتنغمس في موضوعها انغماسا تغيب معه عنها صورة الوحدة العربية التي يندرج القطر حضاريا وثقافيا في منظومتها ، وتتناسى التفاعل الحي المتبادل بين هذه الاقطار العربية ، فاذا هي تنزلق في الاقليمية البغيضة التي تخالف عن حقيقة مسيرة التاريخ العربي ، ولا تتفق مع هدف المجلة . دع عنك تلك الاقلام التي لاتؤمن بوحدة العروبة مكابرة وانكاراً، ولا تستمد من هذا المداد فيما تسطره من صفحات . فمن الخير أن تدقق المجلة كل التدقيق حتى لا نقرأ كلاما بعيدا شديد البعد عن الحقيقة التاريخية ، ويضاد مقاصد المجلة والغايات التي تروم بلوغها .

كذلك فان هذا الموقف الناقد الذي تقفه المجلة من المؤلفات المسطورة في التاريخ العربي ، وما شابها من الاهواء التي انحرفت بها عن الجادة ، ودعوتها الى اعادة النظر لكتابة التاريخ العربي كتابة تستوحي مبادىء النقد التاريخي ، وتستمد مادتها من الوثائق والنصوص الاصيلة الاساسية قد يؤدي ببعض الباحثين أن ينقلب عملهم من بحث عن الحقيقة ومعرفة الماضي كما وقع ، بقوته وضعفه ، بابداعه وعقمه ، الى محاولة لتمجيد الماضي والدفاع عن كل ما فيه ، واختيار النصوص والوثائق التي تساند مثل هذا الاتجاه المتعصب ، ذي الافق الضيق ، المجانب للنظرة العلمية . انه حقا موقف مثل حد السيف دقةً وصعوبةً ، يتطلب ما يتطلب من الجهد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمثابرة والمتابعة والحوار والمراجعة لنظل معصمين بسُكّان السفينة[1] لانفارقه ، ماضين على الجادة .

هل يحسن أن أتحدث عن الحلة القشيبة التي ظهرت بها المجلة ، وأن تعاوناً وثيقاً قد تمّ بين مركز الدراسات والبحوث وجامعة حلب التي تولت طباعة أعداد المجلة الثلاثة ، فأحسنت طباعتها واخراجها . لقد نوّهت المجلة بهذا التعاون المثمر الخير الذي نرجو أن يؤتي أكله أضعافا مضاعفة (المجلة: عدد حزيران ١٩٧٩ : ٥ ، عدد كانون الثاني ١٩٨٠ : ١٦١) .

لانملك الا أن نرى في الاعداد الثلاثة من مجلة البحوث التاريخية باكورة طيبة لجنى نرجو أن يوافينا وخياره فيه ، وأن تمضي المجلة في طريقها القاصد الى هدفها ، تحدوها الرغبة في المشاركة بكتابة التاريخ العربي كتابة تجلو صورته بكل قسماتها وسماتها ، تتلألأ بنور الصدق والحق .

-٣-

أما المجلة التاريخية الثانية فهي مجلة (دراسات تاريخية) ، وهي مجلة علمية فصلية تُعنى بالدراسات حول تاريخ العرب ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق . وهي لجنة هدفها الاول أن يكتب تاريخ العرب في موسوعة كتابة منهجية ناقدة ، ولعله يحسن أن نوطّىء للحديث عن هذه المجلة وخطتها ونهجها بكلمة قصيرة نوجز بها الوقائع التي أفضت لصدورها .

ـ بدأت القصة بدأها المنطقي ، فتاريخ العرب لم يكتب على حقيقته حتى اليوم . لقد استطاع المؤرخون الغربيون ذوو النزعة الاستعمارية ،

(١) سكان السفينة : الخشبة التي تعدّل بها السفينة في سيرها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأضرابهم مـن لاذ بهم وسلك مسلكهم ، أن يشوهوا صورة التاريخ العربي ، وأن ينفثوا من سمومهم وأكاذيبهم ما يرضي مطامعهم الجشعة ، ويلبي مآربهم الاستعمارية الخبيثة . كان كل عربي يمضه الالم وهو يقرأ ما لفقه الغربيون الاستعماريون ومن مشى في آثارهم ، وينتظر القلم الحر الذي ينشد الصدق ، ويستوحي في كتابته المنهج التاريخي الناقد ، ويصور الماضي بملامحه وقسماته دون تزيد أو تحريف . كذلك فقد عانى التاريخ العربي ماعانى من ذوي النزعات الاقليمية ، والنظرات السياسية الضيقة المتعصبة،ومن التقليديين المحافظين وأصحاب الثقافات المحدودة الذين لم يخالطوا روح العصر ، ولم تسهم ثقافته إلا مساً رفيقاً لا يجاوز السطح . لقـد أخطؤوا جميعـا ، وحرّفوا وجانبوا الحق ، وأرهقوا التاريخ ، استجابة لنزعاتهم الخاصة وأهوائهم ، ونظراتهم السياسية والعقائدية . ولا ينكر منكر مالتلك البقية الباقية من المؤرخين العرب ومن الاجانب المنصفين الذين عالجوا التاريخ العربي بروح ناقدة نزيهة ، تبغي الحقيقـة ، وتعتمد في بحوثها النظرة التاريخية المنهجية ، وتتشبّث من النصـوص والوثائق التي تستمد منها أحكامها . ولم يكن بد من مبادرة علمية تضم كل هذه الجهود العربية ، وتنسق بينها لتعمل جميعاً وفق خطة مرسومة مدروسة ، للنهوض بهذه المهمة الكبيرة ، مهمة كتابة التاريخ العربي في موسوعة تستجيب لهذه الرغبة العميقة في معرفة الماضي المعرفة الصحيحة ، وابراز الجانب الحضاري الذي طال تناسيه ، وفي تبين التيارات الاساسية التي حركـت أحداثه ، والاسباب العميقة التي تفسر وقائعه ومساقاته في نهضاته الحضـارية وابداعه وفيضه ، وفي تصديه وتوقفه وعقمه . وبدأت اجتماعات متتالية في دمشق، ضمت حلقاتها المؤرخين والمفكرين القوميين والباحثين ، وكانت مشاركات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جادة خصبة منتجة بلغت ذروتها وأوجها في عام ١٩٧٦ ، وقد لقيت هذه المبادرة العلمية التشجيع والتأييد من القيادة السياسية ومن جميع المؤسسات الثقافية والعلمية في القطر العربي السوري .

وانتهت الاجتماعات الى تشكيل لجنة تحضيرية قامت بتلخيص النظرات التي أثارتها المناقشات الخصبة الجادة ، ودلت على الخطوط الاساسية لمراحل التاريخ العربي ، وعرضت بإيجاز للمنطلقات ومبادىء العمل ، ثم ضمت ذلك كله في كراس أصدرته بعنوان (مشروع اعادة كتابة تاريخ العرب ـ دمشق ١٩٧٦) ، ووزعته على المهتمين والمعنيين بالفكرة في مختلف الاقطار العربية ليكون ورقة العمل ، ومنطلق المناقشة في ندوة موسعة يدعى اليها المؤرخون والباحثون العرب ، يُغنون في اجتماعهم وحوارهم متضمن المشروع ، ويستكملون جوانبه النظرية والعملية . وجرت اتصالات ومشاورات مع المؤرخين والمفكرين العرب ، وانعقدت الندوة بدمشق في (٢٠ـ٢٢) كانون الاول ١٩٧٧ ، وحضرها علماء مختصون من مختلف الاقطار العربية، ونوقش المشروع المطروح مناقشة مستفيضة أغنته وأضافت اليه اضافات قيّمة . وكان لتبادل وجهات النظر وتقليب الآراء أثره الواضح في الصيغة التي انتهى اليها المشروع المقترح . ورأت اللجنة التحضيرية أن النتائج التي أسفرت عنها المناقشة لها شأنها وأثرها في تحديد النهج الذي سيعتمد لكتابة التاريخ ، واستشفاف خطوطه الكبرى ومنطلقاته . وكان من أبرز توصيات الندوة « اصدار مجلة (دراسات تاريخية) تكون محكاً للافكار ، وميداناً لعرض الآراء الجديدة كيما يثبت الصحيح منها بعد مناقشته » . واستجابت جامعة دمشق ، ووكلت الى لجنة كتابة تاريخ العرب بالجامعة مهمة اصدار المجلة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ كان أول أعمال لجنة الاشراف على المجلة أن أصدرت عددا تمهيديا من المجلة عام ١٩٧٩ ، يتضمن : مشروع اعادة كتابة تاريخ العرب ، الذي أعدته اللجنة التحضيرية (ص : ٦ـ٣٦) ، ويتلوه أعمال ندوة كانون الاول ١٩٧٧ ، وتشمل المناقشة العامة التي شارك فيها جميع المنتدين (ص : ٣٧ ـ ٤٣) ، ثم ما قامت به اللجان الاربع المنبثقة عن الندوة (ص : ٤٤ ـ ٧٠) . وكان صدور هذا العدد التمهيدي ضروريا للتعريف بهذا المشروع الهام ، واطلاع المؤرخين الباحثين والجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي على مناقشات الندوة ، وما انتهت اليه من توصيات ومقترحات ، تفتح الآفاق لعمل علمي وقومي له شأنه وأهميته وضرورته في الحياة الثقافية العربية ، وفي احلال التاريخ العربي مكانته التي هو جدير بها في تاريخ الانسانية .

وصدر بعد ذلك عددا آذار وحزيران ١٩٨٠ ، ولم تكن الغاية من اصدار مجلة (دراسات تاريخية) أن تضاف مجلة تاريخية جديدة الى عداد المجلات التاريخية العربية الاخرى . كان من الواضح البيّن ، وهدف المجلة مستمد من توصيات الندوة ومحدد" بها ، أن غايتها الاساسية هي أن تمهد وتوطىء وتخلق الظروف الملائمة لتيسير كتابة التاريخ العربي ، هي أن تلتقي على صفحاتها أقلام الباحثين والدارسين من المؤرخين والمفكرين ، يتعارفون ويتلاقون حول فكرة من أعز الافكار على نفوسنا، وألصقها بقلوبنا ، يناقشونها ، ويقلبون جوانبها ، وينيرون بآرائهم طريق المجلة ، ويساعدون في طي المراحل الممهدة لبلوغ الهدف المرتجى . وحرصاً من المجلة على تحقيق غرضها ، والوصول الى مقاصدها فقد رغبت الى المؤرخين والمؤلفين أن يوافوها ببحوثهم وآرائهم التي تندرج في هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاتجاه الذي تدعو اليه وتعمل له ، وهو اتجاه ذو ثلاث شعب :

١ ــ أن يتناول البحث أو الدراسة فكرة كتابة التاريخ العربي في موسوعة واحدة ، تستوحي مبادىء النقد التاريخي ، وتكشف عن صورة الماضي بكل سماتها وقسماتها • أوليس من الخير كل الخير أن يتاح للاقلام جميعا مناقشة هذه الفكرة : هدفاً ومبادىء عمل ، مناقشة تغنيها وتكشف عن خصوبتها ، وتوسع من جوانبها ، وأن تعرض بالتالي لهذه الآراء والانظار التي طرحتها ندوة دمشق تتعسقها ، وتقلب وجوهها لتصل الى مقطع الحق فيها •

٢ ــ أن يعالج الباحث أمر دعوة المؤرخين القادرين الكفاة ، والمؤسسات الجامعية والعلمية لتعاون يضمهم ويجمع بينهم ، ويضع الخطط الكفيلة بالافادة من قدراتهم ليتوزعوا هذا العمل العظيم ، وينهضوا بهذه المهمة ، مهمة التأليف والكتابة والمراجعة ، وفق منهج مدروس ، يضمن التنسيق في الجهود ، والدقة في العمل ، والانجاز في المهل المحددة•والمجلة ترحب بكل مقترح في هذا المضمار يساعد على السير خطوة الى الامام ، ويهيىء الوسائل الكفيلة بانفاذ الخطة أو التعجيل بانفاذها ، حتى تستقيم لها الطريقة المثلى في هذا العمل البنّاء •

٣ ــ أن يقدم الناقد الباحث موضوعا جديدا أصيلا ينسجم مع هدف المجلة ، أو يثير حوارا في موضوعات التاريخ العربي • ان كل بحث في هذا المنحى انما هو امتحان وسبر للمنهج المعتمد المرتقب ، ويرتفع بمستوى الكتابة التاريخية ، ويغني مضمونها •

لقد آثرت مجلة (دراسات تاريخية) أن تفتح صفحاتها لهذا النمط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الكتابة بشعبه الثلاث،وغايتها من وراء ذلك أن تتعارف الآراء وتتلاقح الافكار ، وتتلاقى وجهات النظر ، وتنضم الجهود الى الجهود في طـــريق واحدة بدل التبدد والتشتت ، ليبدأ بعد ذلك المرحلة الجادة الاساسية وهو كتابة التاريخ العربي كتابة « تفصح عن معنى الوجود العربي ، ونشأته في التاريخ » ، وتصور الماضي الصورة الحية الصحيحة الصادقة التي تحرره من أثقاله ، وتعين الاجيال العربية على الثقة بنفسها وبأمتها وبقدرتها على التقدم والإبداع .

لقد حملت المجلة أمرا عظيما ، واضطلعت بمهمة كبيرة ، هي التمهيد وتيسير السبل لتعاون بين المؤرخين ورجال الفكر وثيق ، ينهض بكتابة التاريخ العربي في موسوعة جامعة . واننا لنرجو لها السداد فيما قصدت له وانتحته ، وأن نشهد مولد الملحمة الكبرى في حياتنا الثقافية ، ونطالع تاريخنا بماضيه الحافل ، وحاضره ، يمهدان لمستقبل هذه الامة العربية العريقة المستقبل الواعد ، تستأنف به المشاركة الجادة في مسيرة الحضارة الانسانية .

دمشـــق — شاكر الفحام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عَرْف البَشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام

تأليف محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ
وتحقيق الاستاذين محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد
مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور

ظلّ هذا الكتاب مخطوطاً مطّرحاً على رفوف المكتبات ، يعلوه الغبار ، حتى قيض الله سبحانه له من ينفض عنه غبار القرون ، فجاء الشابان الاستاذ محمد مطيع الحافظ والاستاذ رياض عبد الحميد مراد فقاما بتحقيقه وطَبَعَهُ مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٩ .

أما هذا الكتاب فطريف في موضوعه دسم في مادته ، مؤلفه مفتي دمشق الشام في زمنه ونقيب الاشراف فيها ، صدر الدين أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد المرادي المتوفى في حلب سنة ١٢٠٦هـ = ١٧٩١ م . وكان قد تولى منصب الإفتاء بدمشق الشام سنة ١١٩٣ وبقي فيه حتى وفاته . وهو بعدُ أديب شاعر كاتب من أبرز علماء عصره في بلده ، ألّف كتابه هذا بعد توليه منصب الافتاء استجابة لطلب أحد علماء عصره الشيخ محمد الدويكي ، فجمع تراجم لسبعة وثلاثين مفتياً بدمشق ، منذ اختيار أول مفتٍ لدمشق سنة ٩٢٢ هـ يوم دخلها السلطان سليم العثماني ورتب أمور الفتوى فيها الى عصر المؤلف ، الى كتب أخرى ألّفها المرادي تجدها في ثبت مؤلفاته في ترجمته الحافلة في أول الكتاب ، على رأس تلك المصنفات سلك الدرر المشهور الذي عرف به المرادي فيما بعد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقع كتاب (عرف البشام) في خمسة فصول ، ضم الفصل الاول مقدمات في الفتوى وآدابها ، وشمل الفصل الثاني تراجم لتسعة مفتين من القرن العاشر ، وفي الفصل الثالث تراجم لأربعة عشر مفتياً من القرن الحادي عشر ، وفي الفصل الرابع تراجم لثلاثة عشر مفتياً من القرن الثاني عشر ، وفي الفصل الخامس والاخير خص المرادي نفسه بترجمة ذاتية ملأها بانتواضع المصطنع المسهب ، وحشاها بأشعاره وذيلها بالمدائح التي قوبل بها من علماء عصره وشعرائهم يوم تسنم منصب الإفتاء ، مما يقال بكل عصر لكل مسؤول ابتغاء الحظوة عند أصحاب السلطان ، وعلى هذا يكون مجموع من ترجم لهم المرادي من المفتين من سنة ٩٢٢ هـ الى آخر القرن الثاني عشر سبعة وثلاثين مفتياً ، آخرهم المرادي نفسه .

اعتمد المحققان في اخراج هذا التراث الدمشقي النافع نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب تعود الثانية منهما للاولى لأنها فيما ظهر مبيّضة لها ، فالنسخة الأصل وقعت للمرحوم الشاعر الاستاذ خليل مردم بك الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية بدمشق ـ طيب الله ثراه ـ وهي قد آلت فيما بعد الى ظاهرية دمشق ، عنها نسخ بقلمه وخطه ـ كما ذكر المحققان في المقدمة ـ الأستاذ مردم بك الجزء الاكبر من الكتاب في نسخةٍ خاصة به عليها بعض التعليقات والملاحظات ، أهداها فيما بعد ولده الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ، فيما أهدى من كتب أبيه الى المجمع مشكوراً ، فاجتمعت للمحقّقيْن في الظاهرية والمجمع نسختان من الكتاب هما معتمد التحقيق والمقابلة .

هذا ، وقد ضم المحققان للكتاب ذيلين ليسا من صنع المرادي ، الاول وريقات مخطوطة في ظاهرية دمشق تضمنت تراجم شديدة الايجاز للمفتين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من بدء إحداث منصب الافتاء الى المفتي محمـود حمزة ، فهي تشترك مع كتاب المرادي من أوله الى ترجمة المرادي ، ثم تنفرد عنه الى المفتي محمود حمزة المتوفى سـنة ١٣٠٥ ، ويرجح أن كاتبها عاصر هذه الفترة الاخيرة أو بعضها وأخـذ عمَّن سلف ، واني لأميل الى أن تكون هذه الوريقات واسمها الكامل على غلافها (رسالة فيمن تولَّى وقضى وأفتى) اختصاراً لكتاب المرادي (عرف البشام) من مطَّلع غير عالم كما يبدو ، مع اضافات من المختصِر ، وان لم يظهر على ذلك دليل . وأما الذيل الثاني فهو من صنعة الاستاذ محمد مطيع الحافظ أفادها مما نقله عن عمه المرحوم الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت وهو من كبار العلماء الدمشقيين المعمَّرين، كما أفادها من دراسات له متفرقة في التاريخ وفن التراجم . وهذا الذيل استمرار لتراجم المفتين بعد الشيخ محمود حمزة الى يوم نشر الكتاب.

وقد تتوج كتاب (عرف البشام) بعد خطبة التحقيق بمقدمة مفيدة موسَّعة اشملت على :

أولاً : ترجمة واسـعة للمؤلف ولأشهر آبائه ولأسـرته المرادية ، مستقاة من ترجمته الذاتية ، وممن ترجموا له ولأسرته كالبيطار والحصني والجبرتي والزركلي وأضرابهم ، وفي آخرها جدول بنسب بني المرادي ، ثم بحياته ومؤلفاته .

ثانياً : دراسة للكتاب في فصوله وتراجمه .

ثالثاً : نسخ التحقيق المعتمدة ووصفها وصفاً علمياً ووضع رمـوز خاصة بهـا .

رابعاً : منهج التحقيق .

خامساً : دراسة عن الذيلين ، ثم تأتي الروامز .

ويقع الكتاب في نحو ثلاث مئة صفحة ونيف من صفحات القطـع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العادي ماعدا المقدمات التي استغرقت من أول الكتاب زهاء عشرين صفحة.

فالكتاب قيم يؤرخ لنا الافتاء والمفتين في مدينة دمشق ذات المآثر الخالدات ، والمفاخر الباقيات ، دمشق عرين العروبة ومعقل الاسلام وفسطاط المسلمين في آخر الزمن ــ ليؤرخ لنا عرف البشام ذلك كله في زهاء أربعة قرون .

والعمل جيد ومشكور ، والجهد واضح الاثر ، ومصادر التحقيق ومراجعه كثيرة تدلّ على اطلاع واسع ، وعمق في الدرس ، وأصالة في منهج البحث،زد على ذلك حُسن الاخراج والتبويب وغزارة المعلومات.

على أن الكتاب لم يخل من أخطاء مطبعية قليلة ندّت لا تخفى على القارىء استدركها المحققان في الصفحة ذات الرقم ٣١٠ من الكتاب .

وهناك ملحظ أجدني ملزماً بالاشارة اليه ذلك هو قلة شرح بعض المصطلحات العلمية كالدَّوْر وبحر السلسلة وما ماثله فهذا لا يعرفه من القراء إلا المتخصصون وأشباههم .

وثمة أيضاً نوع اقتصار في الرجوع الى المراجع الرئيسية في شروح الغريب ضمن التعليق لا في التراجم ، فأشهد أنها مستوفاة في هذا المضمار بقدر واسع ، فقد اعتمد المحققان على شرح كلمتي عرف البشام على القاموس المحيط ، وكان الأليق أن يرجعا الى لسان العرب أو تاج العروس أو الصحاح للجوهري وما شابه .

أما رأيي الخاص في صنعة المرادي فهو أن أسلوب هذا الرجل قديم لزمانه طويل ممل ، فيه كثير من الحشو والإطناب ، وهو رحمه الله معذور في ذلك فليس في وسع الرجل أن يتجاوز عصره وأن يكلمنا بلغة نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر وهو في نهاية الثاني عشر وبداية الثالث عشر الهجري ، فهو انما يكتب بلغة ذلك العصر . ولا يد لأحد في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك ولا نستطيع مخالفة أمانة النقل والتحقيق والعهدة العلمية فنذهب الى اختصار الكتاب أو تهذيبه . ولكني لو استُشرت لاقترحت زيادة ذيل ثالث في آخر الكتاب يُعدُّ ملخصاً لما سبق ، ويُجعل ذيلا لكتاب المرادي، يشتمل على تراجم مختصرة وافية لكل مفتٍ أورد المرادي له ترجمة في كتابه تقع في زهاء خمسة أسطر تضم اسمه الكامل ولقبه وكنيته وولادته ونشأته وشيوخه ووظائفه ومتى تقلد الفتيا ومتى عزل منها ومتى توفي ومكان الوفاة مع ذكر مزيته العلمية ، وحذف ما سوى ذلك من الأشعار والاقوال ، فبذلك نكون قد أرحنا الباحثين من عناء الخوض في تلك التراجم التي أغرقت في الغلو والمبالغات والالقاب والنعوت والاشعار التي لاطائل تحتها ، فمن أراد من الباحثين اللب والجوهر فعليه بهذا الذيل ينقع غلته وينل بغيته ، ومن أراد أن ينقل نص كلام المرادي لغرض توثيق فعليه بالاصل فهو بين يديه ، وتُرتَّب التراجم في هذا الذيل حسب حروف المعجم، ولعل ذلك يكون في الطبعة الثانية .

وبعدُ ..

فذلك كله لا يغض من قيمة الكتاب ولا يصرف النظر عنه ، فهو كتاب قيِّم جداً ، وتحقيقه ونشره كذلك أضفيا عليه حلة سيراء موشَّاة ، فأضحى بحيث يجدر بكل من له اتصال بالبحث العلمي أن يطلع عليه نظراً لما حوى من الفوائد التي لاتكاد توجد في غيره ، لاسيما في الهوامش والذيول ، واني لا أبالغ أبداً اذا قلت ان جهد المحققين يوازي جهد المؤلف ان لم يزد عليه والفضل للمتقدم ، فرحم الله المرادي وبارك بالاخوين اللذين نشرا علم المرادي وفضله وخصّا دمشق بلد العلم وعش العلماء بهذه العناية والرعاية التي هي لهما أهل ، وهما أيضاً لكل مكرمة أهل .

دمشق في ١ ربيع الانور ١٤٠٠ هـ — **الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وأنباء

حفل استقبال

الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته الاولى المنعقدة في ١٣ شوال ١٣٩٩ هـ/ ٤ ايلول ١٩٧٩ م (الدورة المجمعية ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ م) الاستاذ عبد الكريم زهور عدي عضواً عاملا في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الاستاذ الدكتور جميل صليبا • وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم ٣٠١٥ تاريخ ٢٣ المحرم ١٤٠٠ هـ / ١٢ كانون الاول ١٩٧٩ م•

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الاستاذ عبد الكريم في جلسة علنية عقدها في قاعة الامير مصطفى الشهابي بدار الكتب الظاهرية يوم الخميس في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ / ٢٢ أيار ١٩٨٠ م ، حضرها نخبة طيبة من رجال الفكر والثقافة وفي طليعتهم السيد وزير التعليم العالي الدكتور أسعد عربي درقاوي • وافتتح الحفل الاستاذ الدكتور حسني سبح رئيس المجمع بكلمة نوه فيها بالعضو الجديد ، وأشاد بعلمه وكفايته ، مرحباً بانضمامه الى المجمعيين ، يشاركهم في مسيرتهم التي وقفوا نفوسهم لها ، ألا وهي خدمة الفصحى،والدفع عنها•ثم ألقى الاستاذ الدكتور شاكر الفحام كلمته في استقبال زميله المجمعي ، وبسط أطرافاً من سيرته ومزاياه العلمية والخلقية • ثم ألقى الاستاذ عبد الكريم زهور عدي خطابه الذي تحدث فيه عن سلفه الراحل الاستاذ الدكتور جميل صليبا •

وننشر فيما يلي كلمات الحفل :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلمة الاستاذ الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

بسم الله الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم

بسم الله القائل ــ وجل من قائل ــ وهذا لسان عربي مبين

باسمه تعالى ، افتتح هذه الجلسة العلنية من جلسات مجمع اللغة العربية

سيادة الوزير ، الاساتيذ الاكارم ، سيداتي وسادتي

يعقد مجمعنا هذه الجلسة احتفاء باستقبال عضو عامل جديد هو الاستاذ عبد الكريم زهور عدي ، وقد حاز بحق وعن جدارة ثقة زملائه اعضاء المجمع بانتخابهم اياه في الجلسة النظامية التي عقدها مجمعنا لهذه الغاية ، مساء الثالث عشر من شوال عام ١٣٩٩ الموافق للرابع من ايلول عام ١٩٧٩ ، وصدر المرسوم ذو الرقم ٣٠١٥ وبتاريخ ١٢ من كانون الاول لعام ١٩٧٩ بتسميته عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية، فأهلا به وسهلا.

وبعد، فأرى لزاماً علي ، بادىء ذي بدء ، أن ارحب وأحيي باسم مجمع اللغة العربية هذا الجمع الكريم شاكراً لكل فرد من افراده الاماثل تلبية الدعوة ، وشهود هذا الحفل مع بعد الشقة وتعذر بلوغ هذا الصرح العتيد.

درج مجمعنا منذ عدة سنوات على استقبال العضو العامل الجديد في داره المعروفة وفي احدى قاعاته التي تحمل اسم مؤسسه المرحوم محمد كرد علي، إلا ان تصدع بعض جوانب القاعة وتعذر الترميم بالسرعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللازمة حملانا على أن نستبدل بها هذه الردهة من دار الكتب الظاهرية وهي المخصصة في الأصل لارتياد المطالعين والمستفيدين مما في خزائن الدار من نفائس وأعلاق جعلت شهرتها عالمية .

ولئن فاتنا أن يكون حفلنا هذا في كنف الرئيس المرحوم محمد كرد علي ، لقد عوضنا بهذه القاعة التي تحمل اسم المرحوم الامير مصطفى الشهابي ، فالأساتيذ كرد علي وخليل مردم بك والأمير الشهابي أعلام ثلاثة أبلوا بلاءً حسناً في خدمة اللغة العربية ورفع شأنها وهم ممن يشار اليهم بالبنان في الوطن العربي الكبير من أقصاه الى أقصاه ، رحمهم الله جميعا وأحسن اليهم في الآخرة بقدر ما أحسنوا في هذه الفانية وأسكنهم فسيح جناته ، اولئك اسلافي فجئني بمثلهم .

وانها للمرة الأولى التي يقام بها مثل هذا الاحتفال في غير دار المجمع واني لوطيد الأمل بله الرجاء أن تكون المرة الأخيرة أيضاً ، بعد أن ننهي ما نحو باذلون من جهد لاتمام ردهة الاحتفال في المبنى الجديد لمجمعنا ، وقد أوشك أن يكون الانتقال اليه في المرحلة الأخيرة ، لنقيم حفل الاستقبال الآتي فيها ان شاء الله .

وبعد هذا كله ، فان الأمل معقود على الرصيف الجديد الذي انضم الى اسرة المجمع ، بأن يشتد به الأزر وأن يكون خير عون لنا في المضي قدماً فيما نذرنا له أنفسنا من خدمة اللغة الحبيبة ، لا سيما وهو يخلف في منصبه هذا ، المرحوم الدكتور جميل صليبا الذي أدى أجل الخدمة طيلة أربعة عقود ، سواء في ميادين العلم والأدب والفلسفة ، ولا يساورنا أي شك في أن لا يقل هذا الخلف عن ذاك السلف ان شاء الله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خطاب الدكتور شاكر الفحام

في حفل استقبال الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

السيد وزير التعليم العالي
السيد الأستاذ رئيس مجمع اللغة العربية الموقّر
السادة الزملاء أعضاءَ مجمع الخالدين
أيها الحفل الكريم

١

ما أجملها سُنَّةً متَّبعةً أن نلتقي هذا اللقاء الحميد ، يسوده الجلالُ والودُّ ، نحتفي باستقبال أخٍ كريم ، ينتظم في صفوف السادة الخالدين ، يمضي في صحابتهم ، يسيرون معاً على الجادّة ، يكشفون عن الخالد المتألق من التراث ، ويدلّون على أصول العربية المبينة ونواميسها التي حليت بها فرزقتها الأصالة والخلود ، ويمسحون عن وجهها النضير ما علق به من أوضار عصر الجمود ، ويرودون بها دروب العلم الحديث والمصطلح والمعاصرة يروضونها عليها ، وهي الطيّعةُ الذلول ، تستجيب ، بمرونتها وقدرتها ، لمقتضيات العصر والبيئة ، لا يتأبّى عليها شيء .

وما أسعدني اليوم أن يتاح لي أن أرحّب بالأستاذ الصديق عبد الكريم زهور عدي زميلاً عزيزاً في مجمع اللغة العربية ، تتلقاه مستبشرين بمقدم فارسٍ مُعْلِم ، نجّذته التجاربُ ، وغذّته الحكمةُ ، قد فطر على حبّ العربية التي راعت ببيانها المعجز ، وتفتح لعينيه وقلبه سِحْرُها وعبقريتُها . فأكْرِمْ به عضداً يُشَدُّ به الأَزْرُ ، وركناً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شديداً يُؤْوَى اليه في الانتصار للعربية ، والذياد عنها ، وَلْتَخْصِبْ أرضُه المريعةُ بأطيب الأُكُلِ ، وأزكى الثمرات .

٢

ولد الأستاذ عبد الكريم زهور عدي بمدينة حماة سنة ١٩١٧ ، في بيئة محافظة ، ونشأ في أسرة عرفت بالاستقامة والصلاح والتدين والعلم ، فشبَّ على التمسُّك بفضائل قومه ، والتحلّي بآداب أهله .

بدأ دراسته الابتدائية بمدينة حماة عام ١٩٢٤ م ليتابع من بعدُ المرحلة الثانوية ، وقد حصل على البكالوريا الأولى ــ الفرع العلمي عام ١٩٣٥ م ، والتحق بعدها بحلب ، وقضى فيها سنةً نال في ختامها البكالوريا الثانية ــ قسم الرياضيات (عام ١٩٣٦ م) . وعُرف عبد الكريم طوال دراسته بالألمعية والفطنة ، وشهد له أساتذته بالتفوق والموهبة . وقد أحلّه ماحُبِيَ به من توقدالذهن ، ورجاحةالعقل ، وحسن السيرة مكاناً ممتازاً بين رفاقه وزملائه ، فكانوا يرجعون إليه ، لا في مسائل الدراسة فحسب ، بل في كثير مما يعرض لهم من شؤون ، يستشيرونه ، ويصدرون عن رأيه .

واختار عبد الكريم التعليم عملاً ، وقضى عامه الدراسي الأول (١٩٣٦ ــ ١٩٣٧) معلماً موقتاً في المدارس الابتدائية في بانياس فدمشق ، وهيَّأ له نجاحه في التعليم فرصة القبول للدراسة في دار المعلمين . وأمضى في الدار سنتين تخرج على اثرهما ليتولى التعليم في المدارس الابتدائية بمحافظة حماة . وأدّى عمله أحسن ما يكون الأداء : جدّاً وجهداً وبذلاً حتى سنة ١٩٤٢ م . وكان الشكر والثناء يتلقاهما خلال سنواته الثلاث ألسنةً ناطقةً بجميل ما صنع ، وشاهدَ عَدْلٍ على تقدير ما قام به .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم أُنشِئت دارُ المعلمين العليا بدمشق ، وافتُتح فيها فرعُ الآداب العربية ، اختير له ، بعد مسابقة أجرتها الوزارة ، عشرةٌ من نابهي المعلمين الذين عرفوا بالتفوق والكفاية في العربية وآدابها ليتابعوا الدراسة العالية ، فكان عبد الكريم أحدهم ، وقضى في الدار سنة واحدة (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ م) أوفد بعدها مع ثُلّةٍ من رفاقه الى كلية الآداب بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول آنذاك) ، والتقينا في القاهرة . آثر أن يلتحق بقسم الفلسفة ، وكنتُ أدرس في قسم اللغة العربية ، وعرفته من قرب ، فعرفت فيه الصديق الوفيّ ، الجادّ في عمله ، الرصين في سلوكه ، المتوقد الذكاء ، المرهف الحسّ ، النافذ البصيرة ، الواسع الثقافة ، المتعلق بوطنه وأمته أوثق تعلقٍ وأقواه ، المتشوف أبداً الى معالي الأمور . وقد حاز بعد ثلاث سنوات من الدراسة الجادة (١٩٤٦ م) الاجازة في الفلسفة بتقدير ممتاز ، عاد بعدها ليدرّس مواد الفلسفة في ثانوية دير الزور فثانويات حماة ، فدار المعلمات بحلب حتى عام ١٩٥٤ م .

٣

وعاش عبد الكريم همومَ جيله وقلقَه ، ولكل جيلٍ همومُه وقَلَقُه وقضاياه . وإذا كان الجيل الذي سبقنا قد شهد غدرةَ ميسلون النئيمة ، وفجَّعه عدوانُ الاستعمار الفرنسي على بلادنا ، بكل قسوته ورعونته وغطرسته ، وعبَّئه بكل القيم الوطنية والإنسانية ، فإن جيلنا قد فتح عينيه على أنباء الثورة السورية ، وشهد حَمَلات التأديب الفرنسية الشرسة ، تجوس خلال الديار ، تعيث فساداً ، وتبذر شرّاً ، لا تلتزم بشرعة ، ولا ترعوي عن ظلم وسفه ، تريد أن تقضي على الحسّ الوطني المتأجج في الصدور ، وأن تسكت صيحة الحرية ، وقد صمَّمت أن تقترف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كل حماقة لتبطش بالثورة السورية الكبرى ، وبقادتها المجاهدين الصابرين في سبيل وطنهم وأمتهم • لله فرسان الصدام الأحرار ، أتمثلهم بقاماتهم المشوقة كعوالي الرماح ، يختالون في أردية الفتوة ، قد وهبوا أنفسهم لأرضهم ووطنهم ، يقدمون ، لا يتهيبون الموت ، يذودون عن الحمى العدوّ الدخيل • كنا نلتقط فُتاتاً من أنبائهم ، وأخبار بطولاتهم وتضحياتهم ، تتساقطها خلسة ، ونحن نسترق السمع الى همس الكبار وأحاديثهم في مجالسهم • ونشأنا في جو الإرهاب والطغيان الذي فرضته فرنسا • كانت تخيم علينا الأحزان التي خلّفتها الثورة وشهداؤها ، وكان ينتفض في أعماقنا نداء الشهداء البررة أن نكون الأمناء على العقيدة ، الأوفياء لذكرى الآباء والأجداد ، نتابع الطريق لتحرير الوطن ، وتطهير الأرض من رجس المستعمر الغاصب •

وعاش جيلنا حركة عام (١٩٣٦ م) بكل ما ضمّته وانطوت عليه من أحداث ووقائع • شارك في النضال السلبي وفي التضحية أقصى المشاركة ، وتقبّل قَدَرَه بشجاعة ورضا ، ونهض بأعبائه ، لم يركن الى دَعَةٍ ، ولم يعرف هوادة في مطالبه الوطنية ، وتابع تطور ما يجري على الساحة بحيطة وحذر • كانت تلك تجربته الأولى في الحياة النضالية السياسية ، وكان في وقوف عصبة العمل القومي بمبادئها العربية ، ودعوتها القومية ، وشعارها الاخلاقي موقف المعارض للكتلة الوطنية ما فتح بصائر الجيل على أنماطٍ من التفكير السياسي والعمل القومي ، وهيأ له فرصة الاختيار • وآثر جيلنا الاختيار الصعب : التمسك بالمبادىء القومية ، ورفض المراوغات في العمل الوطني[1] •

(١) كلمتي تشير الى المبادىء القومية والشعارات الاخلاقية التي نادت بها عصبة العمل القومي ، فأنارت طريقنا ، وفطرتنا على الفكر العربي لا الاقليمي ، وطبعتنا على السلوك الملتزم =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وشهدنا نشوب ثورة فلسطين الكبرى عـام ١٩٣٦ م ، وراودتنـا الأحلام أن تنضمّ الجهودُ المشتّتة في بلاد الشام لننعم جميعاً بالاستقلال والوحدة . وكنا نمدّ الطرف وراء بلاد الشام لتشمل الوحدة المنشودة الى جانب الشام بلاد العراق ، والجزيرة العربية بأكملها ، بكل دولها وإماراتها ومشيخاتها . كان ذلك ما نرنو اليه ويطمح جيلنـا الى تحقيقه . ولكن الاستعمار الظـالم لم يلبث أن كال للجماهير العربيـة الضربات القاسية القاصمة دون رحمة ، وأقام في وجوهها المتاعب والمصاعب ، ووقعت الفئة الحاكمة أسيرة مطامعها واستسلمت ، وتتالت النكبات وتهاوت الآمال : انتزعت فرنسا المستعمرة لواء الإسكندرونة الحبيب من جسد سوريـة لتقدمه رشوةً لتركيا المغتصبة ، ونكثت عهودها التي قطعتهـا في توقيع المعاهدة ومنح الاستقلال . واستطاعت انكلترا ، بتآمرٍ لئيم ، أن تسكت الثورة الفلسطينية ، وتبـددت الأماني والرؤى امـام هجمة الاستعمار والامبريالية الشرسة . وكان الجرح الذي خلفته التجربة النضالية السياسية الأولى في جيلنا عميقاً ، بعيد الغور ، نديّ الدماء . وعانى جيلنـا مرارة الخيبة ، ولكن التجربـة القاسية أكسبته الخبرة في نضـال الاستعمار ، وعرّفته بأساليبه الملتوية الماكرة ، وهيأته ليخوض معه المعركة الحاسمة .

ليس من قصدي أن أمضي في التحدث عن هموم جيلنا ، أو اعدد صفاته ، فليس هنا مكانه ، ولستُ المهيّأ له ، ولكنها الكلمة العاجلة لا بدّ منهـا أوطّىء بها وأمهّد ، كي تتكشف لنا البواعثُ العميقة التي كانت تستأثر

= بالعقيدة . ولا صلة لها باولئك الساسة الذين تصدوا لقيادة العصبة ، لا يجاوز ايمانهم تراقيهم ، فكانوا أسوأ مثل في التقلب والمراوغة ، قد استعبدتهم أهواؤهم ، واستبدت بهم شهواتهم ، فهووا على عتبات المطامع ، يستجدون المناصب ، لا يعصمهم خلق ، ولا يزعهم مبدأ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بأبناء الجيل ، وتملك عليهم نفوسهم ، وتحفزهم للمشاركة الجادة في العمل السياسي الوطني مهما تكن مواقعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . لقد عاش جيلنا هذه التجربة السياسية ، وشهد بقلبه وجوارحه كل فصولها. كان الجيل الذي شارك في نضال المستعمر وقهره حتى تحقق الجلاء . ثم كان الجيل الذي تصدّى لمؤامرات الامبريالية وللدفاع عن مطالب الشعب في عهد الاستقلال .

٤

وخاض جيلنا معاركه مع الاستعمار ومع الفئات الحاكمة ، وعرف جيلنا الانتصار والظفر ، وعرف الهزيمة والخيبات المرة . وكانت كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ التي بيّت لها الاستعمار والصهيونية أفدح الكوارث التي نزلت بالعرب ، تجاوزت بفظاعتها وشناعتها كل ما شهده تاريخ البشرية من كوارث الشعوب . لقد خطط الاستعمار الخبيث والصهيونية الباغية لهذه الكارثة بكل تفاصيلها ، وأخرجاها هذا الاخراج ليخزيا العرب جميعاً ، وليكتبا عليهم الذلة والخنوع الى الأبد ، (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) . ولكن الجماهير العربية التي صعقتها النكبة لم تيأ س ولم تستسلم ، وعادت تتابع مسيرة النضال والتحرر ، ويأتي عام ١٩٥٤ ليسطر في أجمل صفحاته ظفر الحركة النضالية التي قادتها الجماهير العربية في سورية ، وأزاحت عن صدرها كابوس الحكم الدكتاتوري الظالم . وبدأت تجربة الحكم الشعبي تبسط سلطانها على اوسع نطاق . وخاض الأخ عبد الكريم الذي أنضجته حركة النضال العربي بلهبها المقدس لُجّة المعترك السياسي والشعبي . ولقد دخل المعترك السياسي مزوداً بتجربته العميقة الغنية التي كانت قد كشفت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

له فساد الواقع السياسي في البلاد العربية • ألم يكن قد تطوع مع المتطوعين، والتحق بجيش الانقاذ (فوج اليرموك) في أواخر عام ١٩٤٧ م ليشارك المجاهدين شرف تحرير فلسطين من الهجمة الصهيونية • وهناك في أوار المعركة ، وعلى بطاح فلسطين الحبيبة ، ادرك عبد الكريم بفطرته السليمة ، وتجربته السياسية القومية زيف كل شيء في الحياة العربيـة السياسية ، وتبينت له ، مع رفاقـه ، خيوط المؤامرة التي كـان يمسك المستعمرون بأطرافها ليحركوا الدمى العربية ، وليضللوا الجماهير العربية عن مقصدها وهدفها ، وليقيموا دولة العدوان في قلب الوطن العربي • وبدأ المنعطف الكبير في حياة عبد الكريم القومية والسياسية وعاد ، وقد رفض واقعه المريض الرفض البات ، واخذ يبشر بالحياة الجديدة ، حياة الثورة والكفاح • وانتخب عبد الكريم نائباً عن حماة في تلك الفترة السياسية الخصبة من تاريخ سورية والبلاد العربية ، والتي بلغ فيها المدّ الشعبي أوْجَه •

سَقْياً لتلك الأيام الخالـدات في تاريخ العروبـة ، أيام الشموخ والعنفوان ، أيام تأميم قناة السويس ، واندحار العدوان الثلاثي ، وتصدي سورية للتهديد الاستعماري ، وسقوط حلف بغداد ، وبطولات الثـورة الجزائرية ، معجزة القرن في التضحية والفداء • وهل ينسى عربيٌّ على مدى الدهر تلك الأيام التي تعالت فيها موجة النضـال العربي تقارع الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وامتـدت من المحيط الى الخليج لتتوجها الجماهير العربية الظافرة بقيام الوحدة العظيمة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ م •

في تلك الأيام (١٩٥٤ ــ ١٩٥٨ م) أتيح للأستاذ عبـد الكريم أن يعمل مع اخوانه في المجلس النيابي ، وعلى النطاق الشعبي ، ليمتحنوا على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أرض الواقع المبادىء والمثل التي نادوا بها ، ودافعوا عنها ، وليستبينوا الطريق الصالح لتطبيقها . وكانت التجربة عميقة غنية فتحت عيني عبد الكريم وقلبه لآفاقٍ من العمل السياسي . وهل أفضل من التمرس اليومي والمعاناة الحية معينا ومرشدا لمن رزق الفكر الحصيف ، والرؤية البصيرة ، والإخلاص لقضية قومه وبلده ؟ كان عبد الكريم يرى في السياسة ما رآه من قبله أبو زيد البلخي صناعة « من أجلّ الصناعات قدرا ، وأعلاها خطرا ، إذ كانت صناعة بها تتهيأ عمارةُ البلاد ، وحمايةُ من فيها من العباد » . وجاهد الجهاد الأكبر ليكون عمله كفاء رأيه وقوله ، ولتأتي ممارسته طبق فكره ، في وقتٍ تباعدت فيه مسافة الخلف بين القول والعمل . كان يريد للعمل السياسي أن يرتقي ليبلغ الكمال ، ليكون في مستوى مطامح الأمة وأشواقها ، وكأنما كان يردد لنفسه كلمات الفارابي : « المدينةُ التي يُقصد بالاجتماع فيها التعاونُ على الأشياء التي تُنال بها السعادةُ في الحقيقة ، هي المدينة الفاضلة . والاجتماع الذي به يُتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل . والأمةُ التي تتعاون مدنُها كلها على ما تُنال به السعادةُ هي الأمةُ الفاضلة » .

وكان الأستاذ عبد الكريم يقدّر ما للانتصارات القومية من آثار بعيدة في حفز القوى النضالية الثورية على متابعة حركة التحرر ومسيرة التقدم ، فاحتفى في مقالاته بها ، وشدّد على المعاني النضالية المستخرجة منها . تجدُ صدى ذلك في مثل مقالاته : الحادث التاريخي العظيم لا تستنفد مرحلة تاريخية كل مضمونه ، ولا يحيط جيلٌ بكل معانيه ، يعني الجلاء عن سورية . الوحدة اول تفكيك جدّي لاستراتيجية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستعمار ، يعني الوحدة بين مصر وسورية . من هذه الوحدة تبدأ حرية العرب ، .....

وبقـدر ما كان يستفزّه الفرحُ لانتصارات قومـه ، وانتصارات الانسان في ميـادين التحرر والتقدم ، كانت تؤرقـه وتستثير همومـه الامبرياليةُ المتربصة ، والصهيونيةُ الماكرة بمخططاتها التآمريـة على الوطن العربي . كان يتخوّفُ الردة والنكسة والتخـريب والانزلاق في طريق الكوارث ودروب النكبات . ولطالما حذّر وأنذر .

والجميلُ الجميلُ أن أذكر هنا أن الأستاذ عبد الكريم الذي أراد أن يرتفع بالعمل السياسي لبلده ، قد ارتفع حقاً بصناعة الكتابة السياسية ، فاذا الناس يقرؤون أسلوباً رفيعاً من الأدب ، يعالج فيه صاحبه موضوعات انسياسة ، ويبسط فيه أنظاره وآراءه ، وقد طاع له البيان ، وواته ملكة التعبير الجميل[1] .

٥

عاد عبد الكريم بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية ليدرّس في دار المعلمين بدمشق عاما (١٩٥٨ ــ ١٩٥٩ م) ، ثم اختير مديراً لدار الكتب الظاهرية . وقـد حُبّب اليـه العمل في الظاهرية ، تحفّ به الكتب والمخطوطات ، فأنِس به وسكن اليه ، وبقي في الظاهرية حتى عام ١٩٦٣ . وأمكنته الفرصـة ، وهو المولع بالقراءة ، ليُرْوِيَ ظمـأه ، ويشبع نَهْمَتَه ، وأسعفه الوقتُ ليطالع فيطيل المطالعة ، فما تراه إلا والكتابُ

(١) تجد أبرز مقـالات الاستاذ عبد الكريم زهور السياسية القوميـة في صحيفة البعث (اعوام : ١٩٥٦ ــ ١٩٥٨ م) ، الأعداد : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٦ ــ ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ــ ١٠٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جليسه . ويحضرني هنا التشبيه الساذج لأعرابيّ وصف نفسه فقال : « كنتُ كالرملةِ لا يقطر عليها شيءٌ إلا شربته » . وقد تغريه المطالعةُ أحياناً فيُجري القلم في صفة جملةٍ من الكتب مما تصدره المطابع يعرّف بها القراء ، فاذا انت تقرأ له في مجلة المجمع كلماتٍ يتناول فيها أمثال كتب : أنا والنثر للأستاذ شفيق جبري ، وتطور الغزل للدكتور شكري فيصل ، ومقام العقل عند العرب لقدري حافظ طوقان ، والعرب والعروبة لمحمد عزة دروزة ، ودراسات في العربية وتاريخها لمحمد خضر حسين ، والقومية العربية للدكتور حازم نسيبه ، وطبقات الصوفية للسلمي ، ومناهج البحث في علم النفس ، الى أمثال لها وأشباه . ويدهشك التنوعُ في مطالعاته ، والاحاطةُ في ثقافته واهتماماته ، وقدرته في النفاذ الى جوهر موضوع كتابه يعرضه في كلمات موجزات . يطالع كتاباً عنوانه : الدكتور صلاح الدين القاسمي ــ آثاره ، ويقع فيه على مقالته التي نشرها في المقتبس يحذّر فيها من خطر الصهيونية ، وينبّه الى مكايدها ومساربها الخفية في المكر ، فيعلق على ذلك بقوله : « هذه الكلمات التي تخطّت التاريخ ما يقرب من اربعين سنة تدلل على أن العرب لم يُؤْتَوْا من سوءٍ في الفهم ، وانما من سوءٍ في الظروف ، وسوءٍ في القيادة والسياسة العملية ، وتدلّل أيضاً على الألمعية المبكرة لصلاح الدين القاسمي .... »[1] . وتوثقت صلة الأستاذ عبد الكريم بالمجمع وأعضائه وأعماله خلال هذه الفترة ، التي لعله ما زال يراها أجمل الفترات في حياته ، يحتفظ لها في نفسه بأحلى الذكريات وأخصبها .

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، ٣٥ : ٤٩٥ ــ ٥٠١ ، ٣٦ : ١٤٦ ــ ١٥٠ ، ٣٧ : ١٣٩ ــ ١٤٠ ، ٤٩٨ ــ ٥٠١ ، ٣٩ : ١٣٨ ــ ١٤٤ ، ٤٩٤ ــ ٥٠٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وضمّ الأستاذ عبد الكريم الى عمله في الظاهرية التدريسَ في قسم الفلسفة بكلية الآداب • كان يُلقي على طلابه في الكلية محاضراتٍ في علم النفس ، وكان أبرز ما عُني به التحدث عن السلوكية • وقد ترك فيها أمالي لطلابه ، تقرؤها فيطالعك في سطورها عمقُ الفكرة واشراقُ الديباجة تلاقيا أحسن تلاقٍ ، مما يُنْصح عن تمكّن الباحث من موضوعه ومن لغته تمكّناً يتيح له أن يعرضَ قضايا السلوكية ، ويطرح مشكلاتها على هذا النحو من البيان الرائع ، يتغلغل وراء أدقّ الفكر وأغمضها ، ليبرزها بيّنةً واضحةً قريبة المتناول ، تختال في ثوبها القشيب • إنها موهبة التعبير الجميل قد أسلست له قيادها ، طيعةً لا تتأبى عليه في مجال • ولقد استجابت له في علم النفس الاستجابة التي ارتضاها ورضي عنها • هل أسمحُ لنفسي بعرض أول نموذج صادفتُه وأنا أقلب صفحات الأمالي بين يديّ لأختار كلمة منها • يقول : « أن تكون السلوكيةُ حركةً امريكية ، ذلك ما يؤكده ، اذا عدمنا أدلة أخرى ، الانتشارُ الواسعُ الذي حصلت عليه في الولايات المتحدة ،.... والاخفاقُ الذي أوشك ان يكون تاماً ، والذي مُنيت به في اوربا • فهناك لقيت القبول لما تؤكد ، وهنا لقيت الإعراض لما تنفي •

قد يكون سببُ الحماسة التي أثارتها في امريكا أن شعبها شعبٌ من غير تراث ، ولذلك تحمس لسيكولوجيا تدّعي أنها من نوع امريكي ، وأنها صناعة امريكية خالصة • ولكن نجاح السلوكية يرجع إلى أسباب أكثر عمقا • فهي ، لأنها حقاً نتاج امريكي ، ولأنها صدرت عن العقلية الامريكية ، كانت قادرةً على قضاء حاجاتٍ قائمةٍ هناك • فالشعب الامريكي ، كما هو معلوم ، شعبٌ مهندسين وميكانيكيين ورجال أعمال،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يحكمون على مذهب فكري ، كما يحكمون على آلة ، بتطبيقاته في الحياة والأعمال ، بمنفعته وبمردوده ، ولذلك تجاوبت السلوكية ، سيكولوجيا الموضوع والحوادث القابلة للملاحظة والتسجيل والقيـاس والتحقيق ، سيكولوجيا التنبؤ التي توحد بين الفكر والسلوك ، وتدرس الانسان الحي في تلاؤمه مع عالم الأشياء المألوفة والأعمال وكأنه آلة من الآلات ، تجاوبت تماماً مع ما يتطلبه المزاج الامريكي ... » ، ويمتـدُّ نَفَسُ القول على هذا النمط من التعبير ، يرضيك ويعجبك بقوته وجودة حبكه .

٦

وقعت الواقعة الفاجعة في الثامن والعشرين من ايلول ١٩٦١ ، يوم استطاعت الامبريالية الامريكية الغادرة وحلفاؤها أن يفصموا الوحـدة الرائدة ، وتفرقت بالقوميين العرب المؤمنين بوحدة أمتهم السبل ، وتشعبت بهم المنازع . واذا كان لي أن أصف وقع النازلة في النفوس ، ومشـاعر الأسى والقلق واليأس التي انتابت القلوب ، واضطربت بها الجوانح فاني أجتزىء بكلماتٍ قليلة من مقال للأخ عبـد الكريم تصف حقيقة موقف جيل القوميين العرب الذين صدمتهم الردة فأذهلتهم ، وهي ، الى ذلك ، نموذج لأسلوب الكتابة السياسية الذي اصطنعه عبـد الكريم وآثره ، يروعكم باشراقه ، ووشيه ، وسلاسته . يقول (وعنوان مقاله : معركتان ، والزمن : اول ايلول ١٩٦٢) : (حين أوقظتُ بغير رفق ، وقيل لي بلهجة عجلة ، فرحة مذعورة : « قم ، اسمع ، ثورة في العراق ، انقلاب ... هجموا على القصر الملكي ... » ارتجفتُ مجفلا ، وهرعتُ ألقي السمع ، ونزت دموعٌ عصيّةٌ : « دولتنا ذات الاربعين مليوناً ولدت ... أحلام الطفولة والفتوة المهاتين المعذبتين بوجود الغاصب ، رؤى الشباب والكهولة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والافكار والنظريات ، والقلق على المصير ، والتصميم .. حنين أمةٍ ألف عام ، أمة مقطعة الأوصال ، منتهكة الحمى ، مسحوقة الوجود ، تتحقق... تتحقق في هذه اللحظات ، وفي بغداد » . وضممتُ ولدي بنظرة وَجْد ، وتردد هَمْسٌ في النفس : « هذا ما فعله جيلنا ، استخرج أمتنا من تحت الركام ، ووضعها في تيـار الزمان ... وجيلكم سيعرج بهـا ، سيبدع حضارتها » . ذلك كان يوم ١٤ تموز ، يوم بلغت موجةُ الثورة العربية في المشرق ذروتها ، ومدُّها مداه . لم يعد في القلب المكتهل مكان للعاطفة ، وليس مطرحها على كل حال في مقال سياسي ، ولكنها ذكريات تلحُّ عليَّ ولا أستطيع لها إبعاداً ، وأنا أعيش في هذا الجو الخانق من التآمر المستهتر على وجود أمة ، على مصير أمة ، ومن التمزيق الحاقد لحقيقة هذه الأمة . لقد انتقموا منا شرَّ انتقام .... « تريدون أيها العرب أن تكون لكم دولة كبرى ؟ سنذري حطام هذه الدولة في الرياح ، وسنجعل من دولكم الصغيرة التافهة التي لم تقنعوا بها حطاماً أيضا ... وسنردكم الى أبأس مما كنتم فيه ، وسنذلكم في الأرض حتى ما ينبض منكم عرق بشرف ، ولا يورق في خيالكم أملٌ بنجاة » . ولكن ، من هم اولئك الذين انتقموا منا ، من هذه الأمة العربية ؟....) . وبمثل هذه الكلمات القاسية تصكُّ الأسماع ، تساقط كأنها الحجارة ، مضى عبد الكريم يصف معركة الانتقام من الأمة العربية ، معركة التنكيل بالقومية العربيـة ، تقودها الولايات المتحـدة الامريكية والصهيونية وحلفاؤهما من أعداء العروبة ، يحملون أحقـادهم المؤرَّثة ، يتميزون غيظاً ، قد بدت البغضاءُ مـن أفواههم ، وما تخفي صدورهم اكبـر ، انقضُّوا بكل مكرهم وغَدْرهم ، وبكل ضراوتهم وفتكهم ليمزقوا شمل الأمة العربية ، ويطووا صفحتها الى الأبد . أتراه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان ينظر بعين الغيب حين يقول في ختام مقاله الدامي ، وهو يصف آخر طرف من أطراف خطة التدمير الكبرى التي حاكتها الامبريالية لتحطيم الأمة العربية ، بلهجة كلها اليأس والتشاؤم : « إن هذه المعركة ، معركة الانتقام من الامة العربية ، معركة التنكيل بالقومية العربية التي ابتدأت ... هي جزء من خطة كبرى اخذت تبرز أطراف" منها هنا وهناك .... وطرف" آخر يطرّق له كي يبرز وهو أن يعلن عبد الناصر ، أو أي ناصر آخر يظهر في مصر ، اعتزال مصر مشاكل العرب ، واكتفاءها بنفسها ومصريتها » . لقد نجحت الامبريالية الامريكية والصهيونية حقاً في تمزيق أوصال الأمة العربية ، وطالعتنا مأساةُ عزل مصر عن العرب بوجهها القبيح في يوم نحس مستمر . وها نحن أولاء نشهد الدرك الذي تردّى اليه حاكم مصر ، سعى في الأرض ليفسد فيها ، قد زُين له سوء عمله فرآه حسنا .

كان عبد الكريم يـدرك حق الادراك دور النظريـة في الحركات السياسية . انها وحدها التي تجنبها المغامرة والردة والتشتت . وكـان يأسى أبلغ الأسى أن لم يكن للفكر أثره الفعّال في السياسة العربيـة . كان يتمنى « أن ينطلق العمل السياسي من نظرية كاملة واضحة ، أو شبه نظرية ، وأن تكون هذه النظرية مغروزة الجذور عميقاً في الواقع ، تعبر عن قواه التي تدبُّ في أحشائه ، وأن تظلّ دائماً في تفاعلٍ مع الواقع ، وأن يولّد هذا التفاعلُ الخطط السياسية المرنة حقا ، ولكن الواضحـة وغير المائعة ، وأن تُحدد هذه الخطط الأهداف القريبة مع التأكيد على صفتها الموقتة ، لتكون درجات في السلم الصاعد دائماً نحو الأهـداف النهائية ، وأن تعرف هذه الخطط القوى المتصارعـة والمترددة ، وتقلب القوى حسب تقدم الكفاح او انكفائه ، وأن تثقف قوى الشعب التقدمية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باستمرار ، وتنظمها بحزم » . ولكنه كان يصطدم دائماً بغياب النظرية في واقع السياسة العربية ، ويتساءل تساؤل الحزين : « لماذا كانت العاطفية والعفوية والارتجال والانتهاز هي الصفات التي يمكن ان توصف بها الحركات السياسية السليمة ـ اقول : السليمة ـ في المشرق العربي ؟ ولماذا كان العقل والارادة والتخطيط والثورة في عالم السياسة عندنا غرائب كغرائب الابل مبرحة ضرباً مطّردة ؟... هذه هي الحقيقة ، انها علقم ، ولكنها يجب ألا تلفظ ، يجب أن تتذوق حتى الثمالة ، ثم يعبر عنها بكل أساريرها القبيحة ، لتكون تجربة مثقفة هادية لهذه الأمة .... » .

لم تسكت النازلةُ عبد الكريم ، ولم يُلْجمه المصاب، فكتب مقالاتٍ ينصح فيها عن موقفه ، وينذر بالمخاطر التي تتردّى اليها سياسةُ الانفصال، تجدها منثورة في مجلة المعرفة ، وصحيفة البعث ، وكتاب : في الفكر السياسي[1] .

٧

وسُمّي الأستاذ عبد الكريم وزيراً للاقتصاد ، في أول وزارة ألّفتها ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ . ثم آثر التفرغ للعمل العلمي ، وقام بإلقاء محاضرات في قسم الفلسفة بكلية الآداب لست سنوات (١٩٦٩ـ١٩٧٥م). وكانت محاضراته هذه المرة في الفلسفة اليونانية ، وفي التصوف الاسلامي. وعاش عبد الكريم مع المتصوفين الكبار من أمثال الحلاج وابن عربي ، واستهوته الحياة الصوفية ، وسِيَرُ المتصوفة ، وسحرته أقوالهم ورموزهم . كان يرتدّ بالتصوف الى منابعه الأولى ، ويقف الوقفات الطوال.

(١) مجلة المعرفة ـ عدد حزيران ١٩٦٢ ، صحيفة البعث (عام ١٩٦٢ م) ، الاعداد : ٣ـ١٢ . في الفكر السياسي (دار دمشق) ، الجزء الأول ـ ١٩٦٣ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يتقصّى حركة الزهد العربية الأولى ، ويلابس الزهاد الكبار كالحسن البصري ومحمد بن واسع ، ويستنطق أخبارهم • وراح يغري طلابه بالاطلاع على كتب القوم ، ويتأنسهم بقراءة الرسالة القشيرية وما ينحو منحاها • كان يختار لهم النصوص ويقرئهم ويفسر لهم ، يمضي بهم رويدا حتى يتألفهم ، في قراءة متأنية ناقدة ، تروضهم على فهم النص وتذوقه ، وتبين معانيه وما تومىء اليه رموزه ، مما يدنو بهم للكشف عن القيم الانسانية المستسرّة فيه • وكان لا يخليهم ، في أثناء ذلك من دراسة النص على نحو أدبي تدلّهم على مواطن الجمال ، وتنمّي فيهم الحسّ الفني • وسحره الأدبُ الصوفي حقا ، كان يرى فيه متعة فنية ، وتجربة روحية خصبة تغني قارئها ، وتطلُّ به على آفاق من الوجدان والتذوق والسلوك والمجاهدة رحاب • وأخذ يبشّر ، استجابة لهذا التعلق ، بأن يُقدَّم الى الطلاب مختارات" من الأدب الصوفي الى جانب ما اعتدنا أن نقدمه لهم من مأثور الشعر ورائع النثر • واذا كانت دراسات الاستاذ عبد الكريم في المتصوفة والتصوف تنطوي على المعرفة التي تخاطب العقل فانها تمتلك ، الى ذلك ، القدرة الموحية بالتجربة الروحية العميقة التي عاشها المتصوفة ، والتصوير المؤذن بتذوق معانيهم واشاراتهم ورموزهم •

ولقد أتاحت له هذه المعاناةُ الحيةُ مع المتصوفة واقوالهم ورموزهم أن يعود الى قراءة الشعر العربي ، والشعر الجاهلي خاصة ، بتجربة روحية جديدة ، ونظرة تستشف الرموز التي تتراءى من خلال الألفاظ والصور والمعاني • وها هو ذا يتناول موضوعات وقضايا في الشعر يعالجها على نحوٍ جديد مبتكر ، لعله لم يُسْبق اليه • يقف بك أمام صورة النخلة وصورة الليل يستخرج دلالتهما الرمزية في الشعر الجاهلي • وتستأثر باهتمامه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أوصاف الحية وما أضفاه عليها الشعراء ، يستقريها بتذوقٍ جديد يتعرف من ورائه الى ما أومأ اليه الشعراءُ الجاهليون من رمز • ونال الماءُ وقيمته الرمزية في الشعر الجاهلي من جهده ومن اهتمامه النصيب الأوفى • ومن دراساته النفسية الشائقة تلك الدراسات التي عرض فيها لعروة بن الورد ولثلاثة من الشعراء الصعاليك : الشنفرى وتأبط شرا والسليك بن السلكة• وكانت دراساته الصوفية سبيله لدراسةٍ طريفة موضوعها : صورة الرسول العربي في عقـول المسلمين • إني كلمـا حاولت أن أفسر سر ضن الأخ عبد الكريم وإقلاله في نشر دراساته ، تراءت لي حكمةُ الصوفي الكبير ابن عطاء الله السكندري : « ادفن وجودك في أرض الخمول ، فما نبت مما لم يدفن لا يتمُّ نتاجه » •

يتسم كلُّ ما نشره الأستاذ عبـد الكريم بالتعمق في الدراسـة ، والاستقصاء في تتبع الفكرة ، والوضوح في العرض ، والاشراق والجزالة في التعبير • ولعل في مقالاته الأخيرة التي سطرها في عرض (أعمال سامي الدروبي في ميدان علم النفس) وفي تحليلها نموذجاً معبراً عن الطريقـة التي يصطفيها في كتابته : يتعمق الفكرة ، ويستقصي جوانبهـا متتبعاً ، ويناقش وينقد مقوما • يطل عليك وانت تقرؤه في بزة بحاث مجادل ، ونظار صبور ، وناقدٍ لا يتعبه التنقير والتدقيق ، وكأن لسان حاله : « ما يكتب دون جهد ، يقرأ عادة دون استمتاع » • وهو الى ذلك لا تشغله معانيه عن العناية بأسلوبه ، بل لعله لا يرى لمعانيه أن تبرز الا مترديةً هـذا الثوب المتنوّق فيه • ثم اني لأستشفُّ في مقالاته هذه معنى أخلاقياً تنطوي عليه• أليس فيها الوفاء كل الوفاء لصديق عزيز غادرنا أحبَّ ما كان الينا[1] •

(١) مجلة المعرفة (عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ م) ، الأعداد : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨

أيها السادة

اننا ، ونحن نحتفي باستقبال الزميل الأستاذ عبد الكريم ، لا نملك إلا ان نذكر سلفه الراحل أستاذنا الدكتور جميل صليبا بأحسن ما يُذكر به فقيد عزيز ، ونشيد بأياديه البيض على العربية وعلى الناشئة . لقد أسعدني الحظُّ فكنتُ بين تلاميذه عام (١٩٤٠ ــ ١٩٤١ م) في تجهيز دمشق الأولى ، حين آثر ، وهو المثقل بالأعباء في رئاسة التعليم الثانوي ، أن يقوم بتدريس المنطق في صف الرياضيات (البكالوريا الثانية) . كنا ننتظر بشوق وبهجة ساعتي المنطق ، وقد اختار وقت تدريسهما صباح السبت من كل اسبوع . وكنا نعجب لدقته البالغة ، يبدأ درسه في الثامنة صباحاً لا يتأخر دقيقة واحدة ، وكان درسه شائقاً ، جم الفوائد ، ولاأنسى صوته المحبَّب يتسلسل بكلماته الفصيحة المبينة في رفق وتؤدة تسلسل الماء العذب ، وتُسْلمه الفكرة الى الفكرة في ربط محكم ، حتى ما تكاد تندُّ عنه واحدة تتصل بموضوعه . كان يمضي في حديثه ونفوسنا متعلقة به تتابعه حتى ينهي درسه ، وقد استوفى كل عناصر بحثه ، وكأنه يقرأ خواطرنا وما يعنُّ لنا من فِكَر ، فما تكاد تخطر لنا فكرة نسأل عنها بعد عرضه الممتع الواضح المحيط . لقد كان معلماً مربياً حقا ، وكان له قدرة لا تحدُّ في جذب طلابه وسامعيه والاستئثار بكل انتباههم . واستطاع في كل الميادين التي عمل فيها أن يكون المجلي المبرز السبَّاق . انضمَّ الى حلبة الخالدين ، وآثر المجمع بحبه ، وكان له في خدمة العربية ، والإبانة عن أسرارها ودقائقها والمنافحة عنها القِدْحُ المعلَّى . لقد وقف في الساحة مع زملائه ورفاقه المجمعيين ، يحمل الراية ، يتقدم بها مظفرا موفقا اربعاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثلاثين سنة ونيفاً (آذار ١٩٤٢ ــ تشرين الأول ١٩٧٦ م) حتى وافـاه الأجل المحتوم ، فتلقّى منه الراية الأستاذ عبد الكريم باليمين ليمضي على انسنن القاصد ، يكمل البناء الذي أرسى السابقون دعائمه ، يشارك في حمل الرسالة التي تسلمناها وائتمنا عليها • فلئن عظُم رُزْؤُنا بفقيدنا الغالي ، إن لنـا في خلفه الأستاذ عبد الكريم الأمل الأخضر والرجـاء الخصيب :

إذا مات منـا سيّدٌ قام بعـده نظيرٌ له يُغْني غَناه ويَخْلُفُ

ايها الزميل العزيز

هنيئاً لك مكانتك بيننا في رحاب المجمع ، تقف معنا بعزيمتك وهمتك ، تذود عن العربية المبينة في هذه المعركة الضارية التي يشنها علينا من كـل حَدَبٍ أعداء أمتنا الحاقدون ، يريدونها المعركـة الحاطمة ، لا تُبقي ولا تذر ، يدمّرون فيها كل شيء • لقد عبثوا بتاريخنا ، قطّعوا أرحامنا الواشجة ، باعدوا بين أنسابنا المتشابكة ، مزّقوا وطننا ، سخروا من قيمنا ومثلنا ، أنشبوا فينا مخالبهم دون رحمة ، واستهانوا بنا بين الأمم • ثـم زادوا فانهالوا على هذه اللغة الشريفة الكريمة ، الحِصْنِ الذي نئل اليه ونلوذ به ، في حفظ وحدتنا ، وضمّ شتاتنا ، فهاجموها يريدون أن يدكّوا بنيانها من القواعد ، قد أرّقهم وأقضّ مضاجعهم أن تظلّ ، على كثـرة ما كادوا لها ودبّروا ، ثابتةً شامخة كالطود ، نعتصم بها ، نتفيّأ ظلالها ، فتضافروا جميعُهم ، جميع قوى الشرّ ، وأجلبوا جميعا وانقضّوا يريدون استئصال العربية من الجذور • قـد افتنّوا في ذلك وأعـدوا له شتى الأساليب الماكرة الخادعة • وأقسى ما في المعركة وأصعبه أن انضمّ الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اعدائها الضالّون والمضللون من أبنائها ، وما أكثرهم ! قد زُين لهم الريّ بماءٍ آجن .

كيف يتأتى لك أن تفسّر هذا الإعراض الأعمى ، وهذا العزوف في الجامعات العربية عن اصطناع العربية لغة علم وحضارة ، يؤثرون عليها اللغات الأجنبية . أنَسُوا أن العربية كانت لغة العلم والحضارة لجميع الشعوب التي سكنت ما بين البرانس الى أسوار الصين ، كتبوا بها مؤلفاتهم ، وتخيروها لسان محاوراتهم ومناقشاتهم وندواتهم العلمية ، بله عباداتهم ، مئات السنين ، لا يرتضون بها بديلا ؟

كيف تتقبل ، والعربية واحدة من اللغات الست التي يُسمح بالتحدث بها في المحافل الدولية ، أن يتخلّى عنها أبناؤها ليرطنوا بلغات أجنبية ، تقرباً الى أعدائهم وزلفى ، أو جهلاً بمنزلة لغتهم العظيمة بين اللغات . يا لله ! لقد أسفّوا حين طار الناس ، ورضوا بالحقير حين أبى غيرهم إلا صعوداً في المعالي .

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم لبئست الخلتان : الجهلُ والجبنُ

لن أمضي في تعداد وجوه المأساة ! ولكنها نفثةٌ مصدور في هذه المحنة الكبرى التي يمرّ بها شعبنا العربي الأصيل العريق ، لن تزيده إلا استبصاراً في أمره ، واستمساكاً بحقه ، وثباتا على مبادئه ، وصبرا في نضاله ، واندفاعاً في تضحيته حتى يتحقق النصر ، ويتنفس الصبح ، يشرقُ بنوره على الأرض العربية الموحدة الحرة لا غاصب فيها ولا دخيل . أما التجربة المرة التي تمتحن بها العربية ، الغريبة بين أهلها فلن يطول ليلها . ليُطمئنّنا الأملُ بأن الظلمة منجلية ، وأن اشراقة الفجر قريب ، وأن العربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ستعود سيرتها الأولى ، تحتل مكانتها السامية التي بلغتهـا في أمسها ، (وما ذلك على الله بعزيز) .

٩

أليس من الوفاء أن نذكر بالتجلّة والتقدير اولئك الفرسان الرواد الاوائل ، دعاهم صوتُ العربية الحبيب الى نفوسهم فلبوه ، ونهضـوا تظللهم الرايةُ العربية تخفق في سماء دمشق بعد طول غياب ، ليرسوا لهذا المجمع الخالد قواعده . هاهم أولاء أراهم يخطرون فرحين مستبشرين ، على وجوههم بسمة ، وفي قلوبهم تطلّعٌ وتشوف ، قد تلببوا واستلأموا لتعريب الألسنة والدولة ، وما أصعبها مهمة ، ولإحياء التراث واللغة ، وقد طال عليهما العهد في زوايا الاهمال والنسيان . سقى اللهُ تلك الايام ! كانت أيام العنفوان والشموخ والعزة القومية ، وكانوا ثمانية فرسـان غمرتهم الحماسةُ والايمان ، فاضطلعوا بأعباء العمل العظيم الشـاق ، وما أشقّ العمل في مرحلة التأسيس ، لم ينوا ولم يفتروا ، ولم تكرثهـم العوائق والمثبطات ، وما اكثرها . ومضوا على صراط مستقيم ، ينظرون في إصلاح اللغة المتداولة ، ووضع ألفاظ للمستحدثات العصرية ، ويعملون على نشر آداب العربية واحياء مخطوطاتها ، وتعريب كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية ، يضم الى ذلك التأليف وتشجيعه ، والعناية بالآثار وجمعها خشية أن تنالها يد العفاء والبلى . ثم أصدروا مجلة المجمع يتابعون على صفحاتها الرسالة التي نيطت بهم . ولقد كان المجمعيون ، أغدق الله عليهم صَوْب رضوانه ، على بينة من أمرهم في عملهم ، يتأتون للامور من وجوهها ، لا تغيب عنهم صغيرة تفسد عليهم ما أخذوا بـه . انهم دعاة الإحياء والتجديد ، دعـاة البعث والمعـاصرة ، يتشوفون الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المستقبل الوضيء دون أن يفقدوا الهوية العربية ، يريدون ان يقيموا الجسر الذي نعبر عليه حتى لا تكون هوة فاصلة بين الغابر والحاضر • هل تريد رمزاً يلخص لك طريقهم ؟ لقد اختاروا ان يجتمعوا في رحاب العادلية والظاهرية ، في هذه البقعة العزيزة الغالية ، تنطوي حناياها على تاريخ دمشق ومجد العرب ، تكر علينا أحاديثَ الماضي ، تقص علينا ما قامت به دمشق الخالدة ، وما صنعته جماهيرها ، جماهير الشام ، في ظلال نورالدين الشهيد ، وصلاح الدين الناصر ، والعادل ، والظاهر ، نهضوا في الأزمات الشداد التي تصدت فيها دمشق العروبة لمقاومة غزو أوربا ، يذودون عن الديار ، ويشيدون دور العلم ، ويكرمون العلماء ، ويصنعون المكرمات • اني تاريخ حافل يتراءى لك ، اينما تلفت لا تقع إلا على أثر يواجهك ، يروي لك أحاديث تلو احاديث ، وقصصا اثر قصص ، فانت تتنقل بين المآثر والمكارم • ولكن المجمعيين ، حرصوا الحرص كله ان يبقى المجمع وثيق الصلة بالجامعة التي تمثل كل الطموح وكل التطلع في ارساء النهضة على قواعد من العلم الحديث والثقافة المعاصرة ، وتعاون المجمع والجامعة معاً على اداء الرسالة : في احياء التراث وخدمة اللغة ، وفي ترجمة العلوم الحديثة ، وفي اصطناع المصطلح • فكانت الجامعة بهمة اساتذتها الاوائل الجامعة العربية الاولى التي أعادت للغة العربية رونقها ومكانتها ، واصطنعتها لغة علم وحضارة ، لم تشح بوجهها عنها ، على كثرة ما عانته في سبيل ذلك من مقاومة الاستعمار وتعنته • وكان مجمعنا بهمة مؤسسيه الأوائل اول المجامع في البلاد العربية ، رفعوا مناره ليكون حافظاً للعربية ورِدْءاً • ولقد تسلطت فكرة ارتباط المجمع بالجامعة تسلطا دعا الى ضم الجامعة والمجمع معا فترة من الزمن حرصاً على ابقاء هذا المعنى (الاحياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمعاصرة) حيا في النفوس ، وحماية له أن يُطمس او يتفلت على مـر الأيام[1] . وان هذه الصلة الوثيقة التي قامت آنذاك بين المجمع والجامعة عن وعي وارادة يجب ان تظل وطيدة ، حية ، ليتحقق لنا ما نريد للغتنا مـن مواكبة العلم ومعاصرة الحياة المتجددة . ورمز ثان ينبىء بهذا النهج الواعي الفطن في الاحياء ، الذي سلكه المجمعيون ، يتراءى لك في شعار المجمع. لقد اختاروا شجرة الزيتون رمزاً لمجمعنا الخالد . ألم تكن هذه الشجرة المباركة رمز بلاد الشام كما كانت النخلة رمز بلاد العراق . ما أجمـل ما اختاروا . لقد أحيوا هذا الرمز الرامز يصل الحاضر بالماضي ، وجسّدوا كلمة الفرزدق شاعر العرب يخاطب بني امية :

فنصحي لكم قاد الهوى من بلاده الى منبت الزيتون من منبت النخلِ

تلك هي سيرة الرواد المجمعيين ، طيب الله ثراهم ، سنّوا لنا طريقـاً جَدَداً في إحياء التراث ، واصطناع العربية ، يحفظ علينا عروبتنا وتاريخنا وهويتنا ، ونمضي من بعدُ ، بقدم ثابتة ، في ثقة وطمأنينة ، الى المستقبل الذي تتشوف له ، نخوضُ اليه عباب العلم والتقانة (التكنولوجيا) ، شعارنا التقدم ، وهمنا وغايتنا اللحاق بالركب العالمي ، نسلك اليـه كل سبيل ، لنشارك في صنع الحضـارة الإنسانية ، ونستعيد مكانتنا تحت الشمس ، فعل الجدود الأكرمين . فلنقتدِ بفعالهم ،ولْنقفُ على آثارهم ، بالعمل الدائب لا يفتر ، والعزيمة الصادقة ، جمعاً بين البعث والمعاصرة ، بين

---

(١) تأسست الجامعة السورية مؤلفة من المجمع العلمي العربي ومعهدي الطب والحقوق (١٥ حزيران ١٩٢٣) ثم فصل المجمع لتكون له شخصيته المعنوية على المثال الذي جرت عليه معظم مجامع العالم (١٥ آذار ١٩٢٦) ـ انظر : اعمال المجمع العلمي العربي في دمشق عن سنواته (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) : ٣١ ، والتقرير الرابع بأعمال المجمع العلمي العربي : ٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإحياء والإبداع ، بين التراث وفتوحات العلم الحديث • ولتتألق العربية المبينة وضاءة ، تبسط نورها في الخافقين •

أي عواطف متداخلة ، وأي نوازع مشتبكة ، تتنازع نفسي ، تنتابني في مقامي هذا الذي أقوم به ، تطلّ عليّ رؤى المجد وطيوف العـزّ • أتراني أنسب الى التكرار والترداد وأنا أشيد بمآثر قومي العظام ، طلعوا على الدنيا شموساً مشرقات ، « سكنوا كل ذروة من أشمّ » فأفاضـوا الخير ، وعلّموا المحبة ، وعاشوا التسامح ورفعوا بنيان الحضارة العربية الزاهرة سامقاً شامخاً يتلألأ ضياؤه ، فأراحت في ظلاله شعوب وشعوب • إنها الحضارة الخيرة السخية السمحة تسع الناس جميعا ، لم تحجب نورها عن أحد ، ولا بخلت بعطاء ، ولم تحتكر معرفة ، ولم تستغل ، ولم تحتجن • هي للإنسان أنّى كان ، ينهل منها كل وارد بقدر ما يريد . حضارة غايتها الانسان ، وشعارها ودثارها العمل للرقي بقيمه ومُثُله • أتراني أنسب الى التعصب حين تفتنني مآثر قومي الخالدات ، وتبهرني صنائعهم ، وتسلأ صدري فضائلهم ؟ لقد ساكنت قلبي هذه الصور الرائعات من البطولات والمحامد والمساعي ، شغفتني حباً ، وهي تتراءى أبداً حية ناضرة أمام عيني، أتمثلها ، تطالعني بمحياها الجميل ، تبعث في نفسي الآمـال المورقات والتفاؤل والنشوة ، وتبشرني بالمستقبل المشرق كلما ادلهمت الظلمات أمام قومي : ظلمات الفرقة والخصام والتخلف ، قد أغرقهم فيهـا الاستعمار الخبيث والامبريالية الغادرة والصهيونية الماكرة ، تآمرت جميعا على قومي، جثمت على صـدورهم ، لتحول بينهم وبين الوحدة والحرية والسـلام والتقدم والازدهار ، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتم نوره)، ويتم نعمته . كتب الله لقومي السلامة من شرورهم، والنجاة من حبائلهم، ومكّن لقومي في الأرض .

أتراني أنسب الى العصبية حين أجدني مفتوناً مأخوذاً بلسان قومي المعرب المبين، أوثره، أدين بحبه، قد توثقت ألفتي له، وتبينت لي أطراف من أسراره وسحره، فراعني وتسلك علي نفسي . وضننت به على اللحن والخطأ، ووددت لو أوتيت بيان شاعر، وبلاغة كاتب وخطيب لأكشف عن مزاياه، وأقف قلمي على التغني بمحاسنه واعجـازه . اني لأتطلّ الى الآفاق أنتظر اشراقة الفجر، يوم تعمّ العربية المبينة وتأخذ مداها . وان مع اليوم غدا، وان لنا الغد المشرق ان شاء الله . وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خطاب الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

في حفل استقباله

الحمد لله والصلاة على رسول الله • وبعد

أيها السيد الرئيس والاساتذة أعضاء المجمع والسادة الحضور •

لئن كان حقاً علي أن تكون فاتحة كلامي عرفاناً بفضل الاساتذة أعضاء المجمع علي ، أن فتحوا لي أبواب هذا الحرم المقدس للغة التنزيل؛ انه حق علي أيضا أن أقدم بين يدي اعترافاً لا يرجع الى التواضع ، مجلوباً أو غير مجلوب ، بل الى الصدق أمام النفس قبل أن يكون أمام الآخرين•

أقول : لقد فوجئت حين عرض علي بعض الاصدقاء أن أوافق على ترشيحي لعضوية مجمع اللغة العربية ، إذ لم يقم في نفسي قبلها مرة أن أطمح ، بمحصولي القليل من المعرفة والاقل من علوم اللغة العربيّة ، لمثل هذا المقام ، ولاسيما اذا كان من استوى عليه قبلي بجدارة رجلاً أوتي الجزالة في العقل والجسم وفي العلم والخلق والبيان • فكان ردي الاول والسريع الاعتذار معللاً بأنني لا أحمل شهادة علمية عالية ولست في مركز علمي هام ولم يصدر عني عمل علمي مذكور • انني رجل ابتلعت خير أيامي وجهودي الرمال العاقة للسياسة في هذه البلاد التعيسة • ولكن الاصدقاء ، سامحهم الله ، أبوا علي اعتذاري • فلبثت زمناً في حيرة بين الاصدقاء وبيني : اني أعلم يقيناً أنهم ذوو ضمائر مستقيمة وعقول نزيهة، فلا بد أنهم اشتروني جملة ولم يتقروا التفاصيل • وبعد لأي ماوافقتهم ، بل قل استسلمت لمشيئتهم•وغيربعيد أن يكون من أسباب هذا الاستسلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك الغرور الخفي الغادر الذي يتسلل الى نفوس الرجال ، مهما بلغوا من التواضع ، فيتجاوز بهم مقدارهم • فاعفوا عني واصفحوا •

قد يشد من أزري ، ذلك الى عون الاساتذة الزملاء ، هذا الهم المقيم في القلب والمتصل بهذه الامة ، التي تداعت عليها وعلى لغتها الامم كبيرها وصغيرها • والاخطر من ذلك التداعي هذا الدعاء الملح الصادر عنها : بالخوف الذي توحيه إليهم : بالموقع في الارض والمكان في التاريخ والكثرة في الانفس والثروة في الخامات والمقام الروحي عند كثير من الشعوب ، والطمع الذي تذكيه فيهم : بالتخاذل والضعف والتخلف والتظالم والضياع بين الفجور والقبور ؛ حتى كأن أمتنا شجرة اهترأت منها الجذور في هذا العالم المرتج بالاعاصير •

أرجو أن يكون هذا الهم لي مسعداً ، ولكنني لا أقدمه ، وما كان لي أن أقدمه ، عذراً ، فلست فذاً في حمله ، وما أنا إلا فرد من قبيل • فكم بين هذا الخلق المضطرب بين البحر والصحراء في هذه الرقعة الواسعة التي ندعوها وطن العرب ، ممن يجد العذاب في قلبه وهو يلوب في قلب هذه الفتن التي يصبح فيها العربي إنساناً ويمسي وحشاً أو عبداً أو دون ذلك أو أكثر • ان مثل هذه الهموم تُعِدُّ الانسان لأن يكون من أبناء أمته البررة أو المخلَصين أو المجاهدين ، وتلك لعمري مقامات عليا ، يشرّف الانسانَ ، أيّ انسان ، أن يزحف في عتباتها ، وقد تعلو على مقامات العلماء ، ولكنها من عالم آخر غير عالم العلم • وطوبى لمن اتسعت نفسه للعالمين !

وهذا البلد ، الشام ، كم في باطن أرضه وعلى وجهها بعد من شهيد في سبيل هذه الامة واسلامها ولغتها • ولقد كان كذلك حاله منذ التقى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو عبيدة وخالد على مبعدة مئات قليلة من الأذرع من ههنا . فلئن كانت مدينة الرسول عاصمة دولة الاسلام ، التي تنزّل فيها ، في عهد الثلاثة : رسول الله والعمرين ، وللمرة الوحيدة في تاريخ الانسانية ، المثلُ الأعلى من ملكوته الى الارض فأصبح واقعاً ودولة بين الناس ــ لقد كانت دمشق عاصمة دولة العرب ، فأيّاً ماكان الاعتراض على بني أمية ودولتهم ، فلا جدال في أن دولتهم كانت دولة العرب الخالصة . ولكن الاسلام والعروبة، منذ ما تنزّل على قلب الرسول العربي القرآنُ بلسان عربي مبين من لدن عليم حكيم ، قد تخالاّ خلة امتنعت معها أية عملية لفصلهما أحدهما عن الآخر ، وكل محاولة في هذا السبيل جرت انما كانت محاولة غبيّة أو خبيثة هدفها الخبيء الانتقاص منهما أو قتلهما معاً . وبعد العاصمتين لم تكن أي عاصمة أخرى للاسلام أو العروبة إلا انتقاصا على نحو وبمقدار من الاسلام والعروبة جميعاً .

وإن في التاريخ أحداثاً وظواهر هي اشارات ورموز تكشف عن أقدار المدن ، وللامصار كما للاشخاص أقدار . ففي كل مرة كان فيها الاسلام والعروبة في خطر شديد أو على شفا الهلاك،وقعت المعركة الفاصلة المنقذة على مقربة من دمشق ، مدينتنا هذه . فعلى كتفها في الجولان والجليل جرت معركتا حطين وعين جالوت . وقد تجمعت النذر الآن ، ولا أرى إرهاصات بحطين جديدة . اننا ما زلنا ، لبؤس جيلنا ، في عهود ما قبل نور الدين ، ولكن زمانها سيخيّم ، وستقوم دمشق بدورها في تقرير المصاير .

وقد عرف العرب والمسلمون ، ملوكهم وسوقتهم ، خاصتهم وعامتهم، لهذا البلد مكانه . ففي مرقين في التاريخ ، مرة مؤكدة ومرة مقولة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تعلّق أملُ خليفتين بالخلاص ، حين اشتدّ التآمر واشتجرت الفتن ــ بدمشـــق :

فالمتوكل (٢٠٧ ــ ٢٤٧ ، خلافته ٢٣٢ ــ ٢٤٧) الخليفة العباسي، وقد ورث عن أخيه وأبيه وعمه جملة من المشكلات كان أشدها خطراً مشكلة الجند من الاتراك وتسلّطهم على الحكم ، إذ مدّ لهم الواثق حتى كادوا يصبحون الحكومة كلها ــ[١] « جعل يجيل الآراء في استئصالهم» . فبدأ برأسهم ايتاخ فاحتال عليه فأوقع به[٢] (سنة ٢٣٥) ؛ وأنشأ فرقة من الجند[٣] « نحواً من اثني عشر ألفاً من العرب والصعاليك » ضمها الى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان . ولكنه ظل يشعر أنه مادام في سامرا فهو مقيد الحركة وتحت رحمة الجند ، فقرر نقل عاصمة ملكه الى دمشق. وفصل عن سامرا في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائتين ودخل دمشق في صفر سنة أربع وأربعين ومائتين[٤] ؛ ونزل في قصر المأمون[٥] « بين داريا ودمشق ، على ساعة من المدينة ، في أعلى الارض ، وهـــذا الموضع يشرف على المدينة وأكثر الغوطة » . ولكنه لتعسه ونكسه ، ولأسبابٍ غير مقنعة يذكرها المؤرخون[٦] ، وأسباب نخمّنها ولا نتأكدها ، لم يستقر في دمشق وعاد الى العراق[٧] ، فبنى المتوكلية عاصمة جديدة يُذكر بها ، فلم تعصمه واغتاله فيها الجند من الاتراك[٨] . فكان ، لولا الصـــحوة المعتضدية الاخيرة ، آخر خليفة عربي يملك ويحكم .

والخليفة العثماني عبد الحميد الثاني (حكم من ١ أيلول ١٨٧٦ م ــ ٢٦ نيســـان ١٩٠٩) ــ ولست في صدد تقويمه ولا تقويم المتـــوكّل : شخصيتيهما وطريقتيهما في الحكم ــ حين اشتدّ تآمر رجال تركيا الفتاة المؤيدين بقادة من الجيش وبالدونمة ــ كما يؤكد بروكلمان[٩] ــ أي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالصهيونية الدولية ، وادلهمّ الجو من حوله في استانبول « سعى لأن يجعل اللغة العربية لغة رسمية في الامبراطورية العثمانية كلها » ــ كما يذكر المستشرق كارل شولتز[١٠] ــ ؛ ونوى ــ كما يُروى[١١] ــ نقل العاصمة الى دمشق • ولكنه لم ينفذ وعاجله الجند فخلعوه • فكان آخر خليفة للمسلمين ، ولا اعتبار لرشاد ووحيد الدين وعبد المجيد اذ لم يكونوا أكثر من تطبيقات لقانون القصور الذاتي •

والزهاد والمتصوفة ، اذ كانوا يصدون عن بعض بلاد الاسلام ــ قال الكلاباذي (ــ ٣٨٠) : سمعت كثيرا من مشايخنا يقولون : كان الشيوخ يهجرون الفقير لثلاث : إذا حجّ عن غيره بمال ، واذا أتى خراسان ، واذا دخل اليمن ، قالوا : من أتى خراسان لم يأته إلا للرفق وليس بها مباح فيطيب مطعمه ، وأما اليمن ففيه طرق الى الفسق كثيرة[١٢] ــ كانت نفوسهم (الزهاد والمتصوفة) تهوي الى الشام • سأل ابراهيم بن أدهم (ــ ١٦٢) بعد توبته بعض المشايخ عن الحلال فقالوا له : اذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام[١٣] • وقال لشقيق البلخي (ــ ١٩٤) وقد لقيه في الشام : ماتهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام،أفر بديني من شاهق الى شاهق ومن جبل الى جبل ، فمن يراني يقول موسوس ومن يراني يقول هو حمال[١٤] • والغزالي (٤٥٠ ــ ٥٠٥) حين أخذته الازمة الروحية حتى اعتقلت لسانه، فر بنفسه الى بلاد الشام[١٥] واعتكف مدة في المنارة الشرقية لجامع دمشق، وظل في سياحة عشر سنوات لم يكد يخرج فيها منها إلا الى الحج • وابن عربي (٥٦٠ ــ ٦٣٨) نفذ بنفسه وصيّته الواردة في وصاياه في آخر الفتوحات المكية ، قال[١٦] : « إن قدرت أن تسكن الشام فافعل ، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال : عليكم بالشام فإنه خيرة الله في أرضه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإليها يجتبي خيرته من عباده » . وهكذا نعثر عليه ابتداء من سنة ٦١٣ في حلب وفي حمص ثم يستقر في دمشق منذ سنة ٦٢٠ حتى وفاته .

تلكم أحداث ومواقف ، ولها أمثال كثيرة ، تكشـف عن الدور المقدور لهذا البلد : أرضه وشعبه في تقرير مصاير هذه الامة . وحين يكون قدر بلد مثل هذا القدر لا يخليه الله من أصحاب العزمات ومن يؤرقهم تقليب الرأي في الصورة التي يجب أن يكون بها حملُ المسئولية .

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت .. »[١٧] ، ولكن شوقي قال في أواخر الربع الاول من هذا القرن : « وعز الشرق أوله دمشق »[١٨] ؛ ولا ندري أهو إلهام من إلهامات شاعر أو نتيجة تعمق في فهم أحداث التاريخ ، ولكن وقائع الازمنة الحديثة ، ما كان منها قبل هذه القولة وما كان بعدها ، أتت مؤكدة لها .

فعلى أرض هذا البلد دارت معركة الوحدة العربية مرتين : مرة في عهد محمد علي (١٨٣١ ــ ١٨٤٠) ، وأخرى عشناها (٢٢ شباط ١٩٥٨ ــ ٢٨ أيلول ١٩٦١) . وإني في هـذه المناسبة أدعو كل عـربي الى أن يستقري القوى الدولية : الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ، الغربية والشرقية وحتى في هذا العالم البائس الذي يسمونه العالم الثالث ، ولينظر أيّهـا لم يكن عدواً لوحدة هذه الامة ــ وعندئذ يعلم معنى الامة العربية في هذا العالم ومعنى وحدتها .

وعن هذا البلد انحسرت ، في معـركة امتزج فيها دهاء السياسـة بمقاومة الشعب ، شيء خُصَّت به الشام يكاد يكون غريزة لها ــ انحسرت أول ما انحسرت جيوش الاستعمار الاوربي (١٧ نيسان ١٩٤٦) ؛ وكانت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاتحة لكل بلاد العرب بل لكل العالم المستعمر . ولم ينس هذا البلد ، وهو في غمرة أفراحه ، أن يقول بلسان رئيسه حينذاك وهو يرفع العلم الوطني : لن يرتفع فوق هذا العلم إلا علم الوحدة العربية ــ وكان عند وعده .

وفي هذا البلد ، وقبل ربع قرن ونيف من تاريخ الجلاء هذا ، قامت أول دولة على أسس القومية العربية (٨ آذار ــ ٢٥ تموز ١٩٢٠) ــ وأقول مرة أخرى : لست في صدد تقويم الثورة العربية وقدرات قياداتها وطموحاتهم القومية والشخصية ــ . وحين أستعرض ذلك العهد الذي كان فيه فيصل في دمشق أميراً ثم ملكاً (تشرين الاول ١٩١٨ ــ تموز ١٩٢٠) ، لا أقضي العجب من نشاط رجال البلاد حينذاك وحماستهم وإيمانهم في كل الميادين وكل المستويات . وفي ذلك العهد القصير الامد في هذا البلد وللمرة الثانية في التاريخ تم تعريب الدولة .

كانت المرة الاولى زمن عبد الملك بن مروان . لقد وضع عمر سنة ١٥ ديوان الجند وكان يكتب بالعربية ؛ أو كما يقول الطبري « فرض على المسلمين الفروض ، ودوّن الدواوين ، وأعطى العطايا على السابقة في الاسلام »[١٩] . ثم زاد معاوية فجعل الدواوين خمسة : للجند والخراج والرسائل والخاتم والبريد ؛ ولكنها باستثناء ديوان الجند ، كانت تكتب بلغات البلاد المفتوحة : الرومية والفارسية والقبطية ، ويتولاها أشخاص منها دون العرب والمسلمين[٢٠] . فعمد عبد الملك ، سنة ٨١ ، الى تعريب الديوان في الشام ، وصرف سرجون بن منصور الذي كان يتولاّه ، وقلّده سليمان بن سعد الخشني ، وهو أول مسلم ولي الدواوين كلها[٢١] .

ثم كانت هذه هي المرة الثانية . فقد واجهت الحكومة العربية التي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قامت في ٥ تشرين الاول سنة ١٩١٨ مشـكلة تعريب الدولة . اذ كان « على الحكومة السورية ـ كما يقول ساطع الحصري ـ أن .. تحوّل اللغـة الرسمية من التركيـة الى العربية في جميـع الدوائر والمدارس والدواوين. وقد تمّ ذلك بسرعة فائقة . وقد استحدثت الحكومة دروساً خاصة بالموظفين .. وتألفت لهذا الغرض لجان عديدة ... وأصبحت بذلك الدولة السورية تستحق اسم الدولة العربية بصورة فعلية »[٣٢]. وأنشأت الحكومة العربية في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ « شعبة الترجمـة والتأليف » ، التي أصبحت حين ضمت إليها أمور المعارف العامة في ١٢ شباط ١٩١٩ « ديوان المعارف » . وانقسم هـذا الديوان حين اتسعت أعماله ، في ٨ حزيران ١٩١٩ الى قسمين : اختص الاول بأمور المعارف العامة ، والثاني بأمور اللغة والمكتبات والآثار ؛ وهذا القسم الثاني هو المجمع العلمي العربي[٣٣] ، الذي نهض منذ ذلك التاريخ بعمله الجليل ، وكان أول مجمع علمي عربي .

أيها السادة . لست غريباً عن هذا المجمع ، فقد قضيت فيه زهاء ثلاث سنوات من أوائل العقد السابع مديرا لدار الكتب الظاهرية ، أتفيأ ظلال التاريخ والكتب والهدوء ، وأستظل برعاية الرئيس الامير مصطفى الشهابي رحمه الله وشهامتـه .

أذكر أنه دعاني مرة إليه ، وكانت مجلة المعرفة الدمشقية نشرت لي مقالاً عرضت فيه رأياً مؤداه أن قادة الثورة العربية أيام الحرب العالمية الاولى ارتكبوا خطيئة استراتيجية كبيرة حين حالفوا استعماراً فتياً ضد الاستعمار التركي العجوز المتهاوي ، وكان قصدي التعريض ببعض القادة العرب حينذاك إذ يرتكبون الخطيئـة نفسها حين يحالفـون الامبريالية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الامريكية ضد الاستعمار الاوربي العجوز • قال لي بعد حديث قصير: قرأت مقالك • قلت : أرجو أن تكون راضياً عنه • قال : أردت أن أناقشك في رأي عرضته فيه لأننا نعدّكم خلفاءَ لنا •• ثم ذكر لي : أن بعض رجال الثورة العربية لم تكن هذه الفكرة غائبة عنهم بل ناقشوها ، ولكنهم كانوا واقعين بين قرني الإحراج: إن مضوا مع الاتراك، فالاتراك أنفسهم واقعون تحت سلطان الالمان ، وأياً كان المنتصر من الطرفين الاوربيين فسيكون مصيرُ الاتراك والعرب جميعاً الخضوعَ لاستعمار المنتصر ، أمّا اذا تحالفوا مع الحلفاء فستكون لهم يدٌ عندهم فإذا انتصروا طالبوهم بردّ الجميل وإنفاذ الوعود • قلت ، وكنتُ صادقاً : أفدتَني شيئاً جديداً لم أكن أعلمه ، وسكتّ • كان للامير في نفسي من المهابة والإجلال ما منعني من متابعة النقـاش •

ومرة أخرى دعاني إليه ، وبحديث قد بلغ الغاية من اللطف والعطف أفهمني ، وكنت في حينها مجروحاً من نكبة الانفصال ويسـود مقالاتي المرارةُ والعنف ــ أفهمني أنني لو كفكفت شيئاً من غلوائي لأمكن تحاشي ما قد يصيبني من ضرر • قال ، وكان يعلم ما أنا فيه من ضائقة : إن هؤلاء حقودون • فأجبته بما أجبته ، فلم يزد وغيَّر الحديث • ثم علمتُ بعد زمان ومن جهات أخرى أنه طُلِبَ منه تسريحي فلم يوافق • ليرحمه الله بمقدار أنفته ومروءته وحبه لأمته •

وإني ، أيها السادة ، إذ أستعرض هذه الذكريات فليس للوفاء وحده، « وإنما لذة ذكرناها »[٢٤] • انها لذة مصفاة تلك التي نجدها حين تتأمل الخلق النبيل •

لقد تعرفت بالامير مصطفى الشهابي على مثل ممتاز للجيل الاول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من أعضاء المجمع ، وتعرفت بالدكتور جميل صليبا على ممثل ممتاز أيضاً للجيل الثاني منهم :

كان أول معرفتـي به سـنة ١٩٣٦ • في تلك السنة أقيـم مهرجان للمتنبي في دمشق • وأصدرت جريدةُ الايام الدمشقية عدداً خاصاً جمعت فيه ما قيل في المهرجان • وقرأت العدد من أول سـطر فيه الى آخـر سطر • وأذكر أنني أعجبت بالدراسة التي قدّمها الدكتور صليبا • لست أذكر الآن شيئا مما قرأت ولا شيئا من تلك الدراسة ، حتى عنوانها • كلّ ما أذكره أنني فضلتها في حينها على كل ما كُتِب وقيل في ذاك المهرجان ، وأنني راقني منها خاصة الروحُ القومية المنبثة فيها •

لم أكن ، لسوء حظي ، تلميذاً له • وكانت لقاءاتي له محدودة بالعدد والمدة والاحاديث التي كانت تدور فيها• لقيته بصفته رئيساً للتعليم الثانوي وعميداً لكلية التربية وفي لجنة الفلسفة وعلم الاجتماع في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية • ولكنني قرأت في مطلع شبابي قراءة دراسةٍ كتاباته : من علم النفس الى دراساته التي قدّم بها للمنتخبات من فلاسفة العرب أو جمعها في كتابه « من أفلاطون الى ابن سينا » •وربما كانت سبباً من أسباب دعتنـي الى تغيير اتجاهي من الرياضـة والعلوم الفيزيائية الى الفلسفة •

أتتم ترون ، أيها السادة ، أن هذه اللقاءات والقراءات جميعاً لاتسمح بمعرفة نافذة وحقيقية • فهل يحق لي اعتماداً عليها وعلى ما استقيته ، وما استوفيت ، من بعض أهله وأصدقائه وزملائه وتلاميذه ، أن أقوم شخصيته وأصدر عليها بعض الاحكام ؟ إن أولى من يقوم بهـذه المهمة أصدقاؤه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذين لازموه ملازمة طويلة وتوثقت بينهم وبينه العلاقة. ولكن اذا كان علي أن أحاول فإنني أقول من باب التخمين لا التأكيد :

يبدو لي أن الدكتور صليبا كان معتدل المزاج ضابطاً لأعصابه وتصرفاته وعواطفه ، عقلانيا واقعيا مجداً دؤوباً قادراً على التنظيم وصادقاً في أعماله . ومثل هذا الطبع لاتتحكم بسيرة حياته النزوات والاهواء والانقلابات المفاجئة ، وانما هو التطور الهادىء تتولد المراحل فيه بعضها من بعض تولداً طبيعيا دون خلل أو انحراف أو عنف . واذا كان لابد من تقسيم حياته الى مراحل فلن تكون العمدة في هذا التقسيم على أسباب نفسية داخلية بل على أسباب خارجية . قال ابنه حبيب ، وأنصف أباه : « لقد شاءت الاقدار أن يكون مربياً فأخلص لدور المربي ، وشاءت الاقدار أن يكون مؤلفاً فأخلص لدور المؤلف والمفكر .. »(٢٥) .

ولد جميل بن حبيب صليبا في ٧ شباط سنة ١٩٠٢ في قرية القرعون من قرى البقاع ، وأسرة صليبا أسرة كبيرة في سورية ولبنان تدعى أيضا صليبة وصليبي ، ولها تاريخ قديم مطبوع في لبنان (كما يقول في ترجمته الذاتية الموجودة في ملفه في المجمع) .

انتقلت أسرته الى دمشق سنة ١٩٠٨ . ومن هذا التاريخ تبدأ مرحلة الطلب . درس في دمشق حتى حصل على شهادة المدرسة التجهيزية العربية (١٩٢١) . ثم أوفدته وزارة المعارف الى فرنسا ، فالتحق بالصوربون (جامعة باريز) . وهناك حصل على دبلوم التربية من معهد علم النفس (١٩٢٣) ، وليسانس في الآداب (فرع الفلسفة) (١٩٢٤) ، وليسانس في الحقوق (١٩٢٦) ، وتوج دراسته بالدكتوراه في الآداب من جامعة باريز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على رسالتيه : « دراسة لما وراء الطبيعة عند ابن سينا »[٢٦] و « النظرية الاجتماعية في المعرفة »[٢٧] .

ويعود الى دمشق ، فتبدأ المرحلة الثانية من حياته وأدعوها مرحلة التدريس ، إذ يعين مدرساً للفلسفة في تجهيز دمشق (١٩٢٧) . ولقد كان مدرسا ناجحا . يصفه تلميذه حافظ الجمالي على النحو التالي : « ..لاأزال أذكر تلك اللغة العربية الصافية التي يصوغ بها دروسه وكتبه ، وذلك الصوت العذب الرخيم الهادىء الرصين ، الذي يلزم الانسان بالانتباه إلزاماً .. فإذا تركت الصوت الى الموضوع ، وجدته يتسلسل نقطة بعد نقطـة ، وفكرة بعد فكرة ، لينتهي الى كلٍّ شامل تعرف أوله وآخره ، وبدايته ونهايته ، في بنية موحدة ، ذات هندسة مكتملة ..[٢٨] . والى هذه المرحلة يرجع كتاباه التعليميان : « علم النفس » (١٩٣٦) و«المنطق» (١٩٤٤) ، وترجع المنتخبات من نصوص الفلسفة العربية مع مقدماتها : « ابن خلدون » (١٩٣٣) ، « المنقذ من الضلال » (١٩٣٤) ، « حي بن يقظان » (١٩٣٥) ، « ابن سينا » (١٩٣٧) ، وترجع المحاضرات الست في تاريخ الفلسفة العربيّة التي جمعها في كتاب «من أفلاطون الى ابن سينا» (١٩٣٥) . وما أظنني مبالغا اذا قلت : إن هذه الكتب مع كتاب الاخلاق للدكتور كامل عياد ، الذي شارك في المنتخبات ، تبدأ مرحلة الدراسات الفلسفية في بلاد الشام في العصر الحديث . لأنه : اذا كان حبل الدراسات الدينية والادبية واللغوية لم ينقطع بين العصور العربية الزاهرة والعصر الحاضر ، وان تقلبت عليها السـعود والنحوس ، فإن حبـل الدراسات الفلسفية قد انقطع أو كاد خلال قرون طويلة .

ثم تبدأ المرحلة الثالثة ، وأسميها مرحلة الادارة ، حين يُعيَّن رئيساً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للتعليم الثانوي والفني والإكمالي (١٩٣٥) ، فمديراً لدار المعلمين(١٩٤٤)، فرئيسا للجنة التربية والتعليم (١٩٤٥) ، فأميناً عاماً لوزارة المعارف (١٩٤٩) • والدكتور صليبا مؤهل للنجاح في الادارة ، للصفات التي ذكرت ، ولما أوتيه من رصانة ووقار وقوة في الحجة ووضوح في البيان ؛ ولما أوتيه خاصة من سعة في الأفق ومعرفة بالرجال، من يؤتاها يعلم أن مشكلات الادارة ليست مشكلات رياضية أو منطقية لها حل واحد ويكون بأقصر الطرق ، ولكنها مشكلات معقدة لانها تتصل بالناس ، والناس مجموعات متغيرة متحركة من الوحدات ــ الافراد ، كل وحدة منها معقدة البنيان متغيرته في الزمان تمتاز من الوحدات الاخرى بل تكاد تكون غريبة عنها الغرابة كلها ؛ ولذلك كانت المشكلات الانسانية ، ومنها مشكلات الادارة، تتحرك في حيز كثير الابعاد مشتبكها والزمان ــ التاريخ بُعدٌ أساسي فيها ؛ ولذا قد يكون للمشكلة أكثر من حل ، وقد يكون فيها الحل المستنع في لحظة مسكنا في لحظة أخرى ، وقد يكون الحل الانجع في القرار السريع الحاسم كما قد يكون في الطريق الملتوي الطويل الخ •• والدكتور صليبا لم يكن قادراً على تسيير ما يوكل اليه من أجهزة وحلّ المشكلات التي تعترضه فقط ، بل كان أيضا ادارياً مُنَظِّراً ، يفيد من ممارسته لوضع الانظمة والخطط والبرامج وحتى ما يشبه النظريات • ففي هذه المرحلة من حياته وضع كثيراً من البرامج والانظمة للتعليم ، وسطر دراسات وتقارير عن اصلاح التعليم ، بعضها مطبوع (التقرير السنوي عن المعارف في الجمهورية السورية خلال عام ١٩٤٦) وبعضها محفوظ في السجلات ؛ كما عمل بالاشتراك مع ساطع الحصري على اصلاح التعليم فوضع كثيراً من قوانينه وأنظمته ولوائحه • ولقد أفاد كثيرا من تجربته في هذه المرحلة في تأليف كتابه « مستقبل التربية في الشرق العربي » •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي سنة ١٩٥٠ عُيِّن عميداً لكلية التربية ، فبدأت المرحلة الرابعة من حياته ، وأسمّيها المرحلة الجامعية . وهي فعلا مرحلة جامعة :

مارس فيها الادارة : عميداً لكلية التربيـة (١٩٥٠ ــ ١٩٦٤) ، ورئيساً للجامعة بالنيابة (١٩٥٨) .

ومارس فيها التدريس والمحاضرة : ألقى محاضرات على طلاب كلية التربية في علم النفس (جمعها في « كتاب الغريزة والعادة والارادة » ــ مخطوط) ؛ ومحاضرات عليهم أيضاً في التربية (جمعها في كتاب «مستقبل التربية في الشرق العربي » ــ نشر في سنة ١٩٦٢) . وألقى محاضرات على طلاب كلية الآداب في فلسفة برغسون (جمعها في كتاب «فلسفة برغسون» ــ مخطوط) ؛ ومحاضرات عليهم في تاريخ الفلسفة الحديثة (جمعها في كتاب « في تاريخ الفلسفة الحديثة : بيكون ، ديكارت ، مالبرانش ، ليبنتز، اسبينوزا ، لوك » ــ مخطوط) . وألقى سلسلة من المحاضرات في جامعة باريس موضوعها : الفلسفة العربية وتطورها (١٩٥٤). كما ألقى محاضرات على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربيـة العالية التابع لجامعة الدول العربية « في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الادب الحديث » (١٩٥٨) (نشر الكتاب في السنة نفسها). واشترك في الحلقة الدراسية التي دعت اليها الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٦٢ لاستعراض ما أسهم به المؤلفون العرب في الفكر الفلسفي خلال مائة السنة الاخيرة ، بدراسة مطوّلة عن « الانتاج الفلسفي خلال المائة السنة الاخيرة في العالم العربي : الفلسفة العامة وفلسفة العلوم » (نشرت الدراسة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : م ٣٦ ، ج ٤ ــ م ٣٧ ، ج١).

ومثل هذه المحاضرات ، كما هو واضح ، لاتقوم إلا على بحث طويل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتنقير وإعمالِ فكر وتحليل للمعلومات وتنسيق لها وتركيب • ففي هذه المرحلة اذن برزت شخصية العالم الباحث واتحدت بشخصية المدرس والمحاضر ، كما هو المفترض والواجب في الاساتذة الجامعيين•

وفي هذه المرحلة اتسعت علاقاته الثقافية فشملت ميادين متعددة وعلى صعد سورية وعربية ودولية • فقد انتخب عضواً في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ممثلا لليونيسكو (١٩٥٥) (وكانت قد نشرت له ترجمته « مقالة الطريقة » لديكارت التي علق عليها وقدم لها بمقدمة مطولة عن ديكارت وفلسفته) • وانتخبته اللجنة الدولية لعلوم التربية عضواً عاملا فيها (١٩٥٨) • واختير عضوا في مجلس المديرين للموسوعة العربية الميسرة (١٩٥٩) • ومثّل سورية في كثير من المؤتمرات الدولية:كمؤتمرات اليونيسكو العامة (جميل صليبا ومدني الخيمي ، « تقرير عام عن الدورة السابعة لمؤتمر اليونيسكو ، المنعقد في باريز بين ١٢ تشرين الثاني و ١١ كانون الاول سنة ١٩٥٢ ») ، ومؤتمر الادباء العرب ، ومؤتمر المجامع العلمية العربية ، ومؤتمر اليونيسكو لدراسة الحاجات التربوية في العالم العربي ، ومؤتمر الشعب الوطنية لليونيسكو ، ورأس مؤتمر اليونيسكو لتدريس العلوم الاجتماعية المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٤ • وشارك في كثير من الحلقات والمهرجانات والندوات العربية والدولية ، كحلقة نظم التعليم في العالم العربي ، وحلقة إعداد المربي ، وحلقة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية في بيروت ، ومهرجاني المتنبي والمعري ومهرجاني ابن سينا في بغداد (١٩٥٢) وفي طهران (١٩٥٤) الخ •• فأصبح الوجه الثقافي الاول لسورية عربيا ودوليا •

وفي سنة ١٩٦٤ أحيل على المعاش ، وبدأت المرحلة الخامسة والختامية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من حياته ، وأدعوها المرحلة البيروتية ؛ فقد نقل سكنه ونشاطه فيها الى بيروت ، وإن أبقى على كثير من صلاته بدمشق • وفيها لم يخالف عن طريق المدرس المحاضر العالم • فقد ندب للمحاضرة في المركز الاقليمي لليونيسكو في بيروت لتدريب كبار موظفي التربية في العالم العربي (١٩٦٤ ــ ١٩٧٠)• وحاضر في الجامعة اللبنانية • ودعي سنة ١٩٦٩ لإلقاء محاضرات على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية (جمعت المحاضرات في كتاب «اتجاهات النقد الحديث في سورية » ١٩٦٩) •

والطابع العام لهذه المرحلة ، وتبدأ في الحقيقة منذ سنة ١٩٦٣ ، أن جيل صليبا أراد فيها أن يقدم ، على أسلوبه أسلوب العالم الباحث لا على أسلوب الترجمة الذاتية أو المذكرات ، كشفاً شبه مستوفى عـن حياته وأعمـاله :

أفاد من عمله محاضراً في كلية التربية ليعطينا حصيلة جهوده في ميدان التربية : اطلاعاً وممارسة ، ادارة وتدريساً ، بكتابه « مستقبل التربية »•

وأفاد من الحلقة الدراسية ليقدم لنا خلاصة عن اطلاعاته ورأيه في انتاج معاصريه مـن المفكرين والدارسين في ميـدان الفلسفة بدراسته « الانتاج الفلسفي » •

وأفاد من دعوته مرتين للمحاضرة في معهـد البحوث والدراسات العربية ليقدم لنا دراسة جامعة عن الادب والنقد الادبي في وطنه الصغير، الشام ، بكتابيه «الاتجاهات الفكرية ••» و «اتجاهات النقد الحديث••»•

وأفاد من محاضراته في الجامعة اللبنانية وبحجة تأليف كتاب حسب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المناهج اللبنانية فجمع لنا في جامع واف بحثه الطويل وتنقيبه وتأملاته في ميدان الفلسفة العربية بكتابه « تاريخ الفلسفة العربية » (١٩٧٠) .

وجمع كل جهوده في ميدان المصطلح الفلسفي في « المعجم الفلسفي » بمجلديه الضخمين .

وكأنما كان يقول : هذا أنا ، هذه حياتي ، هذه جهودي وسعيي في الارض ، خذوها .

وودع الحياة في بيروت في ١٢ تشرين الاول ، وشيع الى مثواه الاخير في دمشق في ١٦ منه سنة ١٩٧٦ . ولم يصدق أبو العلاء حين قال[٢٩] :

وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل نادي

نعم لا يصدق ما دمنا على هذه الارض نفكر وننظر ونسمع بأبعادها ؛ أما من بعيد بعيد وبأبعاد الملأ الاعلى فغيب من غيوب الله .

حياة حافلة بالعمل غنية بالثمار الطيبة . فلو شئت أن أدرسها دراسة تحليلية نقدية محيطة لاقتضاني هذا العمل كتاباً برأسه . فاعذروني ، أيها السادة ، اذا أنا اكتفيت ، في هذا المقام ، بوقفة سريعة عند جميل صليبا العضو العامل في مجمع اللغة العربية بدمشق :

انتخب الدكتور جميل صليبا عضواً عاملا في المجمع في الجلسة المنعقدة في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ ، وصدر المرسوم بتسميته في ٢٨ آذار من السنة نفسها . واختير عضواً في لجنته الادارية في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ ، وبقي فيها حتى استقال منها في ٩ تموز سنة١٩٦٤ ، بعد أن انتقل الى بيروت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان ، كدأبه في كل عمل يوكل اليه ، يعمل بجد وانتظـام وانتاج في جلسات الهيئة العامة واجتماعات اللجنة الادارية • وقد مثل المجمع بكفاية ولياقة في كثير من المؤتمرات ، كمؤتمر المجامع العلمية العربية ، واحتفال المجمع العلمي السوفياتي بمرور أربعين عاما على تأسيسه (١٩٥٧)، ومؤتمر المصطلحات الفلسفية الذي دعا اليه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة وانعقد بين ٣ و ٨ أيار سنة ١٩٧١ الخ•

ان مثل هذه الاعمال لاتكشف عنها محاضر الجلسات أو الاجتماعات والتقارير عن المؤتمرات ، ولا يستطيع أن يقدرها قدرها إلا الذين شاركوا صاحبها في العمل • وما دمنا لم نقع على شهادات من هؤلاء ، فستظل هذه الاعمال خافية علينا • وسنجد أنفسنا ، كما في كل مرة وجدنا فيها أنفسنا في مثل هذا الموقف ، تتذكر بالخير اخبارينا القدماء وماكانوا يجمعـون ويروون من حوادث وحكايات وأقوال ونكات ونوادر ولطائف وزلات وخطايا وأحلام وعظائم أعمال وصغائر الخ •• ويزداد تقديرنا لهم حين نطلع على نظريات التحليل النفسي وعلم الطباع •• لما توليه من أهميـة خاصة ، في الكشف عن طباع الانسان ودوافعه الخفية ، لاحلام الليـل والنهار ولمثل هذه الحوادث الصغيرة والهنات الهينة وأشياء من الحياة اليومية تافهة ••

فعدّ عما لم تحصل عليه الى ما وجدته مسجلا مسطوراً • وأعمال جميل صليبا المجمعية المكتـوبة تتـوزع على ثلاثة مجالات : الدراسات والتعليقات التي زود بها مجلة المجمع ، والمخطوطات التي حققها له ، والمصطلحات الفلسفية التي وضعها أو ثبتها وحدد معانيها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدراسات الفلسفية :

ان مجلة المجمع هي وجهه المجلو على الناس أو على خاصة منهم في مواعيد محددة ، ونبضه الذي ينبىء عن قوة الحياة فيه • ولقد ظل الدكتور صليبا يمدّ هذه المجلة باستمرار وشبه انتظام من سنة ١٩٤٤ الى وفاته ، بل الى ما بعد وفاته : فقد نشرت له المجلة في الجزء الثاني من المجلد الثاني والخمسين سنة ١٩٧٧ دراسة بست وثلاثين صفحة عن « فكرة الخير عند الفارابي » • وقد أحصيت له في هذه السنين الثلاث والثلاثين ستة وخمسين عنوانا ، ما بين دراسة مطولة قد تمتدّ على جزأين وتتجاوز العشرين أو الثلاثين صفحة وقد تجاوزت احداها الستين ، وتعليق أو نقد قد لايتجاوز الصفحة الواحدة ؛ ذلك الى ما نشره من مصطلحات فلسفية • وقد انصبت معظم الدراسات الجادة على الفلسفة العربية ، وجمع أكثرها في الجزء الاول من كتاب « الدراسات الفلسفية » (١٩٦٤) •

ان الميادين التي جرى فيها الدكتور صليبا كثيرة ، ولكن الميدان المفضل لديه كان الفلسفة العربية • لقد طالت صحبته لها : بدأت حوالي منتصف العقد الثالث من هذا القرن حين كان يحضر رسالة الدكتوراه عن فلسفة ابن سينا ، ولم تنته الا قبيل وفاته حوالي منتصف العقد الثامن حين قدم لمجلة المجمع آخر ما دفع للنشر من دراسات وهي « نظرية الخير عند الفارابي » •

وكان يؤثر تسميتها بالفلسفة العربية • عرض هذا الرأي في رسالة الدكتوراه بحمية الشباب[٣٠] ، ثم بسطه في « تاريخ الفلسفة العربية » بتسامح الشيوخ[٣١] : عرض أولا حجج من يقول بتسميتها فلسفة اسلامية، وأهمها أنها « اسلامية في مشاكلها ، والظروف التي مهدت لها ، واسلامية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيضا في غاياتها وأهدافها .. » ؛ ثم قفّى بحججه وأهمها : « ان الاسلام الذي أثر في تكوين هذه الفلسفة دين عربي وقرآنه عربي ورسوله عربي وروحه عربية » ثم « ان هذه الفلسفة مكتوبة بلغة عربية » ؛ وانتهى الى القول: «ان هذه الفلسفة كتبت باللغة العربية،ونشأت في الاسلام وترعرعت في جوّه ، فهي اذن فلسفة عربية مطبوعة بطابع اسلامي ، أو فلسفة اسلامية مكتوبة باللغة العربية . ولا مشاحّة في الاسماء .» .

وقد خص الدكتور صليبا ، ولاسيما في شبابه ، بالقسط الاكبر من جهوده التي بذلها في درس هذه الفلسفة ، فيلسـوفي المشائية في المشرق الاسلامي : الفارابي وابن سينا وخصمهما غزالي « المنقذ » و « المقاصد » و « التهافت » . ولكن مشائية ذينك الفيلسوفين لم تكن مشائية خالصة، لان أرسطو وصل اليهما محاطاً بشروح الافلاطونيين الجـدد (اسكندر الافروديسي ، ثامسطيوس ، ثاوفرسطس ، فرفوريوس الصوري ..) ، كما سلّما بصحة نسبة كتب منحولةٍ لأرسطو ، أهمهـا كتاب الأثيولوجيا (الربوبية) وهو مقتطفات من تساعيات أفلوطين (التساعيتين الرابعـة والخامسة) ؛ بل ربما كان في فلسفتهما من أفلاطون وأفلوطين أكثر مما فيها من أرسطو . وكان ذلك واضحا للدكتور صليبا ؛ بل ان كتابه « من أفلاطون الى ابن سينا » لم يكن له من غرض إلا تبيان هذه الحقيقة .

غير أن هذه المشائية المهجنة ، التي تستزج فيها عقلانية أرسـطو بروحانية أفلاطون وأفلوطين ، هي التي كانت ماثلة أمامه حين حاول ، في مقال نشرته مجلة دمشق سنة ١٩٤٠ ، أن يلقي نظرة جامعة على الفلسفة العربية ويستخلص خصائصها العامة التي جعلها أربعاً[٣٣] :

الاولى الصفة العقلية ، وهي أن النفس الانسانية لاتستطيع أن تقلب الصور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحسية الى معقولات كلية إلا بتأثير العقل الفعال المفارق للعقل الانساني. والثانية الصفة الروحية وهي الاعتقاد بأن النفس الانسانية جوهر روحي وأنها باقية بعد الموت بقاءً كلياً أو فردياً . والثالثة هي الإيمان بوحدة المعرفة والحقيقة . والرابعة هي الميل الى التوفيق بين الآراء المتعارضة ، وبخاصة بين الحكمة والشريعة . ولكنه حين لخص هذا المقال في مقدمة « الدراسات الفلسفية » ، وكان قد توغل في دراسة الفلسفة العربية ، وجد أن عليه أن يضيف[٣٣] : « ولهذه الصفات المختلفة أقسام وفروع ليس من السهل استقصاؤها هنا ، هذا عدا صفات أخرى .. كطبيعةالرازي وإشراقية السهروردي وصوفية الغزالي ووضعية ابن خلدون وغيرها ، وهي كلها تدل على أن الفلسفة العربية معقدة العناصر ، مشتبكة الاصول والفروع ، كثيرة الغايات والمقاصد ..» .

وجاء في مقدمة « الدراسات » : « وجميع ما بينته في هذا الجزء يدور حول مسألة فلسفية واحدة ، أعني مسألة الحقيقة والعقل والمعرفة »[٣٤]. فإذا استعرضنا فصول الكتاب ، نجدها موزعة على قسمين : عالج في فصول القسم الاول الثلاثة بعض المسائل الفلسفية العامة : الطريقة الرمزية في الفلسفة العربية ، معاني العقل في الفلسفة العربية ، معاني الحدس والفكر ، واتصال هذه المسائل بنظرية المعرفة واضحة . أما فصول القسم الثاني الستة وهي : فلسفة أبي الهذيل العلاف ، نظرية المعرفة عند الكندي ، نظرية الخير عند ابن سينا ، المدينة العادلة في نظر ابن سينا ، الغزالي وزعماء الفلاسفة ، حدود العقل عند الغزالي ــ فَصِلَةُ الفصلين الثاني والسادس منها بنظرية المعرفة واضحة أيضا ، وقد يمكن ببعض الجهد الامساك بمثل هذه الصلة بالنسبة للفصول الباقية . فمثلا ، في نظرية الخير عند ابن سينا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يسكن القول : ان العقل الفعال هو الذي يفيض الصور على المادة وهـو الذي يفيض المعقولات على النفس الانسانية ، والصور والمعقولات متفقة لوحدة المصدر ، ولما كانت هذه الصور لا أجل ولا أكمل ولا أكثر خيرية منها ، كانت معرفتها ، والمعرفة هي كمال الانسان وخيره من حيث هو كائن عاقل ، هي الخير الخالص المطلوب لذاته .

و « الدراسات » (المقالات المجموعة فيها كتبت بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٥٥) لم تخرج إلا قليلا عن حدود « مشائية المشرق » ونقدها من قِبل الغزالي (من هذا القليل مقال « فلسفة العلاف » ، ومافي شخص العلاف من غرابة في الخلق والذكاء والافكار يدعو فعلا للوقوف عنده ، وهو على كل حال أحد المعالم الرئيسة في مذهب المعتزلة وعلم الكلام بل في الفلسفة العربيـة عامة) . فالدكتور صليبا مثلا في « معاني العقل » و « نظـرية المعرفة عند الكندي » يمر مروراً سريعاً على مفهوم العقل عند علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة وعند اخوان الصفا وعند الصوفية ، ولكنه يسير بنا مستأنياً باسطاً القول في الطريق المبتعدة عن أرسطو ومقالته بوجود عقلين: منفعل" وفاعل ، هما بمثابة المادة والصورة ، والفاعل منهما مفارق وهو في جوهره فعل محض وهو أزلي أبدي . الى مقـالة إسكندر الافروديسي بعقول ثلاثة : عقل هيولاني وعقل بالملكة وعقل فاعل ، وهو عنده هو الله. الى مقالة الكندي وقد جعل العقول أربعة : عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل ظاهر وعقل أول ، والظاهر عنده هو العقل بالفعل وقد أخرجته النفـس فأصبح موجوداً لغيرها بالفعل ، أما الاول فهو العقـل الذي هو بالفعل أبداً وهو مبدأ كل المعقولات وعلتها وهوهو الله . الى مقالة الفارابي بأربعة عقول أيضا : عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل مستفاد وعقل فعال ، والمستفاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هو العقل بالفعل بعد أن تحصل له المعقولات كلها أو جلها معقولة بالفعل ، أما العقل الفعال فيصبح عنده لأول مرة العقل العاشر أو عقل فلك القمر المهيمن على عالم الكون والفساد وواهب الصور والمعقولات جميعا. الى مقالة ابن سينا الذي زاد عقلا خامسا فأصبحت : العقل الهيولاني والعقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال ، فخص العقل بالملكة بالمعقولات الاولى وهي المقدمات التي يكون بها التصديق ، والعقل بالفعل بالمعقولات الثانية وهي العلوم المكتسبة . فإذا بدأ بنا طريق العودة الى مفهوم أرسطو أو ما يقرب منه عند ابن رشد ، طوى الطريق بسرعة فلم يتوقف عند ابن باجّة الذي رجع ، على ما يبدو ، الى القول بعقلين : العقل الهيولاني والعقل الفعال « الذي هو ثواب الله ونعمته على من يرضاه من عباده »(٣٥) .

وكذلك كان دأبه في الفصول الاخرى . ففي « الطريقة الرمزية » وقف طويلا عند قصة سلامان وأبسال لابن سينا وقصة حي بن يقظان لابن الطفيل يعرضهما ويؤول رموزهما ، بينما لم تنل العوالم الرمزية للصوفية والفرق الباطنية إلا التفاتة سريعة جاءت بمناسبة تحليل « عينية ابن سينا »(٣٦) . ولم يكن حظ نظرية التأويل « الرشدية » أوفر . وفصل « معاني الحدس والفكر » يكاد يكون وقفاً على آراء ابن سينا الواردة في كتابه « الاشارات والتنبيهات » .

يبدو لي أن جميل صليبا بدأ درس الفلسفة العربية بابن سينا ، في أواسط العقد الثاني ، ثم رجع الى أسلافه : الفارابي خاصة والكندي .. كما مضى الى ما لقيته هذه الفلسفة من نقد ورفض عند الغزالي ، ومن قبول في وجهها الإشراقي عند ابن الطفيل . ولبث طويلاً في هذه الدائرة:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتعمق بالدراسة ويتوسع حتى كاد يحيط بفلسفتي الفارابي وابن سينا ، ولم يبرحها إلا لماماً : مرة مثلا الى ابن خلدون وأخرى الى أبي الهذيل .. ذلك حتى العقد السابع حين بدأ يوسع دائرة اهتمامه ، فشملت ابن رشد، متابعةً من جهة لآثار « تهافت » الغزالي في المغرب حيث ردّ ابن رشد بـ « تهافت التهافت » ، بعد أن دمّر الفلسفة في المشرق كما كان يزعم المستشرقون . ولتبين الفروق بين فلسفتي ابن سينا وابن رشد[٣٧] ، فكانت الدراسة التي أدرجها في « تاريخ الفلسفة العربية »[٣٨] ، والمقال « بين ابن سينا وابن رشد » الذي نشره في مجلة المجمع[٣٩] . ومدّ دراسته للغزالي فتجاوزت الغزالي ناقد الفلسفة الى غزالي علم الكلام والغزالي المتصوف ، كما في دراسته له في « تاريخ الفلسفة العربية »[٤٠] ، ومقاله « الغزالي وعلم الكلام » المنشور في مجلة المجمع[٤١] . وكذلك وسع دراسته لابن خلدون في « تاريخ الفلسفة العربية »[٤٢] .

ولم يخالف الدكتور صليبا عن سنة الاولين (الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة العرب والفلاسفة الأوربيين في العصر الوسيط) والآخرين (المستشرقين ومن نهج نهجهم من الباحثين العرب والمسلمين) في فهمهم للفلسفة العربية وتخطيطهم لحدودها : وهي أنها هذه الفلسفة الموروثة عن يونان ، وبخاصة عن أفلاطون وأرسطو ، وقد امتزجت بها أفكار من العقائد الشرقية وأفكار من الدين الاسلامي[٤٣] . ولم يتضح الا منذ عهد غير بعيد ، حوالي منتصف هذا القرن ، عند المستشرقين وبعض الباحثين من المسلمين ، اتجاه جديد يفهم الفلسفة العربية فهما جديدا ، يمد حدودها وتاريخها الى أبعد بكثير من الحدود والتواريخ السابقة . إذ « حيثما استقر المقام «بالتحقيق» الفلسفي في الاسلام ، كان التفكير عندها منصباً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على أمر أساسي هو النبوة أو الوحي النبوي ، وعلى المسائل والمواقف التفسيرية التي يتضمنها هذا الامر الاساسي ؛ وعندها تأخذ الفلسفة شكل فلسفة نبوية أو حكمة لدنّية .. وفي الاسلام خصوصاً ، يظل تاريخ الفلسفة وتاريخ الروحانية غير قابلين للانفصال »(٤٤) .

وقد وصل هذا الاتجاه الجديد الى الدكتور صليبا في المرحلة الاخيرة من حياته ، فتنبه الى « أن هنالك الى جانب الفلاسفة الذين نسجوا على منوال اليونان فلاسفة آخرين غيرهم نقدوا الفلسفة اليونانية وجاوزوا الحد الذي وقفت عنده ، وليس أدل على ذلك من اشراقية السهروردي وصوفية الغزالي وواقعية ابن خلدون ، فإن في آرائهم وآراء بعض الفرق الاسلامية ابتكارات كثيرة .»(٤٥) اننا نقع في مقدمة « الدراسات » على ما يشبه الاشارة الى أنه قام بدراسات في هذه الميادين الجديدة(٤٦) ؛ فهل عنى بها ما كتبه عن صوفية الغزالي وفلسفة ابن خلدون التاريخية والاجتماعية ؟ انني لم أعثر له على دراسة ، مثلاً ، لحكمة الإشراق عند السهروردي ، فهل هناك دراسات من هذا النوع مازالت مخطوطة ؟

الرسالة الجامعة :

قلت سابقا إن أحد مجالات نشاط الدكتور صليبا المجمعي كان تحقيق مخطوطات من التراث . فقد حقق الرسالة الجامعة ، ونشرها المجمع : الجزء الأول سنة ١٩٤٨ والجزء الثاني سنة ١٩٥١ . واعتمد في التحقيق على أربع مخطوطات محفوظة في دار الكتب الظاهرية والخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية وفي طهران وفي دار الكتب الوطنيـــة في باريس . واستأنس بمخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ، واطلع على مخطوطة في مكتبة أحد الأمراء في سلمية ، وهي التي نُشرت فيما بعد بعنـــوان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« جامعة الجامعة » . ووصف المخطوطات الاربع ، ما عدا الباريسية منها فقد اعتمد على وصف الدكتور عادل العـوا وكذلك على نسخته التي انتسخها عنها .

وكانت طريقته في التحقيق أن يقرأ النص في مخطوطة ويقابله بما في المخطوطات الاخرى ثم يختار الاصح والاصـدق ، ويشير الى الروايات المختلفة ، حين توجد ، في ذيل الصفحات .

وحين اصطدم بكتابات على المخطوطات تنسب الرسالة الى الحكيم المجريطي : فعلى الصفحة الاولى من مخطوطة الظاهرية تعليق « لأحـد الفضلاء » يؤكد هذه النسبة ، وعنوان المخطوطة التيمورية يقول «رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا للمجريطي رحمة الله عليه » ، أما مخطوطة طهران فمخرومة من أولها ، ومخطوطة باريس ليس عليها ما يشير الى مؤلفها ، ولكن البارون دوسلان في الفهرست الذي نظمه للمخطوطات العربية في دار الكتب الوطنية بباريس ينسبها للمجريطي .

وتجاوزت المسألة كتابات على مخطوطات ، فحاجي خليفة (١٠١٧ـ ١٠٦٧) يقول في « كشف الظنون » : إن هناك كتاباً اسمه رسائل اخوان الصفا للحكيم المجريطي أولها الحمد لله الذي خلق فسوى وأنه نسخة مغايرة على نمط اخوان الصفا[٤٦] ؛ وهذا الوصف ينطبق على الرسالة الجـامعة .

والمحبي (ـ ١١١١) في « خلاصة الاثر »[٤٧] يروي عن محمد بن عبد العزيز بن حسن جان الشهير بالبهائي مفتي الديار الرومية (١٠١٠ ـ ١٠٦٤) : أنه سئل عن كتاب إخوان الصفا وحكم قراءتها فكتب : أنا الفقير رأيتها منسوبة للمجريطي وما تحققت من هو وما أخباره .. وينقل عن ابن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حجر المكي (٩٠٩ ــ ٩٧٤) من فتاويه أنه سئل عن صاحب رسائل اخوان الصفا وما ترجمته وما حال كتابه فأجاب بقوله : ... الصواب أن مؤلفها مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي .. وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية وممن شدّد عليه ابن تيمية ولكنه يفرط في كلامه فلا تغتر بجميع ما يقول . وعلى ذلك تكون المسألة قد تجاوزت الرسالة الجامعة الى رسائل اخوان الصفا وأصبحت جميعاً من تأليف المجريطي .

أقول : حين وجد الدكتور صليبا نفسه تجاه هذه الاقوال وجد أن عليه أن يقوم بمحاولة في تحقيق نسبة هذه الرسالة . وهذا ما فعله في المقدمة :

بدأ فترجم للحكيم المجريطي مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي القرطبي الاندلسي أبي القاسم المولود في مجريط والمتوفى فيها سنة ٣٩٨ ــ معتمداً على القاضي صاعد (ــ ٤٦٣)[٤٨] وابن بشكوال (٤٩٤ ــ ٥٧٨)[٤٩] والقفطي (ــ ٦٤٦)[٥٠] وابن أبي أصيبعة (ــ٦٦٨)[٥١] وابن خلدون (٧٣٢ ــ ٨٠٨)[٥٢] والمقري (٩٨٦ ــ ١٠٤١)[٥٣] . فذكر شهاداتهم لــه بعلو الكعب في الرياضيات والفلك والمعاملات . وأن له كتابين[٥٤] : « رتبة الحكيم » في الكيمياء و « غاية الحكيم » في السحر والطلسمات ، ليخلص الى هذا النص من « رتبة الحكيم » : « وقد قدمنا من التآليف في العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعاباً لم يتقدمنا فيها أحد من أهل عصرنا البتة ، وقد شاعت هذه الرسائل فيهم .. ولا يعلم من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم . لما دأبوا على مطالعتها .. علموا أنها من تأليف زمانهم وعصرهم .. » . فتساءل : هل هذه الرسائل المشار إليها هي الرسالة الجامعة ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بدأ فأسقط قيمة الكتابات الموجودة على المخطوطات لأنها مقحمة على النصوص وليست بخطها . ثم لاحظ أن المؤرخين حتى القرن الحادي عشر ، والذين وصلت إلينا كتاباتهم ، لم ينسبوا له مثل هذه الرسالة ، وأن الاسلوب في هذه الرسالة يختلف تمام الاختلاف عن الاسلوب في « رتبة الحكيم » و « غاية الحكيم » ، فهو في هذين معقد مستغلق بينما هو في تلك يوشك أن يكون أدبيا ، ويشبه الاسلوب في رسائل إخوان الصفا ، ذلك الى أن أبواب الرسالة هي أبواب الرسائل نفسها وإن اختلفت شيئاً الفصول .

ثم إن الرسالة والرسائل في مواضع كثيرة منها يحيل كل طرف منها الى الآخـر .

فقد جاء في الرسالة الجامعة مثـلا : « .. ولذلك شرطنا في كتبنا وقدمنا في رسائلنا أنه لا يحل لأحد من أهل الاديان ، أي دين كان ، أن يتهجم على هذه الرسالة وأن ينظر فيها ويطلع عليها إلا بعدما يرتاض بقراءة ما بين يديها من الرسائل المقدمة عليها لتتهذب نفسه .. فإن قراءته للرسائل المتقدمة تكون معينة له على القراءة في هذه الرسالة »[٥٥] . وجاء فيها « فهكذا يكون لإخوان الصفاء كتاب يعرف بهم ولغة فيما بينهم لايشاركهم فيها سواهم »[٥٦] . كما جاء في رسائل إخوان الصفا مثلاً : « .. وتليها الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها ، المشتملة على حقائقها بأسرها .. والرسالة الجامعة مـن رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدمناه وأقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد »[٥٧] . وجاء فيها : « وأما العبادة الثانية فهي العبادة الفلسفية الإلهية وهي الإقرار بتوحيد الله عز وجل ، وقد تقدم ذكرها في صدر الرسالة الجامعة »[٥٨] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا ينتهي به التحقيق الى القـول : « إما أن يكون المجريطي مؤلف الرسالة الجامعة هـذه ومؤلف رسائل اخـوان الصفا معا ، وهذا مشكوك فيه للاسباب التي قدمناها . وإما أن يكون مؤلف رسالة في هذا الموضوع ولكنها غير هذه على كل حال . والغالب على الظن أن المجريطي لم يؤلف قط رسائل اخوان الصفا ولا الرسالة الجامعة وانما نحله إياها الوراقون .. » . الى هذا الحكم ينتهي الدكتور جميل صليبا ، وهـو واضح لمن له أقل إلمام بأسلوب العلماء المتحفظ الحذر : إنه يثبت أن مؤلف رسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة واحد ، وينفي أن يكون الحكيم المجريطي ويقف ، إذ لم يشأ ، أو لم يجد المقدمة تحتمل ، أن يزج بنفسه في المشكلة الشائكة ، مشكلة من هو مؤلف أو من هم مؤلفو رسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة .

فمن عجب أن يأتي من بعد ذلك من يقول : « أما رسالة الجامعة التي حققها الدكتور صليبا ونسبها للمجريطي ظلماً وعدواناً ... ولا أدري كيف تجرأ الدكتور صليبا على نسبة هذه الرسالة الى المجريطي وهو يعلم تمام العلم بأنه لم يكتبها ولم يؤلفها ، وكل ما هنالك أنه نقلها معه من المشرق الى المغرب .. »[٥٩] .

إن الباحث عن أوليات جماعة إخوان الصفا ورسائلهم يخبط طويلاً دون أن يبلغ غاية يرضاها . انها ، الجماعة والرسائل ، ولدت في ظـلام التخفي ، أو الستر كما يقول الاسماعيلية ، ولم تبدأ بالظهور إلا بعد تغلب البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤ . ونحـن مدينون لأبي حيان التوحيدي (ـ ٤١٤) في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » بأول نص يتحدث عن اخوان الصفا والرسائل . إذ يروي[٦٠] أن الوزير أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وزير صمصام الدولة البويهي سأله عن زيد بن رفاعة ، فوصفه بالذكاء الغالب والاطلاع الواسع والتصرف في كل فن . فسأله الوزير : « فعلى هذا ما مذهبه ؟ » فأجابه :

« لا ينسب لشيء ولا يعـرف برهط .. وقد أقام بالبصرة زماناً طويلا ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البيستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي ابن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعـوفي وغيرهم ، فصحبهم وخدمهم . وكانت هـذه العصابة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته . وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية . وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال .

« وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة : علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرستاً ، وسموها رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وكتموا أسماءهم ، وبثوها في الوراقين ولقنوها للناس .. وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق الموهمة .. قد رأيت جملة منها ، وهي مبثوثة من كل فن تتفاً بلا إشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات ... » .

وحين سأله الوزير : أفما سمع شيئاً من هذا المقدسي ؟ قال : .. انه هيج يوماً فاندفع فقال : « الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الاصحاء ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والانبياء يطبون للمرضى .. فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها ... غاية مدبر المريض أن ينتقل به الى الصحة .. وغاية مدبر الصحيح أن يحفظ الصحة ، واذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل وفرّغه لها .. وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى .. وقد صار مستعداً للحياة الإلهية ... فإن كسب من يبرأ من المرض بطب صاحبه الفضائل أيضا ، فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل ، لأن احداهما تقليدية والاخرى برهانية .. وهذه روحانية وهذه جسمية..»

ويبدو من هذا النص أن أبا حيان قد عرف القوم وآراءهم بالعشرة والمناظرة والقراءة ، وأن رسائلهم قد وجدت طريقها الى حلقات المثقفين والخاصة في ذاك الزمان .

وعن أبي حيان ، على الاغلب ، أخذ مؤرخو الحكمة والحكماء : فالبيهقي (ــ ٥٦٥) يذكر أسماء الجماعة مع قليل من التحريف ويضيف «ألفاظ هذا الكتاب (الرسائل) للمقدسي»[٦١] . والقفطي ينقل كلام أبي حيان على غرد[٦٢] . وحاجي خليفة يذكر الاسماء نفسها مع بعض التغيير. ويمضي هذا الخط الاول في نسبة الرسائل حتى مستشرقي العصر الحديث والكتاب العرب والمسلمين فيه : ينقلون ماذكر التوحيدي ، سواء أوافقوه أم خالفوه .

ولكن حاجي خليفة يفرد فقرة خاصة ثانية لرسائل يدعوها رسائل اخوان الصفا ، ويقول إنها تختلف عن الاولى وإن كانت على شاكلتها (وهي الرسالة الجامعة ــ كما ذكرنا من قبل) وينسبها للمجريطي . ومن قبله نسب ابن حجر المكي في فتاويه والبهائي مفتي الديار الرومية ــ كما نقل عنهما صاحب خلاصة الاثر ــ الرسائل كلها للمجريطي . فلا بد أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يكون قد وقع الى كل منهم نسخة أو أكثر من الرسالة أو الرسائل منسوبة للحكيم الاندلسي ، أو نقلوا عمن وقع له مثل ذلك . يذكر بروكلمان[٦٣] أن في مكتبة الاسكوريال مخطوطة بعنوان « مختصر رسائل اخوان الصفا لمسلمة بن أحمد المجريطي » . وسواء أكانت هذه المخطوطة مختصراً حقاً للرسائل أو كانت الرسالة الجامعة ذاتها ، وسواء أختصر مسلمة الرسائل أم لم يختصرها ، فغير مستبعد أن يقع مثل هذا الوهم : فمسلمة هو الحكيم وإليه انتهت الحكمة في الاندلس ، وهو ــ أو تلميذه الكرماني على قول صاعد ــ الذي حمل معه الرسائل من المشرق ، فإذا وقعت هذه الرسائل أو مختصرها ، إن وجد ، أو الرسالة الجامعة لطلاب الحكمة في الاندلس من بعده ، وهي خلو من اسم المؤلف ، فقد يظن بعضهم ، أو يوقن ، أنها من تأليف حكيمهم . وهكذا تردّ الاندلس الى المشرق رسائله وقد وسمتها بأنها صنعة أندلسية . وقد تولى الدكتور جميل صليبا ، كما عرضنا من قبل ، تزييف هذا الخط .

وهناك أيضاً خط ثالث . فالنصوص التي كانت متداولة حتى أوائل الربع الثاني من هذا القرن ، وأكثرها نصوص سنية ، كانت تحيط إخوان الصفا باتهامات قوية في صحة الدين ، وذلك بين في نصوص التوحيدي ، أو بالصلة الوثيقة بالعقائد السرية الباطنية ، فابن تيمية[٦٤] مثلا يخلط بين اخوان الصفا وبين مختلف المذاهب الباطنية ، والبهائي المفتي يقول[٦٥] : « ... وحاصل تلك الرسائل ليس إلا مذهب الباطنية الاسماعيلية » . وكان يلوح في هذه النصوص دعوى إما مرفوضة أو مشكوك بها شكّاً شديداً . فالقفطي يقول : « .. ولما كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها ، وكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا هي من كلام بعض الأيمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الإمام الواضع لها اختلافا لايثبت له حقيقة .. » وابن حجر المكي أجاب في فتاويه حين سئل عن صاحب رسائل إخوان الصفا[٦٦] : « نسبها كثير الى جعفر الصادق وهو باطل .. » . والنصوص القليلة غير السنية أقرت هذه الصلة . قال غلام أحمد القادياني[٦٧] (١٢٥٢ ــ ١٣٢٦) : « ولما خشي الإمام أحمد بن عبد الله أن يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة ألف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية .. » .

ولكن منذ حوالي خمسين سنة أخذت تبرز الى النور نصوص كثيرة من الاديبات الاسماعيلية ، إما من قبل الباحثين من مستشرقين وشرقيين وإما من جهة الاسماعيليين أنفسهم . وفي هذه النصوص تأكيد لتلك الدعوى وتحديد ، على اختلاف ، للإمام الذي اليه يرجع تأليف الرسائل والرسالة الجامعة أو الإشراف على تأليفها .

جاء في رسالة « الأصول والأحكام » للداعي أبي المعالي حاتم بن عمران بن زهرة (٤٤٩ ــ ٤٩٨) : « فلما انتقل الإمام محمد بن اسماعيل الى دار البقاء تسلمها ولده المستور أحمد الوفي ، وهو أول من ستر نفسه عن الاضداد من أهل عصره المخالفين ... وكنيت الدعاة بأسمائهم تقية عليهم .. وتاهت فيهم أولو الضلال حتى قالوا ان الإمام .. هو عبد الله ابن ميمون .. وزعم البعض أنه عبد الله بن سعيد بن الحسين أو عبد الله ابن مبارك أو عبد الله بن حمدان . وإن هؤلاء الاربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثنان وخمسون رسالة »[٦٨] .

وفي كتاب « عيون الاخبار وفنون الآثار » (السبع الرابع) للداعي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلق ادريس عماد الدين القرشي (ـ ٨٧٢) : « وكان المأمون حين احتال على علي بن موسى الرضى بن جعفر الصادق (ع) ظن أن أمر الله قد انقطع .. وأنه قد قطع ذرية الإمامة .. سعى في تبديل شريعة محمد ﷺ وعلى آله وتغييرها ، وأن يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين .. فحين شاع ذلك منه وظهر عنه ، وخشي الإمام عليه السلام أن يميل الناس الى مازخرف فألف رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وجمع فيها من العلوم والحكم والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية .. ثم إن الإمام (ع) أمر أن تبث تلك الرسائل في المساجد ، لتقوم بها على المخالفين البراهين والشواهد ، فحين وقع الناس عليها ، رفعت الى المأمون بن هارون ، فعلم أنه لم يصنع شيئاً ، وأن مارامه من قطع حبل الإمامة لايكـون ... »[٦٩] ؛ والإمام المقصود هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، المعروف بأحمد الوفي.

وهناك نصوص اسماعيلية أخرى ، وفي النصوص جميعاً اضطراب وبينها اختلاف .

وبعد ، ما الرأي ؟

يلاحظ الدكتور عبـد الرحمن بدوي[٧٠] أن هنـاك اختلافا بين الاسـماعيلية واخوان الصفا في مسألة وجـود الموجودات عـن الله : فالإسماعيلية ، وشيخ فلاسفتهم أحمد حميد الدين الكرماني (توفي بعد سنة ٤١١) ، يرون أن وجود الموجودات عن الله لايتم بالفيض بل بالإبداع، بينما يأخذ اخوان الصفا بنظرية الفيض الافلاطونية الحديثة . ذلك الى فوارق مذهبية أخرى كثيرة . ويلاحظ أن اخوان الصفا كثيرا مايسخرون من المسبعة ، فيقولون مثلا : « وقد توغلت المسبعة في الكشف عن الاشياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السباعية فظهر لهم منها أشياء عجيبة ، فشغفوا بها وأطنبوا في ذكرها ، وأغفلوا ما سوى ذلك من المعدودات »• وينتهي الى أنه يمكن « أن نقرر بكل يقين أن اخوان الصفا ليسوا من الاسماعيلية في شيء ، بل لكل منهما مذهب مستقل مباين لمذهب الآخر » •

ولكن ملاحظات الدكتور بدوي غير كافية لنزع صفة الاسماعيلة عن إخوان الصفا • فالمذهب الاسماعيلي قد عانى منذ نشأته من اختلافات وصلت الى أصل العقيدة ، وخضع في تاريخه للكثير من التطورات • ولم يكن ذلك خافيا على الدكتور بدوي(٧١) حين تحدث عن نشأة الاسماعيلية وعن الخلاف حول الإمام ، من هو بعد جعفر الصادق ، أهو اسماعيل أم محمد بن اسماعيل ؟ وحول الأئمة : هل تتجلى فيهم الألوهية أم لا ؟ وحين تحدث عن اسماعيلية منتصف القرن الثاني واسماعيلية منتصف القرن الثالث الخ••فاذا سلمنا للاسماعيليين بأن الرسائل ترجع الى عهد الإمام المستور أحمد الوفي (ـ٢٢٩) وأنها ألفت رداً على سياسة المأمون المذهبية والعملية،تكون قد ألّفت في أوائل القرن الثالث،ذلك بينما ترجع مؤلفات كبار مفكري الاسماعيلية الى القرن الرابع بل الى زمن متقدم في القرن الرابع• وفي أثناء ذلك اختلف الوضع بالنسبة للاسماعيلية : فقد خرجت من الستر الى الظهور ، وأصبحت قوة في المجتمع الاسلامي ، وعقيدة لدولة ، فخضعت بالتالي للضرورات التي تفرضها الدولة ، ودخلت في صراع فكري وسياسي قاس مع المذاهب الفلسفية ، وبخاصة مع المذاهب الاسلامية ، وعقيدة الخلق من العدم ، مثلا ، تقع في الاساس من الاسلام •

اذا كانت حجج الدكتور بدوي غير كافية ، فهل نقبل دعوى الاسماعيليين نسبة الرسائل الى الإمام أحمد ، ونرى في الجماعة التي تحدث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عنها التوحيدي جماعة اسماعيلية متخفية تولت ، أو كلفت بإشاعة الرسائل وبث ما فيها من عقائد بين العامة ، على أن لا نعني بهـذه الكلمة المعنى المتداول بل الذين أوتوا القدرة على معرفة الحقيقة الروحية وراء ظاهر الشريعة ؟ اننا في الواقع نحس نبض الاسماعيلية في الرسائل على الرغم من الحذر الشديد الذي تتخذه ؛ ولكننا نشتم أيضاً من النصوص الاسماعيلية التي ترجع الرسائل الى الإمام التقي روح الدعاية العقائدية والسياسية ؛ فلا المأمون التاريخي الذي نعرفه حاول أن ينقض الرسالة المحمدية ويحمل الناس على فلسفة يونان ، ولا مذهب الاعتزال الذي تبناه يحمل من الفلسفة أكثر مما تحمل الرسائل ذاتها . فهل نقول : إن الرسائل من عمل جماعة من المفكرين الاحرار تشبعوا بالفلسفة ، وبخاصة الفلسفة العرفانية التي كانت تملأ الجو الفكري في زمانهم ، فلما عثر عليها الاسماعيليون وجدوا فيها ضالتهم : أنها خير موطىء لعقائدهم وأفضـل ما يمكن استعماله في تهيئـة أذهان أولئك المثقفين القلقين الحائرين لقبولها ، فاستولوا عليها وأحاطوها بأسطورة الميلاد تلك ؟

يرى إيفانوف لحل هذه الصعوبة التاريخية ، ويوافقه على رأيه هنري كوربان[٧٢] ،أنه وجدت منذ عهد الإمام نواة لهذه الرسائل ما لبثت أن توسعت مع الزمن حتى أصبحت رسائل الاخوان .

وبعد هذا العرض ، غـير المستكمل على كل حال ، لايسعني إلا التوقف بانتظار اكتشاف نصوص أخرى تميل بكفة الميزان وتفيد بعض الاطمئنـان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب الحيـدة :

وحقق الدكتور صليبا «كتاب الحيدة» لعبد العزيز الكناني(ـ٢٤٠)، ونشره المجمع سنة ١٩٦٤ • وهذا الكتاب محضر لمناظرة جرت بحضـرة الخليفة المأمون (١٧٠ ـ ٢١٨ ، خلافته : ١٩٨ ـ ٢١٨) بين مؤلفه وبين بشر المريسي (ـ ٢١٨) حول مسألة خلق القرآن • وعنـوان الكتاب « الحيدة » مصدر لفعل حاد بمعنى مال وزاغ ، ويطلق في أصول المناظرة على فعل المسئول اذا هو حاد وزاغ في جوابه عن موضوع سؤال السائل الى موضوع آخر تفاديا للاحراج والتورط • وكتاب الحيدة هذا مكون من قسمين : الاول يتصل بالمناظرة وما سبقها ورافقها من ملابسات ، والثاني اعتذار للمأمون عما فرط من المؤلف إذ أملى وريقات عما جرى في المناظرة على بعض حملة المحابر فاستثار غضب المأمون • ولذلك جـاء عنوانه في كشف الظنون[٧٣] « الحيدة والاعتذار » •

واتبع الدكتور صليبا في التحقيق الطريقة نفسها التي اتبعها في تحقيق الرسالة الجامعة • واعتمد على أربع مخطوطات وعلى طبعة مصرية قديمة سقيمة • ثلاث من المخطوطات محفوظة في دار الكتب الظاهرية ، والرابعة في مكتبة توبنجن في ألمانيا •

وقدم للكتاب بمقدمة ضافية • بدأها بالتعريف بالمؤلف ، بعد أن رجع الى مصادر كثيرة تزيد على العشرة ابتداء من فهرست النديم وانتهاء بأعلام الزركلي • وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بـن مسلم الكناني المكي • أخذ الحديث عن عدد من الشيوخ منهم سفيان بن عيينة (١٠٧ـ ١٩٨)ولكنه كان قليل الحديث • ولزم الشافعي (١٥٠ـ٢٤٠) وصحبه في سفره الى اليمن حتى عرف به وبان أثره عليه في كتاب الحيدة في حديثه عن الخصوص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعموم والبيان . ولما أتته الى مكة أنباء المحنة بالقول بخلق القرآن في بغداد شد الرحال اليها مصطحبا ولده ، وفي مسجدها الجامع أعلن على الملأ إنكاره لخلق القرآن ، فحمل الى عمرو بن مسعدة الذي أوصله الى مجلس المأمون ، ورتبت مناظرة بينه وبين بشر المريسي فقطعه ، على قوله . ذكر بالدمامة حتى لقب بالغول . ولكنه كان ذرب اللسان سليطه ، كما يبدو في الحيدة . وكان جريئاً ، ولولا جرأته ما ركب الصعاب وغرر بنفسه ، ولكن يبدو لي أنه في جرأته يمتزج التدين بطلب الاشتهار . في احدى مخطوطات الظاهرية نص أقحم على الكتاب مروي بالسند نفسه الذي روي به الكتاب يقول : « جاء عبد العزيز الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله وهو في الحبس فقال : ان هذا الامر الذي أنت فيه ليس تطيقه على دقته فاذكرني ، فبعث إليه أبو عبد الله : أنا قد وقعت وأخاف أن أذكرك فأشيط بدمك فيكون قتلك على يدي ، ولأن أقتل أنا أحب إلي ، فانصرف بسلام » . ويرى الدكتور في هذا الخبر دليلا على جرأة عبد العزيز ، ولكنه ، ان صح ، قد لايكون أكثر من تعزية أو مجاملة ، اذ ماذا يمكن أن يكون جواب الإمام الورع إلا ما كان ؟ ثم بأي شيء يذكره وقد استقل بمناظرة سارت بذكرها الركبان في مجلس الخليفة نفسه حول المسألة التي يمتحن بها الإمام نفسها ؟

ويحشره صاحب الفهرست (ـ ٣٨٠) بين الزهاد والمتصوفة من طبقة الحارث ويجعل منه متكلماً مقدماً[٧٤] ، ولم يذكره ، فيما عدا النديم والاسنوي ، أحد ممن ترجم له (ووقعت لي ترجمته) بالكلام ، فلا بد أنهما غرتهما « المناظرة » . وجاء في الفهرست أيضا أن له كتبا ، لم يسمها ، في الكلام والزهد ، وكذلك لم يذكر له مترجموه غير كتاب « الحيدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاعتذار » كتاباً ؛ ويذكر هو في « حيدته » أن له كتابين هما : رسالة في فضل بني هاشم وكتاب السنن والاحكام .

حكم الذهبي (٦٧٣ ــ ٧٤٨) في « ميزان الاعتدال » أنه « لم يصح إسناد كتاب الحيدة اليه فانه وضع عليه »(٧٥) . ووافقه السبكي (٧٢٧ـ ٧٧١) في «طبقاته» على هذا الحكم لأن في الكتاب «أموراً مستشنعة»(٧٦) . فوجد الدكتور صليبا أن عليه أن يتحقق من صحة نسبة الكتاب الى مؤلفه. فلاحظ : أولا ، أن هناك إجماعاً على أن المناظرة قد وقعت . وثانيا ، أن الذين ترجموا لعبد العزيز السابقين منهم على الذهبي والسبكي واللاحقين لم يشككوا بنسبة الكتاب اليه . وثالثا ، أن حجة « الامور المستشنعة » ليست حجة يمكن اعتمادها في التاريخ ، وهي نسبية تختلف من عصر تاريخي الى آخر . ثم لاحظ رابعاً وجود فقرة في آخر كتاب الحيدة هذا نصها : « فسُرَّ المسلمون .. وجعل الناس يجيئون إلي أفواجاً .. فقالوا : لابد أن تملي علينا ماجرى .. فتهيبت ذلك وتخوفت سوء عاقبته ، فلما ألحوا علي قلت لهم : أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لايكون عليَّ حجة في ذكره فرضوا بذلك ، فأمليت عليهم أوراقاً يسيرة مقدار عشر أوراق مختصرة مما جرى لأقطعهم بها عني..ولم يتهيأ لي شرح هذا كله لما تخوفت على نفسي مما قد يلحقني بعضه ، وأنا أذكر ما لحقني بعد هذا المجلس وما جرى بسبب تلك الاوراق .. في كتاب مفرد بعد هذا .. »(٧٧) ــ فقدر أن هذه الفقرة تسمح له أن يفترض : أن أصل كتاب الحيدة هذه الوريقات العشر ، التي لقيت القبول من الناس ، فتداولتها أيدي النساخ والقراء سراً زمن المحنة ؛ ثم لما انكشفت في عهد المتوكل وانعكس الاتجاه اتخذت وسيلة للدعاوة : فالقادر بالله (٣٣٦ ــ ٤٢٢ وخلافته ٣٧١ ــ ٤٢٢) نظم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سنة ٤٢٠ ثلاثة مجالس جمع فيها الأشراف والقضاة والشـهود والفقهاء والوعاظ والزهاد ، في كل مجلس منها كان يقرأ كتاب من الخليفة يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب أهل السنة والطعـن على المعتزلة ، وفي المجلسين الثاني والثالث حوى كتاب الخليفة الطعن على من يقول بخلق القرآن، وتفسيقه وحكاية ما جرى بين عبد العزيز وبشر المريسي فيه ـ فالمتوقع أن تخضع أوراق الكناني ؛ وهـي تمر خلال العهود المتقلبة وتحـت عيون ذوي الأهواء وبين أيدي النساخ المتفاوتين في الثقافة للكثير من التحريف وأن يدس فيها الكثير من الاضافات بقصد التفصيل أو التوضيح أو التأييد بالشواهد الخ .. فتتضخم حتى تصبح كتاباً .

ولكن هذه الفقرة قد تسمح بافتراض آخر : من الواضح أنها لم تكن مما سطر في الاوراق العشر ، وأنها لم تكتب زمن المحنة ؛ أي ان عبد العزيز رجع ، بعد أن زال ما تخوفه على نفسه ، الى أوراقه ليشرح ما كان أوجز، ويعد بذكر مالحقه بسببها في كتاب مفرد . ذلك إلا اذا كانت الفقرة ذاتها مما أضافه النقلة ، وعندها لابد أن نواجه هذا السؤال : و « الاعتذار »؟ هل هم النقلة أيضـا الذين وضعوه ؟ ان ما يبدو معقولا أن يكون عبـد العزيز قد نام على مجد المناظرة والاوراق العشر طول عهد المحنة ، فلمـا جاء الفرج أعاد النظر في أوراقه ففصل ما كان أجمل وأوضح ماأبهم وأبدى ما كتم ، ثم سجل ما كان جرى في جلسة الاعتذار .. ثم جمع الكل في كتاب فكان «الحيدة والاعتذار» . ويبقى بعد كل حساب : الى أي مدى كانت ذاكرته صادقة وتعبيره مشكوماً ؟

ثم مضى الدكتور صليبا الى مسألة خلق القرآن فقال : لقد سـبق بشراً الى هذه المقالة جهم بن صفوان ومعظم المعتزلة ، وترجع عند هؤلاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى مسألة نفي الصفات عن الله ، التي ترجع بدورها الى التوحيد الاصل الاول من أصولهم الخمسة[٧٩] . ثم يعرض باختصار لبعض حجج المعتزلة ولموقف أحمد بن حنبل (١٦٤ ــ ٢٤١) وعبد الله المأمون .

وخطورة هذه المسألة لم تأت من مقام القرآن في عقيدة المسلمين وحياتهم فقط ، ولكن من أنها أصبحت أيضا عنوانا لعقيدة جعلها المأمون عقيدة للدولة وأراد أن يفرضها على الرعية مبتدئاً بالقضاة والمحدثين والشهود .

ولم يكن المعتزلة الاوائل الذين قالوا بهذه المقالة « نفي الصفات الإلهية » ، والمقالة الاخرى « خلق العباد أعمالهم » التي ترجع الى الاصل الثاني من أصولهم : العدل ، بل كان لهم أسلاف هم : معبد الجهني (قتل سنة ٨٠) وغيلان الدمشقي (قتل في خلافة هشام ٧١ــ١٢٥ وخلافته ١٠٥ ــ ١٢٥) ، في مسألة القدر ــ والجعد بن درهم (ذبحه أمير العراق خالد القسري سنة ١٢٤) وجهم بن صفوان (قتل ١٢٨) في مسألة الصفات .

بل يمضي المؤرخون المسلمون الى أبعد من الجعد وجهم فيرجعون بمسألة خلق القرآن الى اليهود . فقد نقل ابن كثير (٧٠١ ــ ٧٧٤) عن ابن عساكر (٤٩٩ ــ ٥٧١) وغيره أن[٨٠] « الجعد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم .. وأخذها لبيد عن يهودي باليمن . وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان .. » .

والمتكلمون قديماً والمستشرقون حديثا يرجعون بالمسألتين كلتيهما ، قبولا في احداهما ورداً في الاخرى ، الى النصارى ، والى يوحنا الدمشقي على الخصوص . فيوحنا كان معاصراً لأولئك الاربعة ، وجمعته مع ثلاثة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منهم دمشق ، وهو مؤلف كتاب « الإيمان الصحيح » ، وفيه عالج مسألة القدر وقال بحرية الانسان ، ورسالة « نقاش بين مسيحي ومسلم » • وفي هذه الرسالة نجد[٨١] : « اذا قال لك العربي : ما تقول في المسيح ؟ فقل له انه كلمة الله ، ثم ليسأل النصراني المسلم : بم سمي المسيح في القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم، فإنه سيضطر إلى أن يقول : كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه ، فإن أجاب بذلك فاسأله : هل كلمة الله وروحه مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله اذن كان ولم تكن له كلمة ولا روح ، فإن قلت ذلك فسيفحم العربي لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين » •

مثل هذه المجادلة التي توقعها وحضر لها يوحنا الدمشقي كانت تقع بالتأكيد وتتكرر • ونجد انعكاساتها في أقوال المعتزلة والجاحظ (١٥٠ — ٢٥٥) خاصّة في « رسالة النصارى »[٨٢] حين أشار الى الكائدين للاسلام الذين يرتضون القول بنفي خلق القرآن ويرحبون بمقالة الفقهاء والمحدثين •• والمأمون في كتابه الثاني الى إسحق بن ابراهيم في بغداد من معسكره على حدود الروم حول المحنة بالقرآن يقول : « وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله •• »[٨٣]

ولم يكن الصراع مع النصرانية الوحيد الذي كان على المعتزلة أن يخوضوه ، ماداموا قد ندبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام ، بل كان عليهم أن يصارعوا كذلك المجوسية والمنانية وكل العقائد العرفانية والفلسفات اليونانية • ويبدو أن الخليفة المأمون ، وعلاقته بالاعتزال وكبار المعتزلة مثل النظام وثمامة بن أشرس وابن أبي دؤاد كانت علاقة قوية ، اعتقد أنه بعقيدة المعتزلة وبرجالاتهم يستطيع أن يدفع عن الاسلام الغوائل ويحافظ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على حقيقتــه ويوحد الامة بها . فبــدأ بتقديم المعتــزلة ووضع قــوة الدولة تحت تصرفهم ، وأعلن[٨٤] سنة ٢١٢ مقالة « خلق القرآن » عنواناً لعقيدة الدولة ، وبدأ محنة الفقهاء والمحدثين .. وفي أخريات أيامه بلغ اندفاعه حد الطغيان ، وهو المشــهور بحلمه وتسامحه ، ثم وصّى بها إذ حضره الموت أخاه وخليفته المعتصــم ، (١٨٠ ــ ٢٢٧ وخلافته ٢١٨ ــ ٢٢٧) . وقد أخطأ المأمون وأخطأ المعتزلة في فهم حقيقة الاسلام .

إن مشكلة التنزيه والتشبيه من المشكلات الاساسية في الاسلام . ففي القرآن آيات تبلغ في التنزيه الغاية « ليس كمثله شيء »[٨٥] ، وآيات متشابهات تلقي في الروع التشبيه « الرحمن على العرش استوى »[٨٦] ، وبين هذه وتلك أسماء الله وصفاته . وكان لابد من مجموع هذه الآيات لتصح العبادة ان من حيــث الامكان وان من حيث الاكتمال والامتــلاء بالخشية والمحبة . فمنتهى التنزيه يقطع ما بين العبد وربه ، ويرمي به في هوة مظلمة ، إذ تمتنع عليه أية معرفة ، فلا يستطيع أن يسميه بله أن يدعوه ويناجيه . ونهاية التشبيه الحلول والتجسيد ، فيصبح الإله شيئاً من أشياء الطبيعــة ، فلا يستطيع الانسان أن يعبده حق العبادة مهما بلغ من جماله أو جلاله،إذ لاعبادة روحانية إلا حين يتجاوز المعبود العابد تجاوزاً لايتصور معه أن يبلغه مهما اتسعت أوهامه ، وإلا كانت العبادة مادية تحت تصرف منافع الانسان . فالعبادة الحقة انما تقوم على هذا الجــدل المستمر بين التنزيه والتشبيه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن »[٨٧] . وهذا معنى عبادة الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه »[٨٨] . ولكــن الانسان كان « أكثر شيء جدلا »[٨٩] ، فهو بعقله لا بحقيقته الكلية يدفع الامور الــى نهاياتها . وهكذا وجد في الاسلام من دفع التنزيه الى نهاياته وهم المعطلة،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن دفع التشبيه الى نهاياته وهم المشبهة والمجسمة • والمعتزلة ممن غالى في التنزيه فنفوا الصفات عن الله أياً ماكان التعبير الذي اتخذوه : عالم لا بعلم وقادر لا بقدرة أو عالم لذاته وقادر لذاته أو عالم بعلم وعلمه هو هو وقادر بقدرة وقدرته هي هو الخ •• فعطلوا صفاته وبالتالي عطلوه ، ولم يخطىء أهل السنة حين دعوهم المعطلة • وكانوا منطقيين مع أنفسهم حين نفوا عنه خلق أكساب العباد،وقالوا ان الانسان خالق أعماله ، فنفوا القدر• ولكنهم أخطؤوا حقيقة الاسلام الجدلية ، فكان لابد أن ينتهوا الى المصير التاريخي الذي انتهوا اليه •

وانتهى الدكتور صليبا الى تلخيص كتاب الحيدة • « والحيدة » كما هو مفترض تسجيل للمناظرة بين الكناني والمريسي • وقد جرى التعريف بالاول فلا بد من التعريف بالثاني :

هو[٩٠] بشر بن غياث المريسي (ــ ١١٨) ، فارسي بغدادي ، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف (١١٣ ــ ١٨٢) صاحب أبي حنيفة (٨٠ــ ١٥٠) ، ثم مال الى الكلام • واتصل بالشافعي حين قدم الى بغداد ، ونصحه الشافعي بترك علم الكلام ، فكان جوابه : لنا نهمة فيه • وهو من المرجئة[٩١] بل رأس فرقة من المرجئة • والمرجئة فرق : فمنهم من قالوا بقول المعتزلة بالصفات وبالتالي بالقرآن ومنهم الفرقة المريسية ، ومنهم من قالوا بمقالة المجبرة الذين يرون أن الله يخلق أكساب العباد والمريسية منهم ؛ حتى أصبح بشر رأس الفرقة مهجور الصفاتية والمعتزلة ، كما يقول صاحب « الفرق بين الفرق »[٩٢] •

وكتاب الحيدة ، اذا اطرحت منه المقدمات والتعليقات والمشاغبات والتكرار والشواهد الكثيرة بدون ضرورة والاسراف في مدح الخليفة وما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يظن أنه أقحم عليه ، قد تزيد عليه ورقات عبد العزيز العشر الاولى .
فالمناظرة تنقسم الى قسمين : الاول حين اتفق على أن يكون القرآن والسنة الاصل الذي يرجع اليه في حال الاختلاف في الفروع ، وهو أكثر من تسعة أعشار المناظرة ، والثاني حين أصبح هذا الاصل النظر والقياس .

والقسم الاول يرجع الى حجتين على خلق القرآن ونقضهما : « شيئية القرآن » و « جعل القرآن » .

الحجة الاولى : القرآن بنص التنزيل شيء ، وبنصه أيضا « الله خالق كل شيء »(٩٣) ، فالقرآن مخلوق من مخلوقات الله .

الرد : القرآن شيء ، هذا صحيح ، ولكن شيء هنا لاتدل على أكثر من اثبات الوجود ونفي العدم لاعلى أنه اسم له وأنه كالاشياء . وقد أجرى الله على كلامه ما أجراه على نفسه اذ دل على نفسه أنه أكبر الاشياء بالمعنى الاول ، قال : « قل أي شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم »(٩٤)، ولكنه نفى عن نفسه المعنى الثاني « ليس كمثله شيء » . وكذلك بالنسبة الى كلامه قال : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء،قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس؟»(٩٥) . فالتوراة كلام الله شيء ولكن بالمعنى الاول ، والدليل الآية « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون »(٩٦) ، فقول الله هنا ليس كالاشياء وغير الاشياء وخارج الاشياء وتكون الاشياء به . أما بالنسبة للآية « خالق كل شيء » ، فالله يقول : « ويحذركم الله نفسه »(٩٧) ، ولكنه يقول أيضا: « كل نفس ذائقة الموت »(٩٨) ، فهل ينطبق هذا الحكم على نفس رب العالمين ؟ بالطبع لا ، وكذلك الخلق بالنسبة لكلام الله فإنه لا يشمله . فالخبر في القرآن قد يكون مخرج لفظه عاماً ومعناه خاص ، ويتبين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخصوص فيه إما بالاستثناء المباشر ، أو الاستثناء غير المباشر بخبر خاص يتقدمه . فالآية «كل نفس ذائقة الموت» قد خصصتها الآية «وتوكلت على الحي الذي لايموت »[٩٩] ومثلها الآية « خالق كل شيء » خصصتها الآية « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقـول له كن فيكون » التي أخرجت قول الله من الاشيـاء .

الحجة الثانية: القرآن مخلوق بنص الآية «إناجعلناه قرآناً عربياً»[١٠٠]. ومعنى جعلناه خلقناه .

الرد : جعل تأتي في القرآن بمعنيين : خلق ، كما هو معناها في الآية «الحمد لله الذي خلق السموات والارض، وجعل الظلمات والنور»[١٠١]؛ وصيَّر ، كما في الآية « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك »[١٠٢] . وجعل بمعنى خلق تكون في القول المفصل ، وهو مايستغنى به دون حاجة الى توصيل الكلمة بغيرها من الكلام . فالآية « وجعل لكم السمع والابصار والافئدة »[١٠٣] من القول المفصل لأنها مستغنية بذاتها . أما جعل بمعنى صيَّر فتكون في القول الموصّل ، والقول الموصل هو ما لايفهم المقصود منه اذا لم توصل الكلمة بغيرها من الكلام. فإبراهيم وإسماعيل حين سألا ربهما « ربنا واجعلنا[١٠٤] .. » لو سكتا عند اجعلنا لم يكـن لدعائهما معنى ، فالله قد خلقهما وانتهى الامر ، ولكن حين أضافا « مسلمين لك » اتضح المعنى وكان « صيرنا مسلمين لك » . والآية « إنا جعلناه قـرآنا عربيا » من القول الموصل ، ومعناها « صيرناه قرآناً عربياً » .

والقسم الثاني من المناظرة القائم على أصل النظر والقياس يحتوي على ثلاث حجج متهافتة كلها ، وترجع اثنتان منها الى القرآن . ولكن عبد العزيز يجب أن يفوز فعلى بشر أن يعجز عن تفنيدها !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حجة : اذا كان القرآن مخلوقاً ، فالله خلقه إما في نفسه أو في غيره أو قائماً بذاته • ويمتنع القول الاول لان الله لايكـون مكانا للحوادث ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء • ويمتنع الثاني لما يترتب عليه من تساوي كلام الله مع كل كلام آخر خلقه الله في غيره من الشعر وقول الزور والكفر والفحش • والثالث يستنع عقلا لان الكلام لا يقوم بنفسه ولا يكون إلا من متكلم •

حجة : كان الله ولا شيء معه ، ثم أحدث الاشياء بقدرته ، فإذا لم تكن قدرته متميزة من فعله ، والله ما زال قادراً ، فالله ما زال فاعلا ومحدثاً للاشياء ، فالاشياء اذن ما زالت مع الله ، وفي هذا نقض للقول الاول • أما اذا كانت القدرة غير الفعل ، فان القادر ما زال سيفعل ، وفعله بقوله كن • فأول خلق خلقه الله كان بقول قاله وارادة أرادها وقدرة قدرها ، وذلك كله متقدم قبل الخلق ، فليس هو من الخلق في شيء •

حجة : ان الله في القرآن أخبر عن خلق الانسان في ثمانية عشر موضعاً ، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ، فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ، ثم جمع بين الانسان والقرآن في موضع واحد ، فأثبت الخلق على الانسان ولم يثبتـه على القرآن ، قال : « الرحمـن علم القرآن خلـق الانسان »[١٠٥] ، فهل فرط الله في الكتاب حين لم يخبرنا عن خلق القرآن ، وهو القائل : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »[١٠٦] ؟

وأخيرا قد يكون هناك ما يسوّغ ذكر بعض الملاحظات حول كتاب الحيـدة :

(١) ان المؤرخين يحددون فيما يتصل بمسألة خلق القرآن سنتين : سنة ٢١٢ وفيها أعلن المأمون المقالة ، وسنة ٢١٨ وفيها بلغت المحنة درجة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التنكيل ، وتسكت عما جرى في الفاصلة الزمنية بين التاريخين • ويأتي كتاب الحيدة فيملأ بعض الثغرة ويكشف بعض الكشف • فقد قدم بعض الصور عن الارهاب الفكري والمادي المخيم على بغداد • قال عبد العزيز : « وكان الناس في ذلك الزمان في أمر عظيم ، قد منع الفقهاء والمحدّثون والمذكرون والدعاؤون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما ••• وكل من أظهر مخالفتهم (جماعة القائلين بخلق القرآن) وذم مذهبهم أو اتهم بذلك أحضِر ، فإن وافقهم ودخل في كفرهم •• تُرك ، وإلا قتلوه سراً وحملوه من بلد الى بلد ، فكم من قتيل لم يُعلَم به وكم من مضروب قد ظهر أمره ••• »[١٠٧] • هذا النص وأمثاله كثير قد يسمح بالقول : ان ممارسة فرض العقيدة بدأ منذ سنة ٢١٢ ، وأخذ شكلين : شكلا رسميا باستبعاد المخالفين من القضاة والشهود •• عن أعمال الدولة ، ومنع المدرسين والوعاظ من التدريس والوعظ في المساجد ؛ وشكلا آخر يبلغ فيه الارهاب درجة التنكيل والاغتيال يتولاه أمثال بشر المريسي ومحمد بن الجهم والطبقة الدنيا من المعتزلة •

(٢) ان المأمون ، على ما يظهر ، لم يأخذ الكناني مأخذ الجد بل عدّه انساناً مهووساً لا أكثر ، ولكنه أراد أن يكفه عن العامة ، فهو من جهة يعبث به عبثاً واضحاً ويغري به المريسي وابن الجهم وغيرهما ــ وتكفي للبيان الصورة التالية : « •• فوثب بشر إلي •• كالاسد الى فريسته ، فجاء فانحطّ عليّ فوضع فخذه اليسرى على فخذي اليمناء فكاد أن يحطمها ، واعتمد عليّ بقوته كلها ، فقلت له : مهلا ، فإن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لم يأمرك بقتلي وظلمي وانما أمرك بمناظرتي وانصافي • فصاح به المأمون : تنحّ عنه وكرر ذلك عليه مراراً ••»[١٠٨] ــ ومن جهة أخرى يربت على نفسه كي يتطامن ويستكين •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٣) بل لم يأخذ المناظرة والمتناظرين مأخذ الجد ، بل كانت بالنسبة اليه والى حاشيته ، نوعاً من لهو الخلفاء والكبراء المترفّع وعبثهم • وكثير من حركاته الصغيرة التي كان الكناني يلتقطها بدقة وان لم يفهم معانيها ، وما سمح به من شغب بحضرته وصياح وضجيج •• تكشف عن الدور الذي أراده لهذه المناظرة • وإلا فكيف يفهم تسليمه بتفنيد الكناني لحجتي « شيئية القرآن » و «جعل القرآن» ، وقد أعادهما برسائله المشهورة[١٠٩] في محنة العلماء الأثريين ، بل لقد أصبحتا من الحجج التقليدية عند المعتزلة، وبهما واجه ابن أبي دؤاد أحمد بن حنبل بحضرة المعتصم[١١٠] •

(٤) يبدو المريسي في المناظرة قاصر الحجة قليل المهارة في الجدل قد ترك المبادرة لخصمه حتى في ميدان النظر والقياس المفترض أنه ميدانه ، وما هكذا تصوره كتب التاريخ والتراجم ، بل تعطيه دوراً كبيراً في التلبيس على المأمون وتضليله[١١١] ؛ وبرأيي أنها أعطته أكبر من حجمه ، كما أعطاه عبد العزيز أصغر من حجمه • وقد سجل المريسي أيضا المناظرة أو شيئاً عنها في آخر كتاب له دعاه « كتاب الكمال في الشرح والبيان بخلق القرآن رداً على أهل الكفر والضلال »[١١٢] • ولو أنه بقي لرأينا المناظرة من زاوية أخرى وصورة الكناني بعيني المريسي •

(٥) يتهيأ للانسان في مواضع كثيرة من كتاب الحيدة ، على الرغم من وحدة الاسلوب ، أن هناك فقرات وجملاً وشواهد قد أدخلت على النص الاصلي ، وأحياناً يكون موضوع بتمامه قد أقحم اقحاما • وفي مثال واحد كفاية : بينا عبد العزيز يبلغ في تفنيد حجة « شيئية القرآن » النهاية أو يكاد،اذا به يطرح مسألة جديدة عن علم الله[١١٣] فيفصل القول تفصيلا، ثم يعود مرة أخرى الى موضوعه الاول ، فيتحدث حديثا مطولا عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخصوص والعمـوم(١١٤) • ذلك دون مناسبة واضحة بين طرفي الكلام ووسطه • هناك بالتأكيد صلة قوية بين علم الله وكلام الله وخلق القرآن لأنها جميعا ترجع الى المسألة الكبرى « صفات الله » ، ولكن الكناني لم يشعر أي اشعار بهذه الصلة ، والمريسي بدوره لم يعترض على طرح المسألة، وكان قبلها قد رفض رفضاً باتاً أن يخرج عن « خلق القرآن » الى « كلام الله » • فلن يُطرح اذن في غير مطرح الظن بأن عبد العزيز حين أعاد النظر في نصه الاول ،وكان قد اطلع على معلومات وتذكر معلومات وفطن الى أدلّة ، رأى أنه يمكن أن يفيد منها اذا هو أضافها الى النص • وهكذا زج بمسألة العلم وربما بموضوع الخصوص والعموم الذي كان قد سمعه من الشافعي ••

(٦) وفي النهاية ، إن كتاب الحيدة ، برأيي ، ذو قيمة محدودة من حيث هو نص كلامي ، ولكنه قيم من حيث هو نص أدبي • ان التجهيزات المسرحية والاخراج وربما التمثيل كانت جميعاً جيدة ، ولكن الحوار كان ضعيفاً • فالمقدمات والحواشي والتفصيلات واللقطات الجزئية والخواتيم ••تكشف كشفاً حسناً منظراً من مناظر عبث الخلفاء الذين هم من نمط المأمون في سعة التفكير وقوة الخلق • كما تكشف عن بعض من أساليب الارهاب في صورته الملطفة • ثم انها تقدم لنا ملامح لبعض الشخصيات التي اشتركت في هذه المناظر ، كالخليفة المأمون وعمرو بن مسعدة وحاجب المأمون ومحمد بن الجهم ، وتكاد تحـدد ، اذا جمعناها الـى روايات الإخباريين ، السمات الاساسية لشخصيتي الكناني والمريسي •

والغريب أن هذين الشخصين يتشابهان في ملامح كثيرة في الخلق والخلق : فكلاهما كان على قسط من الدمامة : الكناني غول ، والمريسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«شيخ قصير دميم المنظر وسخ الثياب وافر الشعر أشبه شيء باليهود»[١١٥]. وكلاهما أوتي حظاً من روح الاستفزاز والعدوان ومن التحرق للظهور ولو بأساليب خارجة عن المألوف . وكلاهما من النموذج الذي يمكن أن تستلكه امتلاكاً تاماً فكرة أو اتجاه حتى تصبح هاجسه الوحيد وتقود كل تفكيره وسلوكه : فالكناني تملكه هاجس « مخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم .. »[١١٦] فقاده من مكة الى بغداد وزج به في مواجهة قوى الطغيان متعرضاً للاذى والسخرية ... والمريسي دفعته نهمته الى علم الكلام الى المخاطر . وقد تنبأ له أستاذه أبو يوسف « كأني بك قد شغلت على الناس خشبة الجسر »[١١٧] . والغريب أنهما كليهما كانت تربطهما بمحمد بن ادريس الشافعي رابطة وثيقة . ولكن أحدهما يبدو طيب السريرة طاهر النية،والآخر خبيث الطوية كثير الأذى . ولكن ، من يدري ربما كان يختلف السلوك لو اختلفت الادوار وتبادلا المكان من السلطان !

المعجم الفلسفي :

وأخيراً ، نصل الى المجال الثالث من مجالات نشاط الدكتور جميل صليبا المجمعي ، والى قمة عمله ، وقد توج به حياته الفكرية ، وهو المعجم الفلسفي ، الذي أصدر مجلده الاول سنة ١٩٧١ والثاني سنة ١٩٧٣ . ويقع فيما يقرب من ١٥٠٠ صفحة ، ويحتوي على ١١٦٠ مصطلحاً فلسفياً عربياً بحذاء كل مصطلح منها مقابله باللغات الفرنسية والانجليزية واللاتينية. وقد شرح كل مصطلح مبيّناً أصله اللغوي ومعانيه في المنطق والاخلاق وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال وماوراء الطبيعة والدين وعلم الكلام واللاهوت .. حين توجد مثل هذه المعاني . وكان حريصا على ايراد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النصوص الفلسفية التي تبين وجوه استعمال المصطلح • كل ذلك بأوجز الكلام وأوضحه •

وهذا المعجم هو محصول حياة جادة في دراسة الفلسفة وتدريسها وتحقيق نصوصها وترجمتها والتأليف فيها مع عناية خاصة بالمصطلح • وقد بدأ بمعاناة الفلسفة العربية والتعبير عنها باللغة الفرنسية وترجمة نصوص منها اليها منذ كان يحضر رسالة الدكتوراه • ويبقى العثور على المصطلح الفرنسي المقابل للمصطلح العربي في فلسفة ابن سينا على مشقته سهلاً ، لأن فلسفة الشيخ الرئيس ترجع بصورة عامة الى الفلسفة اليونانية ، وهذه قد أشبعت درساً وثبت مصطلحها في اللغات الاوربية • ولم يكن كذلك تدريس العلوم الفلسفية الحديثة في الربع الثاني من هذا القرن ، مع الحرص الشديد ــ المعروف عن الدكتور صليبا ــ على سلامة اللغة ووضوح التعبير والبعد جهد الامكان عن تهجين الكلام ، ومع افتقاد الاسلاف المحدثين الذين روّضوا اللغة العربية وحضروها لتلقي مثل هذه العلوم • وحين ألّف كتابه في علم النفس ألحق به فهرساً احتوى على ما يقرب من ٤٠٠ مصطلح عربي مع مقابله الفرنسي • وما زال تقلبه في الاعمال يغذي فيه هذا الميل الى وضع المصطلح وتثبيته : انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) ، والمصطلح شغل المجمع الشاغل ، وأصبح عميداً لكلية التربية ، فعاد لتدريس علم النفس والتربية ، وألقى محاضراتٍ باللغة العربية عن فلاسفة غربيين ، ومحاضرات باللغة الفرنسية عن الفلسفة العربية ، وانتخب ممثلاً لليونيسكو في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ، وترجم « مقالة الطريقة » لديكارت ، وشارك في ترجمة كتاب « إعداد المربي » ، وسمي عضواً في لجنة المديرين للموسوعة الميسرة الخ •• وفي مجلة المجمع كانت تظهر ، على مدى تلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السنين ، تتائج اهتمامه وعمله في هذا الميدان : ففي الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين سنة ١٩٥٣ ظهر مقال له حول « تعريب الاصطلاحات العلمية » ، ثم أخذت سلسلة « الاصطلاحات الفلسفية » تتتابعُ على امتداد ستة وثلاثين جزءاً ، ابتداء من الجزء الاول من المجلد الواحد والثلاثين سنة ١٩٥٦ حتى الجزء الثاني من المجلد السادس والاربعين سنة ١٩٧١ .

وقد قدم لمعجمه بمقدمة بسط فيها رأيه في وضع المصطلح وتثبيته ، وخلاصتها :

ان اللغة العربية لغة واسعة في اشتقاقاتها كثيرة المرونة غنية بألفاظها المتباينة والمتفقة والمترادفة . ومن هنا أُتيَ الكتّاب وبخاصة أرباب السَّجع والبديع ، فكثيراً ما يستعملون الالفاظَ المترادفةَ والمتواطئة بعضها في مواضع بعض ، مع أن الواجب على الكاتب اذا وقع على ألفاظ مختلفة متقاربة المعاني أن يبحث عن أسباب اختلافها ، ثم يستعملها كلاً في موضعه ، مادام من حق المعنى ، كما يقول الجاحظ «أن يكون الاسم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلا ولا مفضولا ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً »(١١٨) .

والامر أصبح مشكلة جدية في زمننا هذا . فالنقلة الذين ينقلون العلوم وغيرها من اللغات الغربية الى اللغة العربية كثيرا ما يستعملون الالفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، واللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة ، بل ان الكاتب الواحد لا يتقيد هو نفسه بالمصطلحات التي ارتآها فيخالف نفسه ، ذلك الى مخالفته سواه . فإلامَ تنتهي هذه الفوضى في المصطلح ؟ لاشك الى خفاء المعاني واهتزاز حدودها واختلاطها بعضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ببعض ، وما يتلو ذلك من ضلال القارىء ويأسه مما يقرأ أو تزينه بالكلمات الكبيرة الفارغة وترادها دون تثبت من مدلولاتها .

« فلا بد للعلماء اذن من الاتفاق على معاني الالفاظ ، ولا بدّ لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية ، حتى لاتتبدل الحقائق بتبدل الالفاظ التي أفرغت بها » . وهذا العمل انما يقوم به المختصون كل في علمه ومجال اختصاصه ، « لأنه ليس من شأن المجامع العلمية أن تضع الاصطلاحات ، وانما هي بشابة عضو رئيس في جسم العلم ، ينقـح ما يكشفه العلماء ويمحصه وينظمه ويثبته » . « والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي انشاء مجمع علمي واحد » . لقد طلب الدكتور صليبا كثيراً ، نحن أقل طموحاً منه ، نحن نكتفي بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية : تجتمع بانتظام ، وتضع خطة مشتركة ، وتوزع على المجامع الاعمال ، ثم تنظر في النتائج فتقر ما تقره وتعممه . وبذلك توفر الجهود وتوجه التوجيه الصحيح وتتوحد لا المصطلحات وحدها بل اللغة أيضا ، وعندها تتكلم جميعاً لغة عربية واحدة في هذا الوطن العربي .

ويقترح الدكتور صليبا على سبيل الاشارة لا الاحاطة ، أربع قواعد يجب اتباعها في وضع المصطلح العلمي :

الاولى : « البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته ، ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد » .

الثانية : « البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث ، فيبدل معناه قليلا ويطلق على المعنى الجديد » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثالثة : « البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق العربي » .

الرابعة : « اقتباس اللفظ الاجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية » .

ولم يدخر الدكتور صليبا جهدا في عمله . فقد رجع في اللغة العربية الى معاجم اللغة وبخاصة قاموس الفيروزابادي ، والى معاجم الاصطلاح وبخاصة تعريفات الجرجاني وكليات أبي البقاء وكشاف التهانوي ، والى كتب الفلسفة وبخاصة مؤلفات ابن سينا والنجاة والإشارات منها خاصة. ورجع الى معاجم الاصطلاح في اللغتين الفرنسية والانجليزية وبخاصة معجم لالاند الذي يقول انه اقتبس منه معظم تعريفاته ، فإذا كان أي عمل مهما يبلغ من الإتقان لايمكن أن يكون نهاية المطاف ، لكنه يمكن أن يكون محطة رئيسة في طريق التطور الذي لاينتهي ؛ فمعجم الدكتور صليبا بالتأكيد أول محطة كبرى في عصرنا على طريق تثبيت المصطلح الفلسفي.

ولبيان طريقته في العمل لنأخذ مثالا مصطلح « إبداع » . واخترت هذه اللفظة لأنها مشتركة بين علوم وميادين فكرية كثيرة ، مثل : علم النفس وعلم الجمال وفلسفة الفن وما وراء الطبيعة والدين واللاهوت والنقد الفني والادبي والصناعة الخ .. ولأن لها قرابة بألفاظ كثيرة مثل : خلق اختراع ، فيض الخ ..

جاء في المعجم الفلسفي[١١٩] :

(ا) الابداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق .

والابداع في الفلسفة له معان :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ب) أولا ــ تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقا ، كالإبداع الفني والإبداع العلمي ، ومنه التخيل المبدع في علم النفس .

(ج) ثانياً ــ إيجاد الشيء من لاشيء ، كإبداع الباري فهو ليس تركيباً ولا تأليفاً وانما هو اخراج من العدم الى الوجود . وميزوا بينه وبين الخلق، بأن الخلق هو إيجاد شيء من شيء .

(د) ثالثا ــ ايجاد شيء غير مسبوق بالعدم، ويقابل الصنع وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم . قال ابن سينا في الإشارات : « الابداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط ، دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان . وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط » . والغرض ، كما يشرح الطوسي ، أن كل ما لم يكن مسبوقاً بمادة وزمان لم يكن مسبوقاً بعدم . فالإبداع هو اذن أن يكون من الشيء وجود لغيره من دون أن يكون مسبوقاً بمادة ولا زمان ، كالعقل الاول في فلسفة ابن سينا فهو يصدر عن واجب الوجود من دون أن يكون صدوره عنه متعلقاً بمادة وزمان . والإبداع بهذا المعنى يقابل التكوين والإحداث ، لأن التكوين مسبوق بالمادة والإحداث مسبوق بالزمان ، وهما مترتبان على الإبداع ، لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين ، والزمان لا يمكن أن يحصل بالإحداث .

(هـ) رابعا ــ الإبداع الدائم وهو، عند الفلاسفة الأصوليين (السكولائيين) والديكارتيين ، الذي يبقي به الله العالم ، وهو عين الفعل الذي يخرجه به من العدم الى الوجود . فالله اذن مبدع ومبق ، لأنه اذا قبض جوده بطلت الموجودات كلها دفعة واحدة. وهذا أيضاً يقابل التأليف، لأن التأليف يبقى وإن أمسك المؤلف عن تأليفه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(و) والفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود لايحتاجون الى القول بالابداع .

والملاحظ أن لفظة واحدة في اللغات الغربية هي Création تقابل اللفظتين العربيتين الإبداع والخلق . وبالرجوع الى المعجم الفلسفي نجد أن لفظة خلق(١٢٠) لاتخرج عن معاني الإبداع المذكورة في الفقرات (ب ، ج ، هـ) ، ولكن هناك لفظة أخرى هي الاختراع وتقابل Invention

وفي المعجم الفلسفي(١٢١) :

(ز) الاختراع هو الانشاء والابتداع ، كإنشاء الافكار انشاءً جديداً أو تنظيم وسائل العمل تنظيماً جديداً يؤدي الى تحقيق غاية معينة. فالاختراع بهذا المعنى مقابل الاكتشاف ، لأن الاكتشاف هو الاطلاع على الاشياء الموجودة سابقا ، على حين أن الاختراع هو إيجاد أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل ، كاختراع القصة أو الآلة أو المركبات الكيماوية الجديدة الخ ..

بعد هذا العرض يمكن التعليق بما يأتي :

(١) بالنسبة للمعنى اللغوي (الفقرة ا) ، اذا رجعنا الى القاموس واللسان والتاج نجد هذا المعنى للفظة إبداع هو المعنى المركزي لها . ففي اللسان مثلا(١٢٢) : بدع الشيء وابتدعه : أنشأه وبدأه ، والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولا ، والبديع : المحدث العجيب ، والبديع : المبدِع، وأبدعت الشيء : اخترعته لاعلى مثال الخ..

(٢) بالنسبة لهذه اللفظة في علم النفس وعلم الجمال والنقد الفني والادبي .. (فقرة ب) ، نجد ، بالرجوع الى معجم علم النفس(١٢٣) وموسوعة علم النفس(١٢٤) وموسوعة علم النفس والتحليل النفسي(١٢٥)،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحت مادة : تخيل ، تفكير ابداعي ، خيال ابداعي ، شرحاً لايخرج عما جاء في المعجم الفلسفي لولا أنه أقل دقة وأكثر ألفاظاً .

(٣) واذا بحثنا تحت مادة ابداع في التعريفات[١٢٦] نجد المعاني الموجودة في (الفقرتين ج ، د) بالتمام ، وفي الكليات[١٢٧] نجد المعاني نفسها ومحاولة حسنة للتمييز بين الإبداع والاختراع والخلق والصنع والفطر والبرء والانشاء والإحداث والتكوين والجعل الخ .. وفي الكشاف[١٢٨] نجد المعنى الذي في (الفقرة د) .

(٤) وفي معجم لالاند نجد تحت مادة[١٢٩] Création المعاني الموجودة في (الفقرات ب ، ج ، هـ) ، وتحت مادة[١٣٠] Invention المعنى الموجود في (الفقرة ز) .

(٥) قال فلاسفة الاسماعيلية[١٣١] بالإبداع بمعنى يتفق مع المعنى السينوي من جهة أنه وجود عن شيء غير مسبوق بالعدم ، ويختلف عنه من جهة أنه لايتم بالفيض . فقد قالوا بالتنزيه المطلق لله ، فلم ينفوا عنه الشبيه فقط بل نفوا عنه أيضا التسمية والحد والصفات والزمان والمكان، حتى الوجود الذي يدعونه أيضاً . وقالوا بالعقل ووجوده عن الله بالإبداع . وهو المبدع الاول والإبداع وهو السابق وهو القلم . ووصفوه بكل صفات الإله عند أرسطو وابن سينا ؛ أي أنهم وضعوا فوقه إلهاً لا يوصف بوصف وليس هو علة الوجود ، انه هوية غامضة . والإبداع ، الذي به وجد العقل وهو هو ، ليس الفيض : « .. وذلك أن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركا له ومناسبا .. فيصير الذي منه يفيض الفيض متكثراً بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فيه فتكون ذاته من شيئين .. » « فلما بطل أن يكون ما وجد عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المتعالي فيضاً لم يبق إلا أن يكون ابداعاً • فهو الإبداع الذي وجوده لا من شيء والموجود الاول الذي وجوده لا من مادة ، والشيء الاول الذي إن طلبت احاطة بكيفية وجوده لن تنال بكونها محجوبة عن العقول بوقوعها تحتها ، وتعاليها ، أي الكيفية ، في وجودها عليها ..» •

(٦) وابن عربي[١٣٢] يقول بما يتفق مع مقالة الاسماعيلية من جهة ويختلف عنها من جهة أخرى • فهو يبلغ في التنزيه درجة ليس عليها من مزيد • فالمتعال في مرتبة الأحدية فوق الصفات وفوق المعرفة ، أما في مرتبة الواحدية فهناك تعينات أساسية أو صفات • والخلق يتمثل لابن عربي فيضاً للوجود على الاسماء والصفات ، واخراجها من حالة العدم أو حالة « الكنز المخفي » الى حالة الوجود العيني • وعلى ذلك لا يصح على وحدة الوجود المتعالية عند ابن عربي ما يمكن أن يصح على وحدة الوجود الفلسفية كما هي عند اسبينوزا من عدم الحاجة الى القول بالخلق أو الإبداع (الفقرة و) •

ويشبّه ابن عربي الخلق بصدور الاصوات عن فم الانسان ، فكما تكون الكلمات قبل النطق مختلطة ثم تصبح بنفَس الانسان متميزة ملفوظة ؛ كذلك يخرج « نفس الرحمن » بكرمه ورحمته الامكانيات الاصلية للوجود الى حيز الوجود • وكما يمر نفَس الانسان بدوري التقلص والتمدد يمر الكون بهاتين الحالتين • انه يفنى في كل لحظة ليخلق من جديد في اللحظة التالية دون انفصال زمني • فهو يعود الى الذات الإلهية في لحظة التقلص ويعود الى الظهور في لحظة التمدد • فالكون اذن تجلٍّ للذات الإلهية في كل لحظة دون أن تتكرر ، أو كما يقول المتصوفة « لا تكرار في التجلي » • فالقول اذن بالإبداع المستمر ليس مقصوراً على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصوليين والديكارتيين (الفقرة هـ) ، ولكنه بمعنى آخر وخاص قول ابن عربي ، وكذلك نجده بمعنى خاص آخر عند الأشاعرة .

وبعد ، أيها السادة ، لقد كنت دائماً أقول لنفسي ولبعض أصدقائي، ومنهم من هو الآن في هذه القاعة : ان لحسن الادارة شأنا كبيراً في الانتاج حتى .. في ميدان الفكر . فمن الناس من هو جعبة علم ، ولكنه أخرق لا يعرف كيف يتحرك بين متراكم معلوماته فلا يعرف كيف يفيد من علمه، فيبقى علمه دفين صدره إلا على قليل ممن له اتصال به وعنده الصبر والخبرة في استخراج الكنوز ؛ ثم يموت ويدفن علمه معه . ومن الناس من لايفرط بشيء من علمه ، يعرف كيف ينظم معلوماته ويصنفها ويدخرها ليفيد منها في الوقت المناسب في بحوثه ودراساته ، لا يهدر شيئاً ممّا حصّل بل يضعه في موضعه ويخرجه للناس ؛ حتى اذا غادر هذه الحياة ، كان لكل من يريد نصيب من ميراثه ، يمد يده حين يشاء فيأخذ فيغتني ، ويظل التراث سليماً لاينضب ولا ينقص . وكنت أضرب الامثال على هذين النوعين من الناس ممن أعرف من رجال البحث العلمي والفكر ، وكان جميل صليبا واحداً من الامثال على النوع الثاني .

وقد انتبه الدكتور قسطنطين زريق الى هذه الصفة في الدكتور جميل صليبا ، ونوه بها في تأبينه له . قال : « ظل جميل صليبا طالباً للعلم ليل نهار .. ظل منكباً على التحصيل ، وعلى التزود بنتاج الفكر .. ظل يجمع وزنات المعرفة ، مضيفا الجديد منها الى القديم .. على أنه لم يدفن هذه الوزنات في الارض ولم يقفل عليها في زوايا عقله ونفسه ، بل أخرجها للملأ ووظّفها واستثمرها ، فازدادت بالعطاء وغزرت بالانفاق »(١٣٣) .

وفي الختام ، أشكر السادة الذين تكرموا بالحضور ، ومعذرة ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كنت أطلت وما وفّيت • وأشكر الاساتذة الزملاء الذين أفاضوا علي من حسن ظنهم كرما منهم وفضلا ، حتى أولئك الذين حملوني العبء وما (أنا بالعبء •• مستقل)[١٣٤] • وأخص بالشكر السيد الرئيس الدكتور حسني سبح ، فلولا عطفه وتشجيعه ما تثبت قلبي وأقدمت • أما الدكتور شاكر الفحام ، فلا تستغربوا ، أيها السادة ، ما خلعه علي من حلة موشاة لا أعرف كيف أضعها على كتفي ، انها الصداقة التي ترجع الى مايزيد على ثلاثة عقود ونصف العقد ، انها الصداقة المعتقة ، وللمعتقات كما قد تعلمون على النفوس سلطان أي سلطان •

والسلام عليكم ورحمة الله •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المراجـع :

(١) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، بيروت ، ص ٣١٣ ٠

(٢) الطبري ، دار المعارف بمصر ، ج ٩ ، ص ١٦٨ ٠

(٣) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٣١٣ ٠

(٤) الطبري ، ج ٩ ، صص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ٠

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ، ج٤ ، ص ٣٢ ٠

(٦) جـاء في الطبـري « ثم استوبأ البلد ، وذلك أن الهواء بها بارد ندي ، والماء ثقيل ، والريح يهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل ، وهي كثيرة البراغيث ، وغلت فيها الاسعار ، وحال الثلج بين السابلة والميرة ٠٠ » ، ج ٩ ، ص ٢١٠ ٠

(٧) «فكان بين خروجه من العراق ورجوعه اليه ثلاثة أشهر وسبعة أيام»، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٢ ٠

(٨) نظم البحتري ثلاث قصائد ذكر فيها هـذه الحادثة التاريخيـة ، الاولى مطلعها :

أبـرّ على الانـواء نائلـك الغمـر وبنت بفخـر ما يشاكله فخـر

ومنهـا :

هنيئا لأهل الشـام أنـك سـائر إليهم مسير القطر يتبعه القطـر

ديوان البحتري ، دار المعارف بمصر ، صص ٩٩١ـ٩٩٤ ٠

والثـانية مطلعها :

مخلـف في الـذي وعـد سـيلَ وصـلا فلم يجـد

ومنهـا :

حبـذا العيـش في دمشـق اذا ليلهـا بـرد

والثالثة مطلعها :

العيش في ليل داريـا اذا بـردا والراح نمـزجها بالماء من بـردى

ومنهـا :

أما دمشق فقد أبـدت محاسنها وقـد وفى لك مطـريها بما وعدا

الديوان ، م ٢ صص ٧٠٧ ـ ٧١٠ ٠

كما رثاه بقصيدته المشهورة :

محل على القاطول أخلـق داثـره وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنهـــا :

تخفـى له مغتـاله تحـت غـرة وأولى لمـن يغتاله لو يجاهـره

الديوان ، م٢ ، ص ص ١٠٤٥ ـ ١٠٤٩ .

(٩) كارل بروكلمان ، تاريخ الشـعوب الاسلامية ، التـرجمة العربية (فارس وبعلبكي) ، ط ٥ ، ص ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ .

يقول بروكلمان : « وقد تلقى المتآمرون الذين دعوا أنفسهم جمعية الاتحاد والترقي مساعدة مالية من الدونمة وهم يهود سالونيك الداخلون في الاسلام والذين كانوا يسيطرون على الحياة الاقتصادية في تلك المدينة » .

(١٠) كارل شولتز ، اللغة العربية في أفغانستان ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، م ٣٠ ، ج ٣ ، ١ تموز سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٦٩ ـ وقددلنـي على هذا المرجع الاستاذ أحمد راتب النفاخ .

(١١) كثيرا ما ذكر ذلك ، وأمام كثيرين منهم الاستاذ النفاخ ، عمر الحكيم رحمه الله نقلا عن أبيه الذي أشرف ـ كما كان يقول ـ على البناء الذي سمي فيما بعد القشلة الحميدية ثم أصبح الجامعة السورية ، والذي ـ كما يقول ـ كان أحد التحضيرات لنقل العاصمة الى دمشق (أذكر ذلك بتحفظ) .

(١٢) أبو بكر محمد الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق النواوي ، مصر ، ص ١٧٥ .

(١٣) أبو نعيم الاصفهاني ، حلية الاولياء ، ج ٧ ، ص ٣٦٨ .

(١٤) المرجع نفسه ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(١٥) المنقذ من الضلال ، تحقيق صليبا وعياد ، ص ص ١٠٣ـ١٠٤ .

(١٦) الفتوحات المكية ، م ٤ ، ص ٥٠٠ .

(١٧) سورة البقرة ، الآيتان ١٣٤ و ١٤١ .

(١٨) والبيت :

جزاكم ذو الجـلال بني دمشق وعـــز الشـرق أوله دمشـق

من قصيدته التي قالها في الثورة السورية ، ومطلعها :

سـلام مـن صـبا بـردى أرق ودمـــع لا يكفكف يا دمشـق

الشوقيات ، ج ٢ ، ص ص ٨٨ ـ ٩١ .

(١٩) الطبري ، ج ٣ ، ص ٦١٤ .

(٢٠) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ط مصر ، ص ٣٨ .

(٢١) المرجع نفسه ، ص ٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢٢) تاريخ المجمع ، ص ٣ ـ نقلا عن الحصري ، يوم ميسلون ، ص٢٣٠

(٢٣) تاريخ المجمع العلمي العربي ، صص ٢ـ٧ ٠

(٢٤) من قصيدة للمتنبي في مدح عضد الدولة ، مطلعها :

أوَهِ بديل مـن قولتـي واهـا لمـن نأت والبـديل ذكـراها

ومنهـا :

أبا شـجاع بفـارس عضـد الد دولـة فنّـا خسـرو شهنشـاها

أسامياً لـم تـزده معـرفة وانمـا لـذة ذكـرناها

ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، ج٢ ، ص ٤٩٨ ـ ٥٠٩ ٠

(٢٥) وقائع الحفل التأبيني الذي أقامته جامعة دمشق للفقيد الراحل الاستاذ الدكتور جميل صليبا ، ص ٥٩ ٠

(٢٦) عنوان الرسالة بالفرنسية ـ

étude sur la métaphysique d' Avicenne

ويذكرها في ترجمته الذاتية الموجودة في ملفه في المجمع بعنوان فلسفة الشيخ الرئيس » ٠ ويذكرها مصطفى عبد الرازق بعنوان « بحث في الفلسفة الإلهية لابن سينا » ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧ ٠ ويعطيها الدكتور ابراهيم مدكور هذا العنوان « دراسة في ميتافيزيقا ابن سينا » ، وقائع الحفل التأبيني ص ٢٢ ٠

(٢٧) عنوان الرسالة بالفرنسية

La théorie sociologique de la connaissance

ويذكرها في ترجمته الذاتية بعنوان « نظرية المعرفة على مذهب المدرسة الاجتماعية الفرنسية » ٠ وهذا العنوان أدل على مضمون الرسالة ٠

(٢٨) وقائع الحفل التأبيني ، ص ٢٩ ٠

(٢٩) « من قصيدته التي مطلعها :

غير مجد في ملتـي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي

شروح سقط الزند ، القسم الثالث ، القصيدة الثالثة والاربعون ، صص ٩٧١ ـ ١٠٠٥ ٠

(٣٠) لم أستطع الحصول على رسالة الدكتوراه هذه ٠ ولكنني وقعت في كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » لمصطفى عبد الرازق على اشارة لهذه الرسالة ، وهذه هي : « وقد رأيت للدكتور جميل صليبا ٠٠ كتابا عنوانه « بحث في الفلسفة الإلهية لابن سينا » ٠٠ ناضل فيه نضالا قويا عن الفلسفة العربية ٠ ومن أمثلة نضاله فيما نحن بصدده (الخلاف في التسمية) قوله : « ان الذين يجحدون وجود فلسفة عربية يثبتون وجود فلسفة اسلامية ، بيد أن الاسلام ، برغم كل ما نفذ اليه من العناصر الاجنبية ، ظل أثـرا مـن آثار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العبقرية العربية . أما أن أكثر الفلاسفة من أصل غير عربي فلا نكران له.. نحن نتكلم عن فلسفة عربية كما نتكلم عن دين عربي . » تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧ .

وبالمناسبة لقد جاريت في هذه الدراسة الدكتور صليبا في التسمية حتى لايحصل تخالف في التعبير ، على الرغم من تفضيلي التسمية الاخرى .

(٣١) صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، صص ١٠ و ١١ .

(٣٢) الدراسات الفلسفية ، المقدمة ، صص (د ، هـ) .

(٣٣) المرجع نفسه ، المقدمة ، ص (هـ) .

(٣٤) المرجع نفسه ، المقدمة ، ص (ج) .

(٣٥) حنا الفاخوري وخليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ج ٢ ، صص ٣٥٠ ـ ٣٥٤ .

(٣٦) مطلع عينية ابن سينا :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وهي موجودة بكاملها في : صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٧٥ .

(٣٧) واستجابة للمناهج اللبنانية ـ تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٩

(٣٨) المرجع نفسه ، صص ٤٤٣ـ٥١٩ .

(٣٩) مجلة المجمع ، م ٥٠ ، ج ١ ، صص ٢٣ ـ ٤٥ ، سنة ١٩٧٥ .

(٤٠) تاريخ الفلسفة العربية ، صص ٣٣٣ ـ ٤٠٩ .

(٤١) مجلة المجمع ، م ٤٥ ، ج٤ ، صص ٧٤٨ ـ ٧٧٢ ، سنة ١٩٧٠ .

(٤٢) تاريخ الفلسفة العربية ، صص ٥٤٣ ـ ٦٤٤ .

(٤٣) يقول صليبا : « لاشك أن الفلسفة العربية قد تأثرت بالفلسفة اليونانية ، وأن الفلاسفة العرب قد نسجوا على منوال أفلاطون وأرسطو وأفلوطين ، وأخذوا عنهم معظم آرائهم ونظرياتهم .. الا أن التيارات الفكرية المتعددة التي جمعوا بينها في ثقافتهم جعلت فلسفتهم مشابهة لفلسفة اليونان في أصولها ومبادئها ، مباينة لها في مقاصدها وغاياتها » . ـ تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٣ .

وهذا رأي ينصف ما يدعى بالفلسفة العربية أو الاسلامية ولكنه لا يخرج بها عن الحدود التي رسمت لها .

(٤٤) هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية (الترجمة العربية) ، ص ٣٢ .

(٤٥) تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٤٦) كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٩٠٢

(٤٧) خلاصة الاثر ، ج ٤ ، ص ص ٦ـ٨ ٠

(٤٨) طبقات الامم ، تحقيق لويس شيخو ، سنة ١٩١٢ ، ص ٦٩

(٤٩) الصلة ، ص ٥٦٤

(٥٠) تاريخ الحكماء ، ص ٣٢٦

(٥١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٣٩

(٥٢) مقدمة ابن خلدون ، ط٠ المكتبة التجارية ، الصفحات : ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ٠

(٥٣) نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، ج ٣ ، ص ١٧٦

(٥٤) يذكر بروكلمان (تاريخ الادب العربي ، الترجمة العربية ـ ج ٤ ، ص ص ٣٢٣ و ٣٢٤) أن دوزي برهن على أن كتاب « التعليم برتبة الحكيم » أو « كنز الفضائل » منحول للمجريطي ، وكذلك قال هوليمار ، لانه نص صراحة في خطبة الكتاب أنه صنف فيما بين سنتي ٤٣٩ و ٤٤٧ (أي بعد الفتنة التي أطاحت بالحكم الاموي في الاندلس سنة ٣٩٩) ٠ وبرهن دوزي أيضا على أن كتاب « غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم » منحول له ٠ ووافقه على رأيه هذا هنري كوربان (تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٠١) ،ويرى أنه أحد مؤلفين كبيرين من التراث الهرمسي العربي : أولهما كتاب « سر الخليقة » ، الذي ألفه في عهد المأمون رجل مسلم ونسبه لأبولونيوس الطواني، والثاني كتابنا هذا « غاية الحكيم » ، ويحتوي على معلومات قيمة عن الطقوس الفلكية عندالصابئة ، وعلى تعليم مفصل لمبدأ « الطبيعة التامة » المنسوبة لسقراط ٠ ولكن جميل صليبا (الرسالة الجامعة ، ج ١ ، ص ٤) ينقل عن كتاب غاية الحكيم (غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم ، طبعة ريتر، ١٩٢٧ ، ص ١) : « وكان تأليفي لهذا الكتاب مبدأ ثلاثة وأربعين وثلثمائة عند فراغي من تنقيح كتاب رتبة الحكيم ، وأتممته في آخر عام ثمانية وأربعين وثلثمائة » ٠ فأي التاريخين أصح ؟ وهل خضع هذان الكتابان أيضا لما يشبه الاحداث التي خضعت لها الرسالة الجامعة ؟

(٥٥) الرسالة الجامعة ، تحقيق صليبا ج ١ ، ص ص ١٥٢ و ١٥٣ ـ طبعة بيروت ، ص ٨٤ ٠

(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٥٢٧ ـ طبعة بيروت ، ص ٢٣٩ ٠

(٥٧) رسائل اخوان الصفا ، ط٠ بيروت ، ج ١ ، ص ص ٤٢ و ٤٣

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ ٠

(٥٩) مصطفى غالب ، اخوان الصفا ، ص ٣١ ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٦٠) أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ٢ ، صص ٣ـ١٧

(٦١) البيهقي ، تاريخ حكماء الاسلام ، صص ٣٥ و ٣٦ .

(٦٢) القفطي ، تاريخ الحكماء ، صص ٨٢ ـ ٨٨

(٦٣) بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج ٤ ، ص ١٥٨

(٦٤) اقرأ فتوى ابن تيمية في : عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ج ٢ ، صص ٤٤٩ ـ ٤٥٧ .

(٦٥) المحبي ، خلاصة الاثر ، ج٤ ، ص ٦ .

(٦٦) المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ٨

(٦٧) مصطفى غالب ، أعلام الاسماعيلية ، ص ٣٥ ـ نقلا عن رسالة العسل المصفى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفا ، تأليف : عبد المحيي الحويزي العربي ، بومباي ١٩٢٩ .

الخلاف في أئمة عهد الستر (ما بين محمد بن اسماعيل ومحمد المهدي أول الخلفاء الفاطميين) كبير بين الاسماعيليين أنفسهم ، وما هو موجود في الوثائق الاسماعيلية السورية : عبد الله بن محمد بن اسماعيل (المعروف بأحمدالوفي)ـ أحمد بن عبدالله (المعروف بمحمدالتقي)ـالحسين بن أحمد(المعروف بعبد الله الرضى) ـ مصطفى غالب ، أعلام الاسماعيلية ، الجداول الملحقة بالكتاب .

(٦٨) جامعة الجامعة ، صص ١٦ و ١٧ .

(٦٩) عيون الاخبار وفنون الآثار ، السبع الرابع ، صص ٣٦٧ ـ ٣٩٤

(٧٠) مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، صص ٣٤ـ٣٦

(٧١) المرجع نفسه ، ص ٨٧ ـ ٩١

(٧٢) كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢١٣

(٧٣) كشف الظنون ، ج١ ، ص ٤٥٥

(٧٤) الفهرست ، ط. طهران ، ص ٢٣٦

(٧٥) كتاب الحيدة ، ص ٤٩ ـ نقلا عن : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ص ١٠٦٩ .

(٧٦) المرجع نفسه ، صص ٥٠ و ٥١ ـ نقلا عن طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٦٥

(٧٧) المرجع نفسه صص ١٣٥ و ١٣٦

(٧٨) المرجع نفسه ، صص ٥٣ و ٥٤ ـ نقلا عن ابن الجوزي ، المنتظم ج ٨ ، ص ٤١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٧٩) لا أدري ما الذي دعا الدكتور صليبا الى دغم الاصل الثالث من أصول مذهب المعتزلة الخمسة : المنزلة بين المنزلتين ، بالاصل الرابع :الوعد والوعيد ، والاستبدال به المعرفة بالعقل . فالاصول الخمسة هي أصول المذهب في وجهيه الإيماني والعملي للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة . أما العقل ، بالمعنى المعتزلي أي من حيث هو عقل انساني بحت ، فهو الاساس الذي تقوم عليه الاصول الخمسة ، وبدونه لا يبقى أي معنى لها .

(٨٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣٥٠

(٨١) تراث الاسلام ، ط. مصر ، ج١ ، هامش ص ٢٤٧

(٨٢) كتاب الحيدة ، المقدمة ، ص ٢٥

(٨٣) تاريخ الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٣٥

(٨٤) المرجع نفسه ، ج٨ ، ص ٦١٩ ـ البداية والنهاية ، ج١٠ ،ص٢٦٧

(٨٥) سورة الشورى ، الآية ١١

(٨٦) طه ، ٥ .

(٨٧) الحـديد ، ٣

(٨٨) البخاري ، كتاب الإيمان ، ٣٧ ـ مسلم كتاب الايمان ٥٧ الخ..

(٨٩) الكهف ، ٥٤

(٩٠) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، صص ٥٦ ـ ٦٧

(٩١) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ط. مصر ، صص ٢٠٢ ـ ٢٠٧ ـ الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ج١ ، صص ٢٢٣ ـ ٢٣٢ .

(٩٢) الفرق بين الفرق ، ص ٢٠٥

(٩٣) الانعام ، ١٠٢

(٩٤) الانعام ، ١٩

(٩٥) الانعام ، ٩١

(٩٦) النحل ، ٤٠

(٩٧) آل عمران ، ٢٨و٣٠

(٩٨) الانبياء ، ٣٥

(٩٩) الفرقان ، ٥٨

(١٠٠) الزخرف ، ٣

(١٠١) الانعام ، ١

(١٠٢) الاسراء ١٧ و ٢٩

(١٠٣) النحل ، ٧٨

(١٠٤) البقرة ، ١٢٨

(١٠٥) الرحمن ، ١ و ٢ و ٣

(١٠٦) الانعام ، ٣٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٠٧) كتاب الحيدة ، ص‌ص ٤ و ٥ .

(١٠٨) المرجع نفسه ، ص ١٨

(١٠٩) تاريخ الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٣٥

(١١٠) ابن الجوزي ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، ص‌ص ٣١٩ـ٣٢٨

(١١١) البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٢٨١

(١١٢) كتاب الحيدة ، ص ٢٠٦

(١١٣) المرجع نفسه ، ص ٥١ـ٦٩

(١١٤) المرجع نفسه ، ص ٧٠ـ٧٩

(١١٥) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٦١

(١١٦) كتاب الحيدة ، ص ٤

(١١٧) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٦٦

(١١٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٣

(١١٩) المعجم الفلسفي ، م ١ ص‌ص ٣١ و ٣٢
تتبيّن قيمة معجم صليبا اذا قورن ما ورد فيه حول هذا المصطلح (ابداع) والمصطلحات التي تربطها به قرابة ، بما في المعجم الفلسفي لـ (وهبة ، كرم ، شلاله) ، ص ١ ص ٦ ، ص ٩١

(١٢٠) المرجع نفسه ، م ١ ، ص ٥٤١

(١٢١) المرجع نفسه ، م ١ ، ص ٤٦ و ٤٧

(١٢٢) لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٦

(١٢٣) فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص ٥٦

(١٢٤) أسعد رزوق وعبد الله عبد الدايم ، موسوعة علم النفس ، ص٨٢

(١٢٥) عبد المنعم الحفني ، موسوعة علم النفس والتحليل ص ص ١٧٩ و ١٨٠ .

(١٢٦) التعريفات ، الطبعة القديمة ، ص ٣

(١٢٧) الكليات ، طبعة وزارة الثقافة ، قسم ١ ، ص‌ص ٢١ و ٢٢

(١٢٨) كشاف اصطلاحات الفنون ، الطبعة الجديدة ، ج١ ، ص ١٩٣

(١٢٩) معجم لالاند الفرنسي ، ص‌ص ١٩٤ و ١٩٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٣٠) المرجع نفسه ، ص ٥٤٤

(١٣١) أحمد حميد الدين الكرماني ، راحة العقل ، صص ١٢٧ـ٢٠٥ ـ عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، صص ٢١٩ ـ ٢٤٧ هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، صص ١٤٠ـ١٤٥

(١٣٢) ابن عربي ، فصوص الحكم ، تحقيق وتعليق أبو العلا عفيفي ، المقدمة صص ٢٤ـ٣٥ ـ سيد حسين نصر ، ثلاثة حكمـاء مسلمين ، ص ص ١٣٨ ـ ١٤٨

(١٣٣) وقائع الحفل التأبيني ، ص ١٤

(١٣٤) على الحكاية من البيت :

خلـف العـبء علي وولى أنا بالعبء لـه مستقل

وهو البيت الثاني من القصيدة التي رثى بهـا ابن أخت تأبط شراً خاله هذا . ويقال هي لخلف الاحمر . والمطلع :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيـلا دمـه ما يطـل

شرح التبريزي على ديوان الحماسة ، ج ٢ ، صص ١٦٠ ـ ١٦٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مجمعي افتقدناه :

الاستاذ الدكتور ميشيل حنا الخوري

فقد مجمع اللغة العربية عضواً عزيزاً كان له في نفوس اخوانه التقدير الرفيع ، وكان له من خلال الاخلاص في العمل والدأب فيه منزلة ، ضمه المجمع اليه منذ سنة ١٩٧١ ، فظل طيلة هذه السنوات يعمل في صمت ويعاشر في خلق ، ويجهد في اخلاص ويقدم للمجمع خدماته وعونه .

وقد نعاه المجمع ووزارة التعليم العالي ونقابة أطباء الاسنان وجامعة دمشق ، لانه كان على صلة موصولة بكل هذه المؤسسات الثقافية ، قدم لها ما استطاع خلال حياته الحافلة .

ولد الفقيد في البترون « لبنان » سنة ١٩٠٢ ، وتوفي والده وهو في السابعة « ١٩٠٩ » ، وكانت دراسته الابتدائية في مسقط رأسه في مدرسة المرسلين الامريكان باللغات الثلاث ، العربية والانجليزية والفرنسية .

وفي سنة ١٩١٣ درس في « جبيل » في مدرسة أمريكية خاصة ، وتابع دراسته الثانوية في طرابلس الشام ١٩١٤ في مدرسة المرسلين أيضا ، ونال منها شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩١٨ .

ثم انتسب الى الكلية السورية الانجيلية في بيروت سنة ١٩١٩ «صار اسمها منذ ١٩٢١ الجامعة الامريكية » فدرس جراحة طب الاسنان ، ونال شهادة دكتور في جراحة الاسنان ، بدرجة الشرف ، سنة ١٩٢٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وآثر العمل بعد ذلك في دمشق ، فانتسب سنة ١٩٢٤ الى شعبة طب الاسنان بالمعهد الطبي العربي في الجامعة السـورية « الآن : كلية طب الاسنان في جامعة دمشق » مساعد مخبر ومحاضراً ، وتدرج في مراحل التدريس فكان مدرساً سنة ١٩٢٨ فأستاذاً مساعداً سنة ١٩٤٥ ، فأستاذاً ذا كرسي سنة ١٩٤٧ ، وكان اكتسب الجنسية السورية بحكم اقامته ، في تشرين الاول سنة ١٩٣٠ .

وأحيل على التقاعد بسبب بلوغه السن القانونية سنة ١٩٦٢ ، ودعي الى العراق أستاذاً في كلية الطب في جامعتها بين سنتي ١٩٦٢ــ١٩٦٤ ، فدرس مادتي ترميم الاسنان ومداواة الاسنان ، باللغة الانجليزية .

وحين عاد من العراق حرصت جامعة دمشق على الاستفادة من خبراته العلمية والعملية والتدريسية فجددت تعيينه أستاذاً فيها ، ثم أحيـل على التقاعد نهائياً سنة ١٩٧٦ .

ولم يقتصر عمله الثقافي على التدريس ، وانما جمع بين التدريس والتأليف ، فخلّف مخطوطتين : احداهما : أمراض الاسنان ، والاخـرى تشخيص أمراض الفم والاسنان .

وانصرف بحكم ما كان من عنايته باللغة العربية واتقانه الانجليزية واجادته الفرنسية ، الى الاهتمام بالمصطلحات الطبيـة ، وتوّج جهوده التأليفية في معجمه المعروف : معجم مصطلحات تعويض الاسنان ، باللغات الثلاث ، اقترن فيه كل مصطلح بشرح واف ، وطبعته نقابة أطباء الاسنان .

وتولى خلال ذلك بعض الاعمال المهنية والادارية ، فعُيّن طبيباً للمستشفيات العسـكرية « ١٩٢٥ ــ ١٩٤٥ » ، واختـاره زملاؤه أطباء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاسنان ، تقديراً لعلمه وخلقه ، نقيباً لنقابة أطبـاء الاسنان « ١٩٥٨ و ١٩٥٩ » .

وكانت فضائله العلمية والاخلاقية هي التي تقدمت به الى عضوية مجمع اللغة العربية بدمشق ، فقد جاء في كتاب الترشيح الذي قدمه الزميل المرحوم الدكتور صلاح الكواكبي وثنى عليه الاستاذ الدكتور حسني سبح « .. لما يمتاز به من كفاية علمية واتقان للغة الانجليزية واجادة للفرنسية، الى قوته في لغته الام : العربية الحبيبة ، بالاضافة الى ما يتحلى به مـن طيب الأحدوثة ودماثة الاخلاق ، فهو حقيق بأن ينضم الى صرحنا العلمي عضواً عاملا مخلصاً وفياً » .

وقد اتخذ المجمع قراره بقبول هذا الترشيح في جلسته التي عقدها يوم ١٩/١١/٧٠ ، وصدر مرسوم تعيينه عضواً عاملا برقم ٣٩٣ وتاريخ ١٦/٢/١٩٧١ .

واستقبله المجمع في الحفل العلني التقليدي فتكلم الرئيس الاستاذ الدكتور حسني سبح مفتتحاً الحفل بكلمة قال فيها : « .. اختاره زملاؤه ليكون يداً معهم وعوناً لهم على تحقيق غاياتنا المقدسة في خدمة اللغة العربية الشريفة » .

وقدمه المرحوم الاستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي فتحدث عن عهده بالزميل الجديد وأشاد بفضائله « .. وهو ذو نظر وقّاد في الانتقاد ، وتواضع لا غرور ولا صلف ، وعفة لسان لا همزة ولا لمزة ، وحبٌّ جمٌّ واخلاص لا مواربة فيه لمن يصادقه ويصافيه » .

ثم تكلم الاستاذ الفقيد فتحدث موجزاً عن صفحات من نشأته الاولى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن عمله خلال أربعين عاما في جامعة دمشق « التي فتحـت لي صدرها الرحب وبسطت لي كفيها السمحتيْن » ، ثم مضى يفيض في الكلام عن سلفه الاستاذ الدكتور مرشد خاطر وعن مكانته في الجامعة والمجمع ، وعن خدماته في المؤسسات العلمية والتعليمية وعـن ريادته في التأليف الطبي والمعاجم الطبية ، وعن مقالاته في المجلة الطبية العربية ومجلة المعهد الطبي العربي وغيرهما ، وأنهى خطابه بقوله : « وأسأل الله أن يأخذ بيدي ويسدد خطاي مع زملائي أعضاء المجمع وأن يمنحني القوة لأكمل طريقي وأبلغ غايتي ، جاعلا شعار العمل والخدمة نصب عينيّ والله الهادي الى سبيل الرشـاد » .

وبين السنة التي انضم فيها الدكتور الخوري الى زملائه في المجمع وبين سنة وفاته ظلّ على صلة متصلة بالمجمع وعمل دائباً في لجانه ، وكان عضواً في لجنة لمصطلحات وفي لجنة المجلة منذ عام ١٩٧٧ . وأسهم في لجنتي الكيمياء ومعجم النبـات اللتين نظرتا في معـاجم هـاتين المادتين لمرحلة التعليم الثانوي كما كان عضواً في لجنة الاحتفال بذكرى ميلاد الاستاذ محمد كرد علي .

وعهد اليه المجمع بتمثيله في أوجه من أوجه النشاط الثقافي ، ومـن ذلك الاحتفال بذكرى ابن زهر في أسبوع العلم الثالث عشر .

وكان يحرص على أن يشارك في جلسات المجمـع ببعض البحـوث والكلمات ، فقد ألقى في جلسة ٦/٤/٧٢ كلمة عن حنين بن اسحق الطبيب والمترجم ، وفي جلسة ٥/٤/٧٣ كلمة بعنوان : الافصاح عن لفظتي الجراحة والجراح .. هذا الى كلمات أخرى نشرت في مجلة المجمع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واتخذ في السنوات الاخيرة طريقه الى تحقيق التراث الطبي ، فعمل جاهداً على تحقيق كتاب : التيسير لابن زهر .

وتميَّز عمله كله بالدؤوب والمتابعة فقد أشرف طويلا على مجلة نقابة طب الاسنان وغذاها بالكثير من بحوثه ، وكتب في مجلة النعمة ، وحاضر في النقـابة .

لقـد كانت وفاته خسارة للعربية والعلم ، نسـأل الله أن يثيبه وأن يتغمده برحمته ، وأن يعوِّض مجمعنا خيراً .

ش . ف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثاني من عام ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ شعر بكر بن النطاح	د. حاتم الضامن	بغداد	١٩٧٥
ـ عاهات الشعراء في الجاهلية والاسلام	عدنان البلداوي	بغداد	١٩٧٧
ـ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام (علم الحيوان)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	بغداد	١٩٧٦
(معجم مصطلحات الفيزياء)		بغداد	١٩٧٧
ـ ابن حزم الكبير	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٨٠
ـ بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٧٩
ـ البهائية سراب	عبد الله النوري	بيروت	١٩٧٤
ـ حقيقة الماسونية	محمد علي الزعبي	بيروت	١٩٧٤
ـ دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه	د. محمد مصطفى الاعظمي	بيروت	١٩٦٨
ـ دفاعاً عن العلم ، دفاعاً عن الوطن	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٧٧
ـ رجال وأقوال	محمد السلاح	بيروت	

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة	محمد أسد شهاب	بيروت ١٩٧٠
ـ العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة	أبو بكر محسود جومي	بيروت ١٩٧٢
ـ العقيدة الواسطية	ابن تيمية ، تحقيق : مصطفى العالم	بيروت
ـ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر	نعيم الحمصي	بيروت ١٩٨٠
ـ المؤرخ العلامة جميل بيهم	حسان حلاق	بيروت ١٩٨٠
ـ الماسونية	أحمد عبد الغفور عطار	بيروت ١٩٧٨
ـ محمد بن عبد الوهاب	أحمد عبد الغفور عطار	بيروت ١٩٧٢
ـ المرأة في القديم والحديث ج ٣	عمر رضا كحالة	بيروت ١٩٧٩
ـ المجاهدون في الحق : تذكارات من مالك الى السنهوري	د. صبحي محمصاني	بيروت ١٩٧٩
ـ المغامرة الاسرائيلية في أفريقيا	كامل الشريف	بيروت ١٩٧٤
ـ المقدسات الاسلامية في فلسطين والمطامع اليهودية الخطيرة	الهيئة العربية العليا لفلسطين	بيروت ١٩٦٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ نظرات في سورة الحجرات	محمد الصواف	بيروت ١٩٧٤
ـ هذا الشعر الحديث	د٠ عمر فروخ	بيروت ١٩٧٨
ـ أغاني الحياة	أبو القاسم الشابي	تونس
ـ خلاصة تاريخ تونس	حسن حسني عبدالوهاب	تونس ١٩٧٦
ـ تنسية اللغة العربية في العصر الحديث	وزارة الشؤون الثقافية	تونس ١٩٧٨
ـ جمالية الرسم الاسلامي	ألكسندر بابا دوبولو	تونس ١٩٧٩
ـ ديوان صالح السويسي القيرواني	نجوى الكافي	تونس ١٩٧٧
ـ رسائل من السجن	أحمد الطالب الابراهيمي	تونس ١٩٧٣
ـ الرصيد اللغوي الوظيفي	اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي	تونس ١٩٧٦
ـ صراع المذاهب والعقيدة في القرآن	عبد الكريم غلاب	تونس ١٩٧٩
ـ اللغة العربية المعاصرة ج١	زكي عبدالملك، سامي هنا	تونس ١٩٧٣
ـ مباحث في علم الكلام والفلسفة	د٠ علي الشابي	تونس ١٩٧٣
ـ المرأة من خلال الآيات القرآنية	عصمة الدين كركرجرم	تونس ١٩٧٩
ـ الخمر بين الطب والفقه	د٠ محمد علي البار	جدة
ـ مأساة كشمير المسلمة	د٠ احسان حقي	جدة ١٩٧٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ منهج الصحوة الاسلامية (بنوك بلا فوائد)	د٠ أحمد النجار	
ـ النشر في الجزائر منذ الاستقلال	عدد من الباحثين	الجزائر ١٩٨٠
ـ الفهرس المشروح للمخطوطات العربية المخزونة في مكتبة سالارجنك		
(ج١) الفلسفة والمنطق والكلام	د٠ محمد نظام الدين	حيدر آباد ١٩٥٧
(ج٢) القرآن وأجزاؤه	محمد أشرف	حيدر آباد ١٩٦٢
(ج٣) علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة	محمد أشرف	حيدر آباد ١٩٧٨
ـ أبحاث المؤتمر السنوي الثاني والثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم	د٠ أحمد يوسف الحسن ـ مصطفى موالدي ـ سمير قمند	حلب ١٩٧٩ـ١٩٨٠
ـ الامام سفيان الثوري	محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني	حلب ١٩٧٢
ـ الاذاعة الريفية، البنية البرامجية	ترجمة وفاء الغاوي، مراجعة سامي جانو	دمشق ١٩٧٩
ـ الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية	زكريا الانصاري، تحقيق د٠ نسيب نشاوي	دمشق ١٩٨٠
ـ دمشق يا بسمة الحزن	إلفة الادلبي	دمشق ١٩٨٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي تضمنتها فتاوى الجمعية العمومية للقسم الاستشاري في عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧	مجلس الدولة	دمشق ١٩٧٨ / ١٩٧٩
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها المحكمة الادارية العليا في عام ١٩٧٥ ، ١٩٧٦	مجلس الدولة	دمشق ١٩٧٩ / ١٩٨٠
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها محكمة القضاء الاداري عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧	مجلس الدولة	دمشق ١٩٧٩
ـ الشعر السياسي في عصر بني أمية	د. إحسان النص	دمشق ١٩٧٧
ـ الغزل في عصر بني أمية	د. إحسان النص	دمشق ١٩٧٦
ـ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	دمشق ١٩٧٧
ـ هتلر والعرب المسلمون	محمد سعيد العرفي	دمشق ١٩٨٠
ـ هل محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل	محمد شيخاني	دمشق ١٩٧٢
ـ قائمة بمصطلحات التاريخ، الجغرافيـة ، الفلـك ، الرياضيا ت، الصـحة ، الفلسفة ، في التعليم العام فرنسي ـ عربي جزء ١ ـ ٦	مكتب تنسيق التعريب	الرباط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ معاجم : الجيولوجيا ، الحيوان ، الرياضيات ، الفيزياء أو الطبيعة ، الكيمياء ، النبات انكليزي ـ فرنسي ـ عربي	مكتب تنسيق التعريب	الرباط	١٩٧١
ـ أسباب اختلاف الفقهاء	د٠ عبد الله بن عبد المحسن التركي	الرياض	١٩٧٧
ـ الجامع الفريد (كتب ورسائل)	محمد بن عبد الوهاب ، ابن تيمية ، ابن قيّم الجوزية	الرياض	١٩٧٧
ـ المال في الاسلام	د٠ محمود بابللي	الرياض	١٩٧٦
ـ هداية الناسك إلى أهم المناسك	عبد الله بن محمد بن حميد	الرياض	١٩٧٦
ـ تاريخ التربية والتعليم في الاردن ١٩٢١ ـ ١٩٧٠	قسم التوثيق التربوي	عمان	١٩٨٠
ـ التقرير الاحصائي السنوي التربوي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩	وزارة التربية والتعليم	عمان	١٩٨٠
ـ الحركة الشعرية في الضفة الغربية	وزارة الثقافة والشباب	عمان	١٩٨٠
ـ أقوال المذاهب المختارة في الحج والعمرة والزيارة	ابراهيم الشورى	القاهرة	١٩٧٣
ـ تيسير تعليم اللغة العربية	اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية	القاهرة	١٩٧٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ الخمر في الفقه الاسلامي	د. فكري أحمد عكاز	القاهرة ١٩٧٧
ـ معلمة الاسلام	أنور الجندي	القاهرة ١٩٧٧
ـ مكتبة الاسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية ـ نظرة تاريخية وصفيـة	د. خوستيل	مدريد ١٩٧٨
ـ ترانيم العودة	فوزان الحجيلي ، ناجي عبد القادر	المدينة المنورة
ـ جرح الإباء (شعر)	أحمد فرح عقيلان	المدينة المنورة
ـ الحفل الثقافي المسرحي	نادي المدينة المنورة الادبي	المدينة المنورة
ـ شرح العقيدة الواسطية	محمد خليل هراس	المدينة المنورة
ـ شعراء من أرض عبقر	محمد العيد الخطراوي	المدينة المنورة
ـ الشعر الحديث في الحجاز	عبد الرحيم أبو بكر	المدينة المنورة ١٩٧٩
ـ على دروب الشمس	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ـ على ضفاف العقيق	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ـ غناء الجرح	محمد العيد الخطراوي	المدينة المنورة
ـ الفيصليات	عبد الرحيم ربيع	المدينة المنورة
ـ في ظلال السماء	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ـ الجمهورية الاسلامية الموريتانية	محمد فال بن البناني	مكة المكرمة ١٣٩١
ـ القول المبين في رد بدع المبتدعين	عبد الله الخليفي	مكة المكرمة
ـ فلسطين أمانة في أعناق المسلمين	مؤتمر العالم الاسلامي	مكة المكرمة
ـ الشهيد أحمدو بلثو	رابطة العالم الاسلامي	مكة المكرمة ١٣٩٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله	عبد العزيز بن باز	مكة المكرمة ١٩٧٣
ـ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم	مسعود الندوي	مكة المكرمة ١٩٧٧
ـ القاديانية دراسات وتحليل	إحسان إلهي ظهير	لاهور ١٩٧٥
ـ بولندا : بلد وشعب		وارسو ١٩٧٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والخمسين

الصفحة	المقـــالات	
٤٣١	روح الشـــاعر	الاستاذ شفيق جبري
٤٣٦	نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٤٥) . .	الدكتور حسني سبح
٤٥٢	حـــروف الجـــر	الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي
٥١٩	فوائد من معجم شيوخ الطبراني	الاستاذ مطاع الطرابيشي

التعـريف والنقـــد

٥٦٠	مجلتـان تاريخيتـــان	الدكتور شاكر الفحام
٥٧٤	عـرف البشـــام	الدكتور محمد عبداللطيف فرفور

آراء وأنبـــاء

٥٧٩	حفل استقبال الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عـدي :
٥٨٠	كلمة الرئيس الدكتور حسني سبح
٥٨٢	خطاب الدكتور شاكر الفحام
٦٠٧	خطاب الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عدي
٦٧٧	مجمعي افتقدناه : الاستاذ الدكتور ميشيل حنا الخوري
٦٨٢	الكتب المهداة خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net